للكنيسة القبطية

طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

٣/٧

الدبلة والإكليل

الكـــــتـــاب : الدبلة والإكليل
الكـــــــاتب : اثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية)
المـطـبـعـة : ام دي جرافكس ت / ٣٤١٨٨٦١
الطـــــبعة : الأولى ، مارس ٢٠٠٥
رقـم الإيـداع : ٢٠٠٤/١٠٧٩٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-17-1514-3

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف

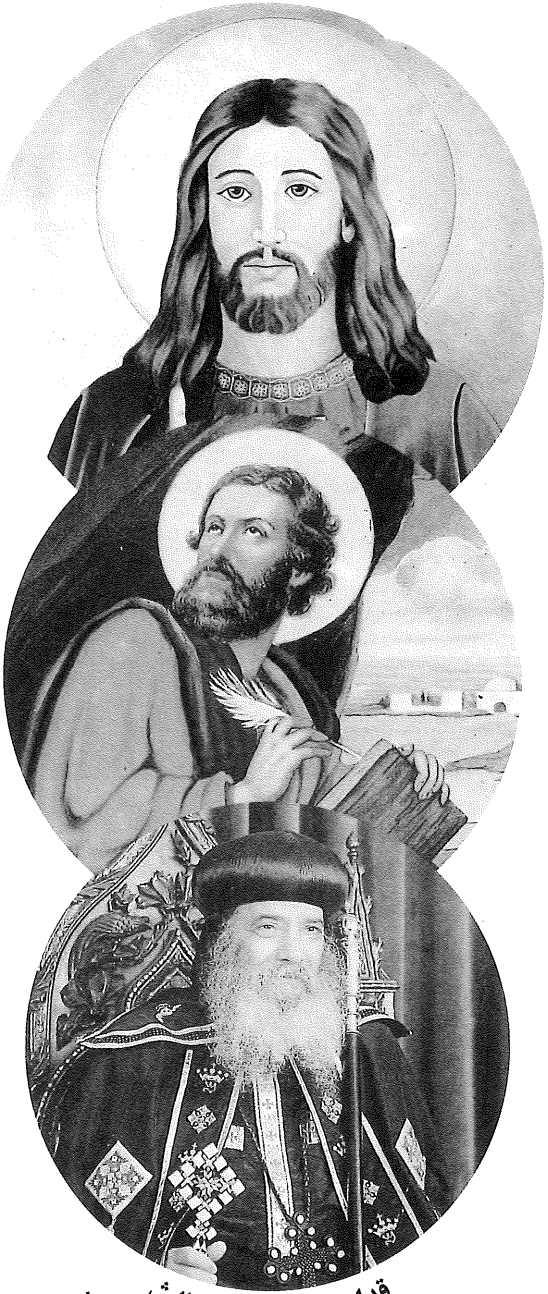

قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

مقدِّمة عامة ١١

الباب الأول: رؤية عامة

الفصل الأول: مفاهيم أوليَّة ٢٣

معنى أن الرجل رأس المرأة ٢٤
عُرس قانا الجليل ٢٩
شريعة الزَّوجة الواحدة ٣٢

الفصل الثاني: حول الزَّواج عبر التاريخ ٣٧

الزَّواج في مصر القديمة ٣٨
احتفالات الزَّواج في حوض البحر الأبيض المتوسط ٤٢
الزَّواج في العهد القديم ٤٤
الزَّواج في كنيسة العهد الجديد ٤٨

الفصل الثالث: مراسيم الزَّواج المسيحي في الكنائس الشرقيَّة ٥٥

تمهيد ٥٦
الخِطبة في الطقوس الشرقيَّة المختلفة ٥٦
المهر والهدايا ٦١
خاتم الزَّواج ٦٣
الإكليل الذي يوضع على رأس العروسين ٦٥
الارتباط الوثيق بين سرّ الزَّواج وسرّ الإفخارستيَّا ٦٧

الباب الثاني: الطقس القبطي لسر الزيجة

الفصل الأول: الخِطبة أو الخطوبة ٧٥

تمهيد ٧٦

شروط إتمام الخِطبة ٨٠

(١) الرِضا التام بين الخطيبين ٨٠

(٢) عدم وجود موانع شرعيَّة ٨١

(أ) زيجة القرايب بالطبع ٨١

(ب) زيجة القرايب بالشرع ٨٢

(ج) زيجة القرايب بالوضع ٨٣

(د) زيجة القرايب من جهة التزويج ٨٣

(هـ) زيجة الولي من التي هو موكل في تزويجها ٨٣

(٣) بلوغ السن القانونيَّة ٨٤

(٤) إعلان الخِطبة ٨٥

(٥) كتابة محضر الخِطبة ٨٦

حول الطقس القبطي للخِطبة ٨٦

الطقس القبطي للخِطبة بحسب كتاب "رتبة الإكليل الجليل" ٨٨

العلاقة بين الخطيبين في فترة الخِطبة ٩٣

الفصل الثاني: عربون الزَّواج (عقد الأملاك) ٩٧

تمهيد ٩٨

طقس دخول العروسين إلى الكنيسة ١٠٣

المراحل الطقسيَّة لصلوات عربون الزواج ١٠٦

الخلاصة ١١٦

الطقس الحالي لصلوات عربون الزواج ١٢٠

الفصل الثالث: الطقس القبطي لصلوات الإكليل ١٢٧

تمهيد ١٢٨

بدء مراسيم الإكليل بحسب الطقس القبطي القديم ١٢٩

وقوف العروسين أمام باب الهيكل وعلى رأسهما نمط أبيض ١٣٢

معنى النمط أو البرقع الأبيض ١٣٥

المراحل الطقسيَّة لصلوات الإكليل ١٣٦

صلاة الشكر ورفع البخور ١٣٧

فصل البولس ١٣٧

العناصر الليتورجيَّة لقراءة الإنجيل المقدَّس ١٣٩

الثلاثة تقديسات ١٣٩

أوشيَّة الإنجيل ١٤٠

المزمور وهتاف هلليلويا ١٤٠

فصل الإنجيل المقدَّس ١٤٠

مرد الإنجيل ١٤١

طلبات مصحوبة بمرد ١٤١

الثلاث أواشي وقانون الإيمان ١٤٥

ثلاث أواشي للإكليل مصحوبة بمردات ١٤٦

صلاة خضوع ومرد ١٥٢

الصلاة على الزيت والدهن به والتحليل ١٥٤

نص الصلاة على الزيت ١٥٥

دهن العروسين بالزيت ١٥٦

صلاة بعد الدهن بالزيت (التحليل) ١٥٨

طقس وضع الأكاليل ١٥٩

الصلاة على الأكاليل ١٦٠

وضع الأكاليل ١٦٢

الترتيب الأول لوضع الأكاليل على العروسين ١٦٢

لحن أو مديح آدام بعد وضع الأكاليل ١٦٧
الترتيب الثاني لوضع الأكاليل على رأس العروسين ١٦٨
ما أورده القمص فيلوثاؤس إبراهيم في كتابه "رتبة الإكليل الجليل" ١٧٠
الصلاة الربانيَّة والتحاليل ١٧٣
الوصيَّة التي تقال للعروسين في نهاية صلوات سرّ الزيجة ١٧٤
وصيَّة العروسين عند القس أبو البركات بن كبر ١٧٤
وصيَّة العروسين عند البابا غبريال الخامس ١٧٧
وصيَّة العروسين في المخطوطات الأخرى ١٧٩
وصيَّة العروسين في كتاب "رتبة الإكليل الجليل" ١٨٠
تسليم العروسة لعريسها ١٨٤
القدَّاس الإلهي الذي يعقب الإكليل ١٨٥

الفصل الرابع: رفع إكليل العريس ١٩٣

تمهيد وشرح ١٩٤
الطقس القبطي لرفع الإكليل ١٩٩

الباب الثالث: ما بعد الإكليل

الفصل الأول: التعليم الآبائي عن العلاقة الجنسيَّة بين الزوجين ٢٠٥

الفصل الثاني: طقس تحليل العروسة في كمال أربعين يوماً ٢٢٥

تمهيد ٢٢٦
الطقس القبطي لتحليل العروسة ٢٢٦

الفصل الثالث: الطلاق ٢٢٩

الطلاق في العهد القديم ٢٣٠
تعليم الرب يسوع عن الطلاق ٢٣١
التشريع الكنسي في الطلاق ٢٣٢

الفصل الرابع: الزيجة الثانية ٢٣٧

تمهيد وشرح ٢٣٨

طقس صلوات الزيجة الثانية ٢٤٣

المراجع ٢٤٧

مقدِّمة عامة

الزَّواج ناموس طبيعي أرساه الرَّب الإله منذ ابتداء الخليقة عندما خلق الله الإنسان على صورته «على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم» (تكوين ١:٢٧). فحين جبل الرب الإله آدم أولاً قال الله في نفسه: «ليس حسناً أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره» (تكوين ٢:١٨). فخلق الرب الإله المرأة، ثم قال لها مع آدم رجلها: «أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تكوين ١:٢٨). وقد جدَّد الرب الإله هذه البركة عينها بعد الطوفان حين بارك نوحاً وبنيه قائلاً: «أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تكوين ٩:١، ٧).

وهكذا أرسى الرَّب مفهوم العلاقة بين المرأة والرجل. فالمرأة هي معين للرجل، بكل ما تحمل كلمة معين من معنى، كما أنها نظير الرجل وليست دونه، فهي معين للرجل، وعلى قدم المساواة معه. ولكن يظل الرجل رجلاً بكل خصائص الرجولة، وتظل المرأة امرأة بكل خصائص الأنوثة. وأي خلط في هذا الشأن خروج عن الناموس الطبيعي.

ولقد ارتقى الزَّواج المسيحي في كنيسة العهد الجديد إلى ما هو أفضل بكثير من كونه ناموساً طبيعياً. حين صار سراً مقدَّساً من أسرار الكنيسة، يوحِّد فيه الروح القدس الزوجين ليصيرا واحداً. فالزِّيجة المسيحيَّة تعقدها الكنيسة ويثبِّتها القربان المقدَّس، ويختمها الروح القدس.

ولقد أرسى الكتاب المقدَّس أيضاً قواعد العلاقة بين الرجل والمرأة كزوجين، في الآيات الآتية، وبقراءتها بتؤدة يكتمل مفهوم هذه العلاقة من وجهة نظر إلهيَّة تبطل دونها كل وجهات النظر الأخرى. ولكن برغم ذلك تبقى المشكلة ليست في النصوص، بل في مفهوم النصوص.

يقول الكتاب المقدَّس:

«من له العروس[1] فهو العريس. وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس» (يوحنا ٣:٢٩).

«إن كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت وهكذا لزم أن يصير فليفعل ما يريد. إنه لا يخطئ. فليتزوجا. وأما من أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطرار بل له السلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسناً يفعل. إذاً من زوَّج فحسناً يفعل ومن لا يزوِّج يفعل أحسن.

المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً. ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوَّج بمن تريد في الرب فقط. ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي. وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله» (١كورنثوس ٧:٣٦-٤٠).

«أقول لغير المتزوِّجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا. ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوَّجوا. لأن التزوُّج أصلح من التحرُّق. وأما المتزوِّجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها. وإن فارقته فلتلبث غير متزوِّجة أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل امرأته»

١- العروس، جمعها "عرائس"، وهي تطلق على الرجل والمرأة ما دامـا في عرسهما. وفي الجمع يقال: "هم عُرُس وهنَّ عرائس". ويقال للمرأة أيضاً "العروسة" دفعاً للالتباس، لأن العروس تعني أيضاً العريس. (المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٤٩٦).

(١كورنثوس ٧:٨-١١).

«أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال. أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة. لكنك وإن تزوَّجت لم تخطئ. وإن تزوَّجت العذراء لم تخطئ. ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد» (١كورنثوس ٧:٢٧-٢٨).

«فأريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوِّج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوِّج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقاً. غير المتزوِّجة تهتم في ما للرب لتكون مقدَّسة جسداً وروحاً. وأما المتزوِّجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها» (١كورنثوس ٧:٣٢-٣٣).

«يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة. وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب رجلها» (أفسس ٥:٣١-٣٣).

«فأريد أن الحدثات يتزوَّجن ويلدن الأولاد ويدبِّرن البيوت ولا يعطين علَّة للمقاوم من أجل الشتم» (١تيموثاوس ٥:١٤).

«وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها. ليوف الرجل المرأة حقَّها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل. ليس للمرأة تسلُّط على جسدها بل للرجل، وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلُّط على جسده بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الآخر إلاَّ أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرَّغوا للصوم والصلاة، ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجرِّبكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم» (١كورنثوس ٧:١-٥).

«ليكن الزَّواج مكرَّماً والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله» (عبرانيين ١٣:٤).

«لأن هذه هي إرادة الله قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا. أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة. لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله. أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الرَّب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا. لأن الله لم يدعُنا للنجاسة بل في القداسة. إذاً من يرذل لا يرذل إنساناً بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدُّوس» (١تسالونيكي ٤:٣-٨).

«أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة. وهو مخلِّص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شئ. أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدِّسها مطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسة وبلا عيب. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قط، بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة» (أفسس ٥:٢٢-٢٩).

«أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب. أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن. أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شئ لأن هذا مرضي في الرب. أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا» (كولوسي ٣:١٨-٢١).

«أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو

الرجل. ورأس المسيح هو الله. كل رجل يصلي أو يتنبأ وله على رأسه شئ يشين رأسه. وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شئ واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليُقص شعرها. وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تُقص أو تُحلق فلتتغط. فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل. لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة. غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب. لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة. ولكن جميع الأشياء هي من الله. احكموا في أنفسكم. هل يليق بالمرأة أن تصلي إلى الله وهي غير مغطاة. أم ليست الطبيعة نفسها تعلّمكم أن الرجل إن كان يرخي شعره فهو عيب له. وأما المرأة إن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أُعطي لها عوض برقع» (١كورنثوس ١١:٣-١٥).

«فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال. وكذلك أن النساء يزينَّ ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل، لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة. لتتعلّم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلّط على الرجل بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يغو لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي، ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقّل» (١تيموثاوس ٢:٨-١٥).

«وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلّق امرأته لكل سبب. فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء

خلقهما ذكراً وأنثى. وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتُطلَّق. قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إنَ من طلق امرأته إلاَّ بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة يزني. قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج. فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطي لهم» (متى ١٩:٣-١١) (انظر أيضاً مرقس ١٠:٢-٩).

«من طلق امرأته وتزوَّج بأخرى يزني عليها، وإن طلَّقت امرأة زوجها وتزوَّجت بآخر تزني» (مرقس ١٠:١١،١٢).

«وأما أنا فأقول لكم إن من طلَّق امرأته إلاَّ لعلة الزنا يجعلها تزني. ومن يتزوَّج مطلَّقة فإنه يزني» (متى ٥:٣٢).

«كل من يطلِّق امرأته ويتزوَّج بأخرى يزني، وكل من يتزوَّج بمطلَّقة من رجل يزني» (لوقا ١٦:١٨).

«فإن المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي، ولكن إن مات الرجل فقد تحرَّرت من ناموس الرجل. فإذاً ما دام الرجل حياً تُدعى زانية إن صارت لرجل آخر. ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر» (رومية ٧:٢-٣).

«متى قاموا من الأموات لا يزوِّجون ولا يزوَّجون، بل يكونون كملائكة في السَّموات» (مرقس ١٢:٢٥).

«فأجاب وقال لهم يسوع أبناء هذا الدهر يزوِّجون ويزوَّجون، ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأمـــوات لا يزوِّجون ولا يزوَّجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة» (لوقا ٢٠:٣٤-٣٦).

«إنسان صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين، وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا لأن كل شئ قد أُعدَّ. فابتدأ الجميع برأي واحـــد يستعفون ... قال آخر إني تزوَّجت بامرأة، فلذلك لا أقدر أن أجئ ... أقول لكم ليس واحد من أولئك الرجال المدعوِّين يذوق عشائي» (لوقـــا ١٤:١٦-٢٤).

«إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوتـــه وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لوقا ١٤:٢٦).

«فقال لهم الحق أقول لكم إن ليس أحد ترك بيتاً أو والدَين إو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله، إلاَّ ويأخذ في هذا الزمان أضـــعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي الحيوة الأبديَّة» (لوقا ١٨:٢٩-٣٠).

«وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابـــن الإنســـان. كانوا يأكلون ويشربون ويزوِّجون ويتزوَّجون إلى اليوم الذي فيه دخـــل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع» (لوقا ١٧:٢٦-٢٧).

هذا هو تعليم كتاب العهد الجديد عن سر الزَّواج المسيحي. وكـــل تعليم من بعده لا يخرج عن واحد من قصدين؛ القصـــد الأول مقبـــول

ومحبوب وهو شرح ما يحتاج إلى شرح من الآيات السابق ذكرها، بدون تأويل أو تهوين أو تهويل. والقصد الثاني محزنٌ وممقوتٌ وهو تطويع هذا التعليم الكتابي لكي يلائم ظروف الحاضر، ويوائم أمزجة الناس، ويواكب متغيِّرات العصر.

كلَّما بعدنا عن روح الإنجيل وغضضنا الطرف عن الوصيَّة الإلهيَّة غُصنا في مشاكل لا حصر لها، تستوجب بالتالي قوانين وتشريعات لا نهاية لها. وبعد فوات السنين الطوال في دوَّامات لا قرار لها نفيق على حقيقة مؤلمة، فلا المشاكل حُلَّت ولا القوانين نفعت. أما كلمة الرب فتبقى وتثبت إلى الأبد.

فالزَّواج المسيحي هو سرٌ عظيم إذا فُهم على أنه مثال لاقتران المسيح بكنيسته. فحين يتشبَّه العريس بالمسيح في كل شئ إزاء عروسته، تجد العروسة نفسها ملزَمة أن تتشبَّه بالكنيسة في كل شئ إزاء عريسها. فإذا لم يبدأ الزوج بممارسة دور المسيح في بيته يصعب على الزوجة أن تتشبَّه بدور الكنيسة مع زوجها.

فكلما تأصَّل إدراك العريس وعروسته للعلاقة السريَّة التي تربط الكنيسة بالمسيح له المجد، والمسيح بكنيسته، وتغلغل هذا الإدراك في أعماقهما برؤية قلبيَّة لا ذهنية فحسب، ارتقى زواجهما ارتقاءً روحياً يبلغ بهما إلى كمال الحب، وفي كمال الحب بمعناه المسيحي تنتفي كل مظاهر الذاتيَّة بينهما، فيصير كل ما للعريس لعروسته، وكل ما للعروسة لعريسها، لأن الحب في المسيحيَّة بذل وتضحية وعطاء، وفي غيرها شهوة وذاتيَّة واقتناء. وعند هذا الحد من الحب المسيحي يكمل قول الإنجيل المقدَّس: «فالذي جمَّعه الله لا يفرِّقه إنسان» (متى ١٩:٦)، لأنه لا يمكن للإنسان أن يبغض جسده بل بالحري يقوته ويربيه، كما الرب أيضاً

للكنيسة. فإن كان الرجل والمرأة في الزَّواج المسيحي هما جسد واحد، فكيف يمكن أن ينقسم الجسد الواحد إلى اثنين مرَّة أخرى؟!.

والكنائس التقليديَّة شرقاً وغرباً تمارس الزَّواج المسيحي كسر مقدَّس به يصير العروسان أقنومين في جسد واحد. ونصوص الكتاب المقدَّس في صدر هذه المقدِّمة تشكِّل جذور هذا السِّر.

لأن الوحدة الزوجيَّة للزَّوجين المسيحيين تكمل بالفعل في التحوُّل إلى ملكوت الله والشهادة له والحياة الداخليَّة بموجبه. فالوحدة بين الرجل والمرأة في سرّ الزِّيجة المقدَّس هي وحدة حقيقيَّة تثمر ثمراً لانتشار ملكوت الله وامتداده في العالم. فسر الزِّيجة في قُدسيَّته شهادة واضحة لديمومة انتشار هذا الملكوت الإلهي.

والكتاب الذي بين يديك قارئي العزيز يبحث خصيصاً في طقس الزَّواج المقدَّس في الكنيسة القبطيَّة، مع إطلالة عامة على طقوسه في الكنائس الشرقيَّة الأخرى، أما الفصول التي تسبق شرح الطَّقس أو الفصول التي تتبعه فهي لتكميل جوانب الموضوع، ولكن باختصار لا يُخرج الكتاب عن غايته الأساسيَّة ككتاب طقسي بالدرجة الأولى يبحث في طقس الزِّيجة وتاريخ هذا الطَّقس، ومدلولاته الروحيَّة والليتورجيَّة.

راجياً من الرَّب يسوع المسيح إلهنا الصالح أن يبارك العمل بجده وخير كنيسته المقدَّسة عروسته الحقيقيَّة. ويرافق كل قارئ لكلمات الكتاب لتثمر ثمراً يثري طقس الكنيسة، وينمي ويأصِّل مفهوم الحياة الأسريَّة في كل بيت مسيحي ككنيسة للمسيح، ببركة شفاعة أم النور والدة الإله القدِّيسة الطاهرة مريم، وكافة مصاف السمائيين، والقدِّيس

يوحنا المعمدان نسيب عمانوئيل. وصلوات سادتي الآباء الرسل وكل صفوف الشهداء والقدِّيسين. وبركة صلوات أبينا الطوباوي المكرَّم قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندريَّة وبطريرك الكرازة المرقسيَّة، وسادتي الآباء المطارنة والأساقفة، وآبائي القمامصة والقسوس، وإخوتي الشمامسة، وكل طغمة العلمانيين. آمين.

ولربنا كل المجد الآن وكل أوان وإلى آباد الدهور آمين.

الباب الأول

رؤية عامة

الفصل الأول

مفاهيـــــم أوليَّـــــة

معنى أن الرجل رأس المرأة

تشرح لنا رسالة القدِّيس بولس الرسول إلى أهل أفسس معنى كون الرجل رأس المرأة، أي أنه بداية وأصل المرأة، فمن آدم خرجت حواء. وكون المسيح له المجد هو رأس الكنيسة، فهو أصل وبداية الكنيسة، فمن جنبه على الصليب خرجت الكنيسة وعاشت بقيامته.

وقول الرسول بولس إن رأس المرأة هو الرجل لا يقلِّل من كرامة المرأة، ولا من مساواتها للرجل **في الرب**، لأن القديس بولس حينما أضاف قائلاً: «ورأس المسيح هو الله» (١كورنثوس ١١: ٣) لم يكن ينفي أبداً مساواة المسيح كابن لأبيه في الألوهة والجوهر والكرامة والمجد. وكما أن الآب يحمل كل صفات الأبوَّة دون البنوَّة، والابن يحمل كل صفات البنوَّة دون الأبوَّة، ولا يمكن فصل الأبوَّة عن البنوَّة، لأن الأبوَّة في الله لم تكن في وقت ما بدون البنوَّة، ولم تكن البنوَّة فيه في أي لحظة ما بدون الأبوَّة، هكذا يبقى الرجل رجلاً، وتبقى المرأة امرأة، ولكنهما في المسيح متساويان، وفي سر الزِّيجة يصيران واحداً.

لقد كان آدم متمايزاً عن حواء، وحواء متمايزة عن آدم، فذاك رجل وتلك امرأة بكل خصائص كل منهما إلاَّ أنه قيل «يصير الاثنان جسداً واحداً»، لأنه في الزِّيجة لا يتم العطاء كاملاً بين الزوجين إلاَّ بوجود

التمايز بينهما. فيظل الرجل رجلاً، وتبقى المرأة امرأة، ولكن تمايزهما هو ضمان وحدتهما، وكمال عطائهما المتبادَل بينهما. وإن تمايز الزوجين ووحدتهما هو طريق ولادة بنين للملكوت.

والقديس غريغوريوس النيسي (٣٣٥ - ٣٩٥م) ومعه مار أفرآم السرياني (٣٠٦- ٣٧٣م) يشرحان أن عمل المرأة في سر الزِّيجة المسيحيَّة يرمز لعمل الروح القدس في الخليقة. فالمرأة تأخذ بذرة الحياة من الرجل وتنميها، ومنها يصير الإنسان الكامل. فالروح القدس هو الذي يلد الإنسان جديداً لله، بل هو الذي يُخصب الحياة كلها، لأنه روح الله. فالروح القدس ينقل لنا حياة المسيح، ويظل ينميها ويعطينا أن نتذوَّق الحياة الجديدة في الله «إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح» (أفسس ٤:١٣).

وكما أن أحد صفات الروح القدس أنه "المعين"، لأنه هو الذي يعين ضعفاتنا، ويشفع فينا بأنات لا ينطق بها، فكذلك المرأة هي معين للرجل، ويقول سفر الحكمة: من يقتني امرأة يقتني معيناً.

والأقنوم ليس هو الفرد، وإنما الشخص الذي يكمِّل وجوده وكيانه شخص آخر. وهي حالة من الوجود الكامل تجعل الأقنوم غير مكتف بذاته بل في حالة عطاء دائم. وهذا يوضِّح كيف أن سر الزِّيجة يجعل الفردين أقنومين في جسد واحد. فكل منهما يظل قادراً أن يعطي الآخر عطاء كاملاً بلا حدود طالما ظلاَّ كلاهما أقنومين وليس فردين.

والرجل هو رأس المرأة ليس في ذاته بل في المسيح، وحقيقة أن المرأة مأخوذة من الرجل، والرجل مولود من المرأة، توضح أن كليهما يعتمد على الآخر في كل جوانب الحياة، ولاسيَّما في حياتهما الشخصيَّة.

فالكنيسة تخضع للمسيح لأنه أحبها وبذل نفسه لأجلها، وهكذا يكون حال المرأة مع زوجها حين يتمثّل الزوج بالمسيح مع امرأته وأولاده دون تسلُّط أو سيادة أو قهر أو استعباد، فهذا ضد المحبَّة التي رأيناها في علاقة المسيح بكنيسته، لأن «الله بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رومية ٥:٨).

كل من يعي معنى سيادة المسيح على الكنيسة يفهم بسهولة كلمة "رأس" في علاقة الرجل بالمرأة، وأنها لا تعني السيادة والتسلُّط. فآدم يصف حواء بأنها منه، كما أن الكنيسة هي جسد المسيح.

ومن حديث الرسول بولس في الأصحاح الخامس عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس عن خضوع الابن للآب، يمكننا أن نفهم ماهيَّة هذا الخضوع ونوعيَّته. فيقول الرسول "إن الآب قد أخضع كل شئ تحت قدمي الابن"، بل «وجعله رأساً فوق كل شئ للكنيسة» (أفسس ١:٢٢) وذلك لكي يأسر الابن كل الخليقة بالحب - وليس بالتسلط والقهر - ويخضعها للآب، برغم أن الابن له كل السيادة والسلطان على الخليقة، إذ أن الآب قد أعطى كل الحُكم للابن. ويختم الرسول بولس كلامه موضِّحاً هذا النوع العجيب من الخضوع فيقول: «ومتى أُخضِع له (أي للآب) الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أَخضَع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل» (١كورنثوس ١٥:٢٨). وهكذا يصير الله هو كل شئ في كل أحد. فخضوع الابن هنا ليس هو خضوع المذلة، أو خضوع الأقل لمن هو أعظم، ولكنه خضوع الحب، لأنه من خلال الحب وحده يكون الخضوع الصحيح. وهذا هو بعينه جوهر العلاقة بين الزوجين في المسيحيَّة، وهذا هو معنى قول الرسول: «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب» (أفسس ٥:٢٢)، ثم يكرر الوصيَّة مرَّة أخرى فيقول: «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب» (كولوسي ٣:١٨).

لقد خلق الله حواء من آدم، لكي يؤكد أن المرأة من الرجل، وأن الرجل خلق أولاً ثم المرأة. لذلك فالمرأة تكمِّل الرجل، كما أن الكنيسة تمتد بعمل المسيح الخلاصي الذي بدأه بالصليب والقيامة. هذا هو مكان المرأة في الأسرة المسيحيَّة، وهذا هو وضعها إزاء زوجها. ولكن لا يفوتنا في ذات الوقت أن الرجل هو أيضاً بالمرأة كقول الإنجيل. فمساواة المرأة بالرجل لا يعني خلط المفاهيم الإنجيليَّة أو تبادل الأدوار بينهما، ففي الحياة الأسريَّة أو الزوجيَّة الرجل أولاً ثم المرأة. وهذا لا يعني أن المرأة من دون الرجل في الرب، لأن الذين اعتمدوا بالمسيح قد لبسوا المسيح، وصاروا جميعاً واحداً في المسيح يسوع. لذلك ففي المسيحيَّة ليس ذكر وأنثى، عبد وحُر. وهذا ما يعنيه الرسول «الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل **في الرب**» (١كورنثوس ١١:١١). ولكن يظل الرجل هو رب الأسرة ورأسها.

الكنيسة جسد واحد وأعضاء كثيرة، والرجل والمرأة هما جسد واحد ينجبون غروساً جديدة للملكوت. ومن لا يحب امرأته لا يحب الكنيسة، فلا تستطيع أن تكره المرأة وتحب الكنيسة.

لقد أكّد الله منذ القديم أن تكاثر الإنسان -أي بين الرجل والمرأة- هو تكاثر لصورة الله ومثاله. فنحن قد صرنا على صورة الله ومثاله حينما صار الله أبانا والكنيسة أمنا. وهكذا الحال أيضاً في الزّيجة كما يقول المزمور: «امرأتك تصير مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك، بنوك مثل غروس الزيتون الجُدد حول مائدتك» (مزمور ١٢٨:٣).

وفي قول القدِّيس بولس الرسول أنه يجب ألاّ تتسلط المرأة على الرجل، بل تكون في سكوت، معللاً كلامه بقوله إن آدم جُبل أولاً ثم حواء، وآدم لم يغو لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي، يستطرد قائلاً:

ولكنها (أي المرأة) ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقّل[١]. هنا يتضح لنا أن دور المرأة الأول والأساسي هو في تربية أولادها في الإيمان والقداسة، بل يتعدى الأمر من كونه الواجب الأساسي لها، إلى كونه وسيلة خلاصها أيضاً. هنا تكمن خطورة الأمر أنه ليس تفضُّل من المرأة التي تعول أولادها وتربيهم في الإيمان، بل هو واجب إنجيلي لا مفر من الخضوع له وتكميله. وتمثل العذراء القديسة مريم أم مخلّصنا نقطة التحول في تاريخ المرأة، ففيها وبها بورك كل جنسها وأزيلت عنه اللعنة والعار.

إن طقوس سر الزّيجة تشرح لنا علاقة الرجل بالمرأة التي يجب أن ترتقي لعلها تبلغ عمقاً من أعماق علاقة المسيح بكنيسته.

يقول مار أفرآم السرياني (٣٠٦- ٣٧٣م):

[تُرى أي عريس سوى يسوع ربنا، ضحى بذاته حباً في عروسته؟ وأية عروسة كلفت بعريس قتيل سوى الكنيسة خطيبة المصلوب؟ ومن تراه سجل لخطيبته كتاباً بدمه سوى وحيد الآب الأزلي، الذي كتب للكنيسة الأمينة صك الصدق بدمه، ووقّعه بإمضائه وختمه؟

هل شاهدتم عرساً يصبح العريس فيه غذاءً للمدعوين؟ ويلذذ ندماءه بدمه بدلاً من ضروب الخمر؟ إن صُنعاً كهذا لم يحدث إلاّ في الكنيسة. ففيما صار المسيح غذاءً أبهج العروسة فضمته إليها، وجزأت جسده، ووزعته على أحبائها وندمائها][٢].

١ـ انظر ١تيموثاوس ٣:٨-١٥

٢- يوحنا تابت وآخرون، الأسرار، منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس،

عُرس قانا الجليل

بارك السيد المسيح الزَّواج بحضوره عُرس قانا الجليل. وأول معجزة عملها الرب يسوع كانت في هذا العُرس[٣]، إذ شارك الرب في هذا العُرس مع أمه العذراء القديسة مريم وتلاميذه القدِّيسين. ولعل حديث القدِّيس كيرلس الكبير (٤١٢- ٤٤٤م) هو من أبدع ما قيل في هذا العُرس، وذلك في معرض عظاته التي كان يشرح فيها إنجيل القدِّيس يوحنا (٢: ١-٣).

فيقول القدِّيس كيرلس[٤]:

[التوقيت مناسب جداً، وبشكل مطوَّل يصف يوحنا بداية المعجزة. وعلى الرغم من أن هذا يبدو كما لو كان غير مقصود، إلاَّ أن العكس واضح.

كان عُرس ووليمة، ويوحنا يريد أن يقول لنا إن هذا في حد ذاته شئ مقدَّس حضرته أم المخلِّص. وهو أيضاً بعد إلحاح جاء إلى العُرس مع تلاميذه لكي يقوم بالمعجزة، وليس لكي يتمتَّع بمباهج الوليمة معهم، وإنما بالأكثر لكي يقدِّس بداية الجنس البشري، أعني بشكل خاص ما ينقي الجسد.

وكان من اللائق أن الذي جاء لكي يجدِّد طبيعة الإنسان ويعيد خلقتها من جديد وبالكامل إلى ما هو أفضل، لا يمنع قط بركته لمن دعاهم من العدم إلى الوجود، بل يهيئ نعمة للذين سيولدون، ويجعل مجيئهم إلى العالم مقدَّساً.

الكسليك، لبنان، ١٩٨٧م، ص ١٩٨

٣- هي المعروفة اليوم باسم "كفر قانا".

٤- ك٢: فصل١ – مجلد١ – ص ١٥٥

ويوجد سبب ثالث؛ لقد قيل للمرأة من قِبَل الله بالحزن تلدين أولاداً[٥]، فكم كانت الحاجة إلى أن تخلص من اللعنة أيضاً؟، وإلاّ كيف يمكن أن نهرب من الحكم على الزَّواج بأنه لعنة. ولأن المخلِّص محب البشر رفع هذه اللعنة لأنه مسرة وفرح الكل، فهذا ما جعله يكرِّم الزَّواج بحضوره، لكي يطرد العار القديم أي الحبل وولادة الأولاد].

ويستطرد القدِّيس كيرلس في الشرح لآيات (يوحنا ١٠،٣:٧)، فيقول:

[أشياء كثيرة تمت معاً وفي وقت واحد في أول معجزة. الزَّواج المكرَّم صار مقدَّساً واللعنة التي وُضعت على المرأة رُفعت، ولم يعد مجال للكلام عن «بالحزن تلدين أولاداً» (تكوين ٣:١٦). لأن المسيح بارك بداية ولادتنا، ومجد المخلِّص أشرق مثل أشعة الشمس. بالإضافة إلى ذلك ثبَّت التلاميذ في الإيمان بواسطة قوة المعجزة][٦].

وهكذا لخَّص القدِّيس كيرلس الكبير في حديثه معجزة قانا الجليل، ووضع الأمور في ترتيب واضح. وعلينا الآن أن نرى الجانب الآخر من المعجزة ومعناها الخفي. لقد نزل كلمة الله من السماء لكي يصبح عريس الطبيعة الإنسانيَّة التي توصف بأنها عروسته، والمخلِّص بالعريس. وعادة تستخدم الأسفار الإلهيَّة اللغة الإنسانيَّة لكي تساعدنا على إدراك الأمور السمائيَّة العالية.

فلقد تم الزَّواج في اليوم الثالث[٧]، ولما ضُربنا وجُرحنا بمعصية آدم، وقيل لنا «تراب أنت وإلى التراب تعود» (تكوين ٣:١٩). فالذي ضُرب

٥- تكوين ٣:١٦
٦- مجلد ١:١٥٧
٧- انظر: هوشع ٦:١-٣

بالفساد وبالموت، خطبه المسيح في اليوم الثالث ليجدِّد طبيعته كلها، ويقيمه من الموت، ليحيا له وفيه. ومن أجل ذلك سُمي المسيح «باكورة الراقدين» (١كورنثوس ١٥: ٢٠).

وعندما تذكر نبوة هوشع النبي أن الزَّواج تم في اليوم الثالث فقد كانت تعني نهاية الدهور. أما المكان فهو "قانا الجليل"، والذين يرغبون في مزيد من المعرفة يجدُّون أكثر. فلم يكن الزَّواج في أورشليم، ولا في اليهوديَّة تمت الوليمة، وإنما في الجليل مقاطعة الأمم كما يقول إشعياء «جليل الأمم» (إشعياء ٩: ١). وهذا واضح لأن مجمع اليهود رفض العريس الذي جاء من السماوات. أما كنيسة الأمم فقد قبلته بفرح. لقد جاء المخلِّص بدعوة سريَّة اختفت خلف أصوات الأنبياء القدِّيسين، ولم يكن الخمر كافياً للمدعوين، وهذه إشارة إلى أن الناموس لم يكمِّل أحداً. والناموس الموسوي المكتوب لم يكن قادراً أن يمنع السعادة، وحتى الذين جاهدوا لكي يحفظوه بكل دقة ولم يستطيعوا أن ينالوا منه الخلاص، وكان حقاً ما قيل «ليس لهم خمر». والإله المحسن لا يتغاضى عن احتياج طبيعتنا التي افتقرت جداً إلى الصلاح، ولذلك أرسل خمراً أفضل من الخمر الأول، لأن «الحرف يقتل والروح يحيي» (٢كورنثوس ٣: ٦). والناموس ليس لديه كمال، هو صالح، أما التعاليم الإلهيَّة في الإنجيل فهي تعطي البركة الكاملة.

إن رئيس المتكأ تعجَّب من الخمر، وكل الذين يرسمون للكهنوت المقدَّس ويقامون لرعاية بيت المخلِّص المسيح يندهشون من تعاليم المسيح التي هي فوق الناموس. ولكن المسيح أمر أن يعطى الخمر الجديد لرئيس المتكأ أولاً لأنه حسب شهادة بولس أن الزارع الذي يتعب يجب أن

يكون أول من ينال من الثمار[٨].

شريعة الزَّوجة الواحدة

الزَّواج بامرأة واحدة واضح من قصة آدم وحواء، حيث خلق الله زوجة واحدة لآدم. إلاَّ أن لامك (من نسل قايين) هو أول من ذُكر عنه أنه تزوَّج بأكثر من امرأة واحدة[٩]. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وفي ذات الوقت لا توجد وصيَّة صريحة في العهد القديم تنهي عن تعدُّد الزوجات. أما ملخَّص تعليم الرب في العهد الجديد فهو زوجة واحدة لزوج واحد، ولا طلاق إلاَّ لعلَّة الزنا.

وتعدُّد الزوجات في العهد القديم ليست هي القاعدة العامة. فإبراهيم مثلاً التزم بمبدأ الزَّوجة الواحدة إلاَّ أن زوجته سارة هي التي دفعته إلى الزَّواج، فتزوج هاجر بناء على اقتراح سارة[١٠]، ثم عاد وتزوَّج قطورة[١١]. وكذلك كان ناحور[١٢].

هؤلاء اتبعوا العادة القديمة التي سادت الشرق، والتي سجَّلتها قوانين حمورابي[١٣] والتي كانت تعطي الزوج الحق في زوجة ثانية إذا كانت

٨- انظر: ٢تيموثاوس ٦:٢

٩- تكوين ١٩:٤

١٠- تكوين ١:١٦-٢

١١- تكوين ١:٢٥

١٢- تكوين ٢٠:٢٢-٢٤

١٣- حمورابي هو الملك السادس من ملوك الدولة الأشورية، ويعد عصره العصر الذهبي لبابل. نجح في تكوين إمبراطورية بسطت نفوذها على الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين، واتخذ بابل عاصمة لملكه. اشتهر برسائله التي وصلت إلينا منها ٥٥ رسالة، وبمجموعة قوانينه التي تعتبر أقدم ما وصل إلينا في صورة كاملة وقد وضعها حوالي سنة ١٧٠٠ ق.م. وتنم عن تطور الفكر القانوني، وهي منقوشة على قطعة

زوجته الأولى عاقراً. وحسب نص هذه القوانين كان الزوج يفقد حقه في الزَّواج الثاني إذا طلبت منه زوجته أن يتزوَّج جارية من جواريها. ولعل هذا ما يفسر لنا طلب سارة لإبراهيم زوجها. وتعطي قوانين حمورابي الحق للزَّوج في أن يتَّخذ لنفسه ''سريَّة'' حتى وإن أنجبت زوجته. ولم يسجل لنا سفر التكوين شيئاً عن هذه العادات.

وعلى الرغم من كل هذا فإن الآباء في العهد القديم اعتبروا أن الزَّوجة الواحدة هي القاعدة الأساسيَّة. ورغم تعدُّد السراري ظلت الزَّوجة الواحدة هي الشخصيَّة الأساسيَّة التي قامت عليها حياة الأسرة.

وفي الألف الثانية قبل الميلاد فإن القانون الأشوري الذي صدر معطياً الرجل الحق في أن يرفع مكان ''السُرِّية'' إلى ''زوجة'' كان هو أهم تعديل للعرف القديم وبه تأسَّس مبدأ تعدُّد الزوجات. فجدعون اتخذ لنفسه عدة زوجات وسُرَّية واحدة[١٤].

ورغم أن الشريعة اعترفت بصحة الجمع بين زوجتين إلاَّ أنها لم تشر إلى أكثر من ذلك[١٥]. وقد عاد التلمود بعد ذلك في عصر متأخِّر وحدَّد عدد زوجات الرجل العادي ''أربع''، والملك ''ثمانية عشر''. ولعل هذه القاعدة الخاصة بالزوجات الأربع هو ما نراه في القرآن بعد ذلك.

كبيرة من حجر الديوريت الأسود المصقول. وقد اكتشفها جاك دي مورجان في أثناء التنقيب في مدينة سوسه سنة ١٩٠١م. وهي توجد الآن بمتحف اللوفر بباريس في ٣٦٠٠ سطر بالخط المسماري. وفي أعلى الجزء الأمامي نحت يمثل إله الشمس وهو يمنح القانون لحمورابي. ويحتوي القانون الذي يتبع مبدأ عين بعين على ٢٨٢ مادة تسبقها عبارة إبتهالية، يوضح فيها الملك عظمته وأهدافه السامية التي يراعي فيها سيادة العدل.

١٤ـ قضاة ٨:٣٠، ٣١

١٥ـ تثنية ٢١:١٥-١٧

وقد سجَّل لنا العهد القديم أن الجمع بين زوجتين أو أكثر لم يكن سبب سلام؛ ففي بيت "ألقانه" حدث الشجار[١٦]، وسارة وهاجر مثال آخر[١٧]. وكان تفضيل الزوج لزوجة معيَّنة مصدر متاعب لكل الأسرة[١٨]. ولقد تركت هذه المشاكل أثرها واضحاً على اللغة العبرانيَّة نفسها، إذ وجدت كلمة جديدة طريقها إلى العلاقات الحياتيَّة وهي كلمة "الضُرَّة"[١٩]، والتي تعني "المنافِسة".

وإذا درسنا الأسفار التاريخيَّة من القضاة إلى الملوك، وجدنا أن تعدُّد الزوجات قليل جداً، بل منعدم. والسبب هو نهاية عهد البداوة والتجول في البريَّة، والاستقرار في المدن. ثم ظهور المملكة. ويبدو أن شريعة الزَّوجة الواحدة قد سادت وصارت المبدأ المثالي الذي يتغنَّى به سفر الأمثال[٢٠]، حيث تظهر الزَّوجة الواحدة في وسط بيتها[٢١]. وفي سفر طوبيت نرى مثالاً للحياة الزوجيَّة التي لا يظهر فيها تعدُّد الزوجات مطلقاً، وهذا يؤكِّد لنا أن شريعة الزَّوجة الواحدة قد استقرت في ضمير الشعب قديماً رغم ما نراه من ممارسات أخرى، حتى جاء الرب في العهد الجديد وأكَّد هذا المبدأ بقوله: «من البدء لم يكن هكذا» (متى ٨:١٩)[٢٢].

وكما خلق الرب من البدء آدم واحد وحواء واحدة، كذلك كان في أيام نوح حينما جدَّد الرب الأرض مرَّة ثانية. كان لنوح امرأة واحدة،

١٦ـ ١صموئيل ٦:١
١٧ـ تكوين ٤:١٦، ٥
١٨ـ تكوين ٣٠:٢٩ ؛ ١صموئيل ٥:١
١٩ـ ١صموئيل ٦:١ ؛ سيراخ ١٢:٣٧
٢٠ـ أمثال ١٠:٣١-٢١
٢١ـ جامعة ٩:٩ ؛ سيراخ ١:٢٦-٤
٢٢ـ انظر أيضاً: متى ٤:١٩-٦ ، تكوين ١٨:٢-٢٤

وكذلك بنوه كان لكل منهم امرأة واحدة أيضاً[٢٣]. وهكذا وضع الله بنفسه أسس الزَّواج الواحد Monogamy .

وتعليم كتاب العهد الجديد يوضِّح أن لكل رجل امرأته الواحدة، ولكل امرأة رجلها الواحد. ومنذ أوائل القرن الثالث الميلادي نقرأ في "التقليد الرسولي" ما يلي: "إن كان واحد له زوجة، أو امرأة لها زوج، فليتعلموا أن يكتفي الرجل بزوجته، والمرأة بزوجها" (٦:١٦).

ويقول القدِّيس أغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م):

[حينما كانت النساء تلدن بنين في القديم، كان مصرحاً بتزوُّج نساء أخريات للحصول على ذريَّة أكثر، ولكن بالتأكيد هذا الآن غير شرعي، لأن اختلاف الأزمنة يحدِّد جواز الشئ من عدمه][٢٤].

وقال القدِّيس أيرونيموس (٣٤٢- ٤٢٠م) في رسالته التي كتبها سنة ٤٠٩م إلى أجيروشيا عن وحدة الزَّواج:

[إن خلق الإنسان الأوَّل يعلِّمنا أن نرفض ما هو أكثر من زيجة واحدة إذ لم يكن هناك غير آدم واحد وحواء واحدة].

وقبل ذلك وفي كتابه الذي وضعه سنة ٣٩٣م ضد جوفنيانوس يقول:

[في البدء تحوَّل ضلع واحد إلى زوجة واحدة، وصار الاثنان جسداً واحداً، وليس ثلاثة أو أربعة. وإلاَّ فكيف يصيرون اثنين إن كانوا جملة؟].

والعلاَّمة ترتليان (١٦٠- ٢٢٥م) الذي عاش في القرن الثاني

٢٣ـ تكوين ٦:١٨ ، ٨:١٥-١٨ ، ٩:١٨-١٩

٢٤ـ البابا شنوده الثالث، شريعة الزَّوجة الواحدة، القاهرة، ١٩٧٨م.

الميلادي يفصِّل الأمر في كتابه: "حث على العفّة"، فيقول:

[إن أصل الجنس البشري يزوِّدنا بفكرة عن وحدد الزَّواج. فقد وضع الله في البدء مثالاً تحتذيه الأجيال المقبلة، إذ صنع امرأة واحدة للرجل، على الرغم من أن المادة لم تكن تنقصه لصنع أخريات، ولا كانت تنقصه القدرة، ومع ذلك فأزيد من امرأة واحدة لم يخلق الله. يصير الاثنان واحداً، ليس ثلاثة أو أربعة. وإلاّ فلا يمكن أن يكون اثنان في جسد].

ولعل من أبدع ما قيل في هذا هو قول القدِّيس أغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م):

[كانت زوجات الآباء الكثيرات رمزاً لكنائس مستقبلة من شعوب كثيرة، تخضع لعريس واحد هو المسيح، أما سر الزَّواج بواحدة في أيامنا فيشير إلى وحدتنا جميعاً في خضوعنا لله، نحن الذين سنصبح فيما بعد مدينة سمائيَّة واحدة][٢٥].

ومن أبدع ما كتبه القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥- ١٠٧م) أسقف أنطاكية إلى صديقه الأسقف بوليكاربوس (+ ١٥٥م) أسقف أزمير يقول له:

[قل لشقيقاتي أن يحببن السيِّد، وأن يكتفين بأزواجهن جسدياً وروحياً، أوصي إخوتي الرجال أن يحبوا نساءهم كما أحب المسيح الكنيسة] (٥:١).

٢٥ـ نفس المرجع، ص ٣٨

الفصل الثاني

حول الزَّواج عَبر التاريخ

الزَّواج في مصر القديمة

إن العلاقة بين الرجل والمرأة في الفنون التشكيليَّة في العالم أعمال معدودة، ولكن هذه العلاقة في الفن المصري موضوع كامل غني مميَّز.

ولكن من الغريب أنه على مدى العصر الفرعوني لم تتعرَّض المناظر التي رسمها قدماء المصريين لمراسيم الزفاف، كما أننا نفتقد ما يوفر فكرة عن حفل الزفاف عندهم. وليس لدينا مصادر مسجَّلة عن شعائر دينيَّة تؤدى في هذه المناسبة، إلاَّ أننا لا نغفل أنه كانت هناك آلهة مخصَّصة للزَّواج وتكوين الأسرة وعلى رأسها الإلهة "حتحور".

وعلى الرغم من انعدام المصادر أو الوثائق المبكرة عن الزَّواج، فإن هناك وثائق قانونيَّة تحدِّد صراحة مسؤوليَّة الزوجين، كل منهما تجاه الآخر. ولعل الإجراءات الأساسيَّة التي كانت تسبق الزَّواج تتمثل في إعلان شفهي أو قَسَم من قِبَل العريس أمام أبي العروسة في حضور شهود. وقد أشارت بعض أوراق البردي الموجودة بالمتاحف المصرية إلى أن الرجل يذهب ليطلب العروسة من بيت أبيها.

ثم وليمة تعقب إشهار الزَّواج، تنتقل بعدها العروسة إلى بيت الزوجية في المساء. وكانت الزوجة هي سيدة المنزل تتصرف فيه كما تشاء.

ولا نجد عقود زواج إلاَّ في أيام الأسرة الثانية والعشرين. ومنذ الأسرة السادسة والعشرين ظهرت لأول مرة عقود زواج موثَّقة بالخط الديموطيقي في عهد أحمس الثاني الذي يعد من المشرعين المصريين. ولقد استمرت هذه العقود الموثَّقة حتى العصر البطلمي.

ويرجع تاريخ أقدم عقد زواج مصري إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وهو عقد زواج العريس "أمحوتب" والعروسة "تاحاتر". وقد شهد هذا العقد ١٦ شخصاً. ويعبِّر فيه الزوج عن إلتزامه بكل واجباته تجاه زوجته وأبنائه في المستقبل. ويضم مجموعة كبيرة من العهود يسلّمها والد الزوج إلى العروسة لتحتفظ بها. ولازال يوجد هذا العقد بالمتحف المصري حتى الآن.

ومن أهم أركان عقد الزَّواج الرضى والقبول بين الفتى والفتاة. وقد ورد في هذه العقود: "قال (فلان) للفتاة (فلانة) اتخذتك زوجة". وحسب عقود الزَّواج التي عُثر عليها في فيلة كان الزوج يقول: "هي زوجتي وأنا زوجها من اليوم وإلى الأبد". ولسنا نعرف إن كانت توجد صيغة خاصة بالمرأة.

و لم تخل العقود من ذكر المهر وهو شرط مهم ملزم في مصر القديمة، بل ركن أساسي فيها. فلا نجد عقداً من عقود الزَّواج يخلو من ذكر المهر، بل نجده مقروناً بلفظ انعقاد الزَّواج أو معطوفاً عليه "اتخذتك زوجة وأعطيتك مهراً". وكانت العروسة تتسلمه عادة نقداً.

ومن المصادر المسجَّلة كذلك ما أشار إلى أن هدية العريس للعروسة كانت تتمثَّل في قطع من الحُلي أو بعض سلع أخرى.

وقد أوضحت عقود الزَّواج في مصر الفرعونيَّة خمسة فقرات مهمة تُسمى التسوية الماليَّة، وهي:

١ - إقرار الزوج في حالة الطلاق لكراهية الزوجة أو الزَّواج بأخرى أن يتنازل عن المهر المُسمى في العقد لزوجته أو يعطيها ما يوازي نصف قيمة المهر وثلث الكسب المشترك بينهما.

وهنا يتضح لنا أن الزَّواج في مصر الفرعونيَّة كان بزوجة واحدة

فقط، ولا يتزوَّج الزوج بأخرى قبل أن يطلِّق الأولى أو في حالة وفاتها. وكثيراً ما عبرت النقوش والتماثيل الفرعونية عن الوفاء بين الزوج وزوجته. فالزَّواج بواحدة هو العُرف السائد في مصر القديمة، إلاَّ أن هذا العُرف لم يمنع تعدُّد الزوجات بين الملوك الفراعنة مثل رمسيس الثاني الذي اتخذ ثمان ملكات. وبرغم ذلك فلدينا أمثلة يسيرة جداً عن الزَّواج بأكثر من واحدة في وقت واحد، وهناك ما لا يجاوز ثلاثة أمثلة من عصر الدولة القديمة. وقد صُورت في مقابر رجل من الدولة القديمة زوجتان، سمت الزوجة الأولى إحدى بناتها باسم الزوجة الثانية. وهناك حالتان من الدولة الحديثة لرجلين جمع كل منهما بين زوجتين في آن واحد حيث وصفت إحدى الزوجتين نفسها بقولها: "إنني إحدى زوجات أربع، ماتت اثنتان منهن، والأخرى لا تزال على قيد الحياة".

٢ ـ إقرار الزوج بأن أولاده من الزَّواج هم أصحاب كافة أملاكه حالاً ومستقبلاً.

٣ ـ يتضمن العقد أحياناً قائمة بالمتاع الشخصي الذي تدخل به العروسة منزل الزوجية.

وقد سُجلت ببعض هذه القوائم كل قطعة وقيمتها النقدية، كما سُجل في النهاية المجموع الكلي لقيمتها، ويوقع الزوج عليها بأنها قد دخلت بيته، وهي بملكية زوجته لها قائلاً: "إن كنت داخل بيتي كان بالداخل معك، وإن كنت خارج بيتي كانت بالخارج معك، أنت المنتفعة (بها) وأنا الأمين (عليها)". ومن بين هذه القوائم الملابس والأدوات المنزلية والأواني المعدنية، وأحياناً آلة موسيقية.

٤ ـ كان العقد يتضمن التزام العريس بكل ما تحتاج إليه الزوجة من طعام وكسوة حتى العطور وأدوات زينتها والراتب الشهري لنفقتها الخاصة. فقد كانت هذه الإعاشة إلتزاماً طبيعياً في مصر ورد ذكرها منذ

الدولة القديمة على أقل تقدير. ولأن هذه الإعالة كانت من الواجبات الأساسية على مدى أحقاب العصور المصريَّة، فلم يكن ضرورياً ذكرها في التسويات المالية الملحة بالعقود.

٥ ـ إذا طلبت الزوجة الطلاق فيجب عليها أن ترد إلى الزوج نصف المهر المسمى بالعقد، وأن تنزل له عن جزء مما تحصل عليه من أملاك أثناء زواجها منه.

ثم تنتهي كل العقود بتوقيع الموثق وتوقيعات الشهود.

وفي العصر الفرعوني المتأخِّر إن كانت عقود الزَّواج لم تشر إلى جواز اقتران الرجل بزوجة ثانية دون تطليق الأولى، إلاَّ أنها في ذات الوقت قد منحت الزوجة الحق كزوجها في إعلان الطلاق، أي مُنحت الزوجة حق تطليق زوجها. فلما جاء الإغريق إلى مصر ـ وكانوا يعتقدون أنهم أكثر الشعوب تحضراً ـ ذُهلوا كيف أعطي المشرِّع المصري الحق للمرأة المصريَّة في طلب الطلاق من زوجها.

وفي رسالة دكتوراه قُدمت في أمريكا سنة ١٩٩٣م عن مكانة المرأة ومركزها بين كافة شعوب العالم قديماً وحديثاً، كانت خلاصة الرسالة تقول إن المرأة لم تحظ بمكانة مرموقة بين كل شعوب العالم كما حظيت في مصر الفرعونية. وكانت مكانة المرأة في المجتمع المصري آنذاك تساوي مكانتها اليوم في المجتمع الأمريكي على سبيل المثال.

وفي الحقيقة لا يدل على حضارة شعب من الشعوب أو بلد من البلاد مثل احترامه للمرأة وإعزازها. ولقد رفعت مصر الفرعونية المرأة واحترمتها وأعزتها حتى جعلتها إلهة، بل وجعلتها أيضاً في معبد سيتي نقيبة الأطباء. ولم تكرِّم حضارة في الدنيا المرأة كما كرمتها مصر القديمة حين جعلت "سشات" ربة للإنشاء الهندسي والقلم والسجلات،

و"معات" ربة للعدل والحق[١]، و"حاتحور" ربة للفن والرحمة أي للجمال والحنان، و"إيزيس" المثل الأعلى للأمومة والوفاء.

وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد: المرأة في الصور المصريَّة فتاة في ربيع العمر أو شابة في اكتمال النضج حين الثلاثين. ولأمر ما لم تحمل الصور المصريَّة شيخاً أو عجوزاً ... إنه تشبثهم بالحياة من فرط ما وفَّرته لهم مصر من نعيم.

احتفالات الزَّواج في حوض البحر الأبيض المتوسِّط

بالرغم من وجود اختلافات في التفصيلات طبقاً للمناطق المختلفة، فيمكننا أن نقول إنه خلال الثلاثة قرون الأولى هناك إجماع أو اتفاق على الأساسيات في الاحتفال بالزَّواج في كل حوض البحر الأبيض المتوسط[٢].

ومن جهة نظر شرعيَّة أو قانونيَّة، فإنه من المسلَّم به طبقاً لتأكيد أولبيان Ulpien (+ ٢٢٨م) فإن شرط الرضى يجعل الزَّواج شرعياً، وهي الصيغة التي دخلت في مجموعة قوانين جستنيان بعد ذلك.

والرضى يتطلَّب سناً معيَّنة، وموافقة الوالدين، وغياب موانع القرابة والمصاهرة. والرضى شرط ينطبق في نفس الوقت على الخطيبين، وهو ما يحدِّده القانون الروماني بدقَّة وعناية. ولكن القيمة الشرعيَّة

---

١ ـ أخيراً وبعد عشرات القرون تبوأت المرأة مركز قاضية في مصر اليوم، وذلك في سنة ٢٠٠٣م. وبالكاد بدأنا العودة إلى مجد قديم.

2- G. Martimort, *L'Eglise En Prière, Introduction à la liturgie "Le mariage"*, par P. Jounel, p. 296, 297, 298.

للزَّواج لا تخضع لأي احتفال رسمي يُقام لإتمام الزَّواج. ومع ذلك فلا يجب أن نعطي لأهميَّة الاحتفال التقليدي تقديراً يقلّل من قيمته. ولكن هذا الاحتفال التقليدي في كل مجتمع كان لابد أن يشتمل على شرط الرضى.

وفي منتصف القرن الثالث ظهر التحديد واضحاً بين الخطوبة والزَّواج. وكانت الخطوبة تقام في حفل غذاء يشارك فيه الوالدون والأصدقاء، وكان يتكوَّن أساساً من تبادل الوعود. وفي معظم الحالات فإن الخطيب بعد ذلك كان يضع خاتماً في أصبع الفتاة — والذي ظل إلى زمن طويل خاتماً من حديد — ويقدِّم لها بعض الهدايا. وبعد ذلك بقليل أُضيف إلى هذين الطقسين (أي الخطبة والزَّواج) القبلة المتبادلة، والتي أصبحت فيما بعد ذات قيمة قانونيَّة حقيقيَّة.

أما عن الزَّواج نفسه Marriage فكان يتم على ثلاث مراحل متتابعة:

المرحلة الأولى: دخول الخطيبة إلى بيت الزوجيَّة حيث يوضع على رأسها برقع أو طرحة النساء المتزوجات مع تاج من الزهور. وكان لبس الطرحة أو البرقع ذا أهميَّة كبيرة حتى أن اصطلاح (nubere) والذي يعني "التحجُّب" أو لبس البرقع كان مرادفاً لمعنى "تزوَّج — se marier". ولقد كان تبادل الرضى يجري في الصباح في بيت الفتاة، ويسبق إحضار الخطيبة إلى بيت الزوجيَّة بواسطة الوصيفة pronuba وهي امرأة متزوِّجة تقوم إلى حين بدور الوصيفة للخطيبة — وخصوصاً عند كتابة العقد في حضور الشهود الذين يوقّعون بإمضاءاتهم.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة تسليم الزوجة الجديدة إلى زوجها بتشابك الأيدي dextrarum junction . ويعقبها مباشرة تقديم الذبيحة لآلهة العائلة حيث تبدأ بعدها مباشرة وليمة العرس.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة الأخيرة للاحتفال بالعُرس، وكانت تجري في المساء، وكان موكب العُرس يُصاحب بالأغاني وهتاف الفرح.

الزَّواج في العهد القديم

كانت المرأة في العهد القديم دون الرجل على المستوى الديني، كما كانت دائماً دونه في الحقوق. بل يمكننا القول إنها كانت بلا أي حقوق على الإطلاق. فكل الوصايا والناموس معطى للرجل وليس للمرأة. وعهد الختان الذي كان علامة عهد بين الله وشعبه كان للرجل وليس للمرأة، فكانت علاقة المرأة بالله هي من خلال أبيها أو زوجها أو أخيها. وبالإيجاز كانت المرأة في العهد القديم كائن يعيش في ظل رجل.

ولم تكن الأمَّة اليهوديَّة هي الوحيدة التي لم تعط للمرأة مكانها اللائق بها. فحتى الإمبراطوريَّة الرومانيَّة أعظم إمبراطوريَّة قديمة عرفت القانون والعدل، اعتبرت المرأة فيها تحت وصاية والدها دائماً، ولا تخرج منها إلاَّ لتدخل تحت وصاية زوجها. وكانت الشرائع تقضي بالحجز عليها بعد زواجها، ولا تجيز لها الخروج من بيتها إلاَّ في حالات نص عليها القانون. ولم يكن يُسمح لها أن تستقبل في بيتها إلاَّ أقربائها المقرَّبين كإخوتها وأخواتها. ولم يكن يُسمح لها أن تجلس إلى مائدة زوجها لتأكل معه. ولم تكن الإمبراطوريَّة اليونانيَّة بكل صولجانها واتساعها وثقافتها أسعد حالاً بالنسبة للمرأة. فقد كانت المرأة أداة متعة وتسلية للرجل، وآلة تنجب له الأولاد، وخادمة تسهر على تربية أولادها وراحتهم، فانتشر الطلاق لأهون الأسباب وأتفهها.

وقرار الزَّواج كان بيد الوالدين، لأن الوالدين كانا يعولان من

يتزوَّج من أولادهم. وكانت الأم تختار لابنها[٣]، واختار يهوذا لابنه الأكبر زوجة[٤]. وكان الأب ينصح ابنه أحياناً بعدم الزَّواج من عشيرة معيَّنة[٥]، وإنما لم تكن سلطة الوالدين مطلقة[٦].

وفي العهد القديم لا توجد إشارة واحدة واضحة لمعنى "الخطوبة" أو فترة الخطوبة. ونعرف في بعض الحالات فترة ما بين الخطوبة والزَّواج. مثل خطوبة رفقة في ما بين النهرين، والزَّواج في كنعان[٧]. وكانت العادة أن تتزوَّج البنت الكبرى قبل الصغرى[٨]، وفي عصر متأخر وهو عصر التلمود حدد علماء اليهودية سن الزَّواج بـ ١٢ سنة للبنت، و١٣ سنة للولد.

وكان العريس يلبس على رأسه تاجاً[٩]، ويخرج من بيت أبيه يحيط به الأصدقاء ويسير الكل في موكب الطبول[١٠] حتى يصل إلى منزل العروسة. أما العروسة فكانت تستعد بارتداء أفخر ما لديها من ثياب والتزين بالجواهر[١١]، وتلبس برقعاً على وجهها[١٢]، وكانت تنزع البرقع في منزل الزوجية فقط. ويفسر لنا هذا الأمر لماذا وضعت رفقة البرقع على وجهها عندما رأت اسحق[١٣]. وبسبب وجود البرقع تمكن لابان من

٣ـ تكوين ٢١:٢١
٤ـ تكوين ٨:٣٨
٥ـ تكوين ١:٣٨-٢
٦ـ تكوين ٣٥،٢٦:٣٤، تكوين ٣٤، قضاة ٢:١
٧ـ تكوين ١٧:٢٤
٨ـ تكوين ٢٦:٢٩
٩ـ نشيد الأنشاد ١١:٣ ؛ إشعياء ١٠:٦١
١٠ـ ١مكابيين ٣٩:٩
١١ـ مزمور ١٤:٤٥، ١٥ ؛ إشعياء ١٠:٦١
١٢ـ نشيد الأنشاد ١:٤، ٣ ؛ ٧:٦
١٣ـ تكوين ٦٥:٢٤

خداع يعقوب واستبدل راحيل بليئة[١٤].

وكانت حفلات الزَّواج تبدأ عند الغروب لأن العادة في فلسطين كما كانت عند اليونان "أن تُحمل العروسة من منزلها عند الغروب"، أو بعد ذلك في ابتداء الليل. وكانت العروسة في خمارها الفضفاض المترامي مكلَّلة بالزهور ومرتدية أبهى الثياب تحيط بها صديقاتها منذ خروجها من منزل أبيها إلى وصولها إلى منزل زوجها[١٥]، ويزفونها على أنوار الشموع وأصوات الغناء والرقص ونفخ المزمار ودق الطبول. وكانت الأغاني تدور حول مدح العروسين[١٦]. ولعل خير نموذج لهذه الأغاني هو المزمور ٤٥ وأحياناً كانت العروسة ترقص وهي في طريقها إلى منزل زوجها[١٧]. وكان العريس يأتي لمقابلتها مع جمع من أصدقائه الشباب.

وفي الحقيقة فإننا لا نجد أي إشارة إلى صلوات تقال أثناء إتمام الزَّواج عند الشعوب القديمة. ولكن من المؤكد أن حفلات الزَّواج كانت تقام بشكل يمكن اعتباره اليوم حفلات "مدنيَّة" لا أثر للطقوس الدينيَّة فيها، ولكن يجب الانتباه إلى أن كل ما في الحياة المدنية في العالم القديم كان يعتمد في المراحل الأولى على العقيدة الدينيَّة. كما أنه ليس لدينا أي فكرة عن عقد الزَّواج نفسه في العهد القديم سوى إشارة واحدة في سفر طوبيا. وقد عثر علماء الحفريات والآثار على عقود زواج في جزيرة فيلة في مصر خاصة بالجالية اليهودية هناك. وحسب قوانين حمورابي كان عدم وجود عقد الزَّواج معناه بطلان الزَّواج نفسه، أما في العهد القديم فلا

١٤ـ تكوين ٢٩:٣٣
١٥ـ مزمور ٤٥:١٥ ؛ تكوين ٢٤:٦٧
١٦ـ إرميا ١٦:١٩
١٧ـ نشيد الأنشاد ١:٧

نعرف أهمية عقد الزَّواج.

وكان حفل العرس يستمر أحياناً سبعة أيام[١٨] عند من يستطيعون ذلك، أو يوماً أو اثنين كما كانت العادة عند الطبقات الفقيرة. وكان كرم الضيافة مقدَّساً - ولازال - في الشرق، بالغاً حد الكمال.

وكان الزوج هو سيد ورب الزوجة، وهي كلمة "بعل" العبرانيَّة، فهو بعل البيت[١٩]، والمرأة قنية من قنايا زوجها أو بعلها[٢٠]. والوصايا العشر عند اليهود كانت موجَّهة للرجل وليس للمرأة.

أما وثيقة الطلاق التي أشار إليها السيِّد المسيح له المجد فقد أشار إليها سفر التثنية[٢١] وقد عُرفت بعد الرجوع من السبي[٢٢]. ولذلك لا يمكن أن نتصوَّر وجود وثيقة طلاق وانعدام وثيقة زواج. والمشكلة التاريخيَّة هي عدم وجود وثائق زواج يهوديَّة في فلسطين، وما لدينا الآن يعود إلى عصر الرومان فقط، وهو تأثير روماني على اليهوديَّة.

أما صيغة سفر طوبيا فهي صيغة فريدة وتقول: "من الآن أنت أختي" أو "من الآن أنت أخوها وهي أختك"[٢٣]. وفي عصر زواج متأخِّر في القرن الثاني الميلادي يقول الزوج "أنت تكونين زوجة لي".

١٨ـ قضاة ١٢:١٤ ؛ طوبيا ١٩:١١
١٩ـ خروج ٣:٢١ ؛ ٢صموئيل ٢٦:١١ ؛ أمثال ٤:١٢
٢٠ـ تكوين ٢٣:٢٠ ؛ تثنية ٢٢:٢٢
٢١ـ تثنية ١:٢٤-٣
٢٢ـ إرميا ٨:٣
٢٣ـ انظر: طوبيا ١١:٧

الزَّواج في كنيسة العهد الجديد

تميَّز الزَّواج المسيحي في عصوره المبكِّرة بتلك الممارسات العائلية التي كانت تصاحب احتفالات الأعراس في البلاد المختلفة. فظلت طقوس سر الزِّيجة تحمل في أصولها تقاليد كل شعب من الشعوب، وحضارته الخاصة، إذ اختارت كل كنيسة من تقاليد بيئتها ما يناسب الروح المسيحيَّة الجديدة، وضمَّنتها أبعاداً روحية لم تخلو من عوائد اجتماعيَّة ألفتها كل بيئة نشأت فيها الكنيسة المسيحيَّة، مثل الشرب من كأس خمر مشتركة كما في الكنيسة اليونانيَّة، أو توقيع السجل، أو رعاية وشهادة إشبين كما في كل الكنائس الشرقيَّة تقريباً. وفي كلا الشرق والغرب فإن الليتورجيَّة التي صاحبت إتمام سر الزَّواج قد عرفت في بداية القرن الرابع الميلادي، ولكنها ظلت ملتزمة بحفاظها على التقاليد الاجتماعيَّة ودلالاتها، والتي عُرفت بها قبل المسيحيَّة حتى السلام القسطنطيني (منذ منشور ميلان سنة ٣١٢م) عندما أصبح الاحتفال بسر الزِّيجة ذا صفة سرائريَّة. فكيف كان المسيحيون الأوائل يمارسون سر الزِّيجة في أعراسهم التي كانت في المسيح؟

وحين نلقي ضوءاً على زواج المسيحيِّين في الثلاثة قرون الأولى، نجد أنه ليست لدينا مصادر عن طقس سر الزِّيجة في العصر الرسولي. وآباء الكنيسة وإن أهملوا الكلام عن طقوس الزَّواج وشرحها، إلاَّ أنهم لم يهملوا الحديث عن قدسيَّة الزَّواج. وبحسب ما أورده القدِّيس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس[٢٤]، يتَّضح لنا أن الزِّيجة في عصر الرسل كانت عملاً دينياً مقدَّساً، وكانت تُعقد باسم الرب. ولدينا كتابات قليلة عن السر لآباء القرن الثالث الميلادي وما قبله.

فالقدِّيس إغناطيوس الشهيد (٣٥- ١٠٧م) يرى أن الزَّواج لا يتم

٢٤- ١كورنثوس ٧:٣٩

إلاّ بموافقة الأسقف. حيث يتّضح لنا منذ بداية القرن الثاني الميلادي أن الكنيسة كان لها سلطان في مراقبة زواج أعضائها. فيقول في رسالته إلى الأسقف بوليكاربوس (+ ١٥٥م)[٢٥]:

[يجب على المتزوجين رجالاً ونساءً ألاّ يعقدوا زواجهم إلاّ بموافقة الأسقف، حتى يكون زواجهم بحسب الرب، وليس من أجل شهواتهم. لتكن كل الأشياء من أجل مجد الله].

وفي الحقيقة فإن التماس موافقة الأسقف على الزّواج كان هو كل شئ لاسيَّما في الحالات التي لا يسمح بها القانون المدني مثل زواج المرأة النبيلة من واحد من عامة الشعب حراً كان أم عبداً، أو زواج الإكليروس مثلاً.

وعند الشهيد ترتليان (١٦٠- ٢٢٥م) تستلزم الخطوبة المهر كعربون للزّواج المقبل، وخاتم الخطوبة يستخدم كختم ممتلكات الأسرة ليوضّح أن الزوجة القادمة شريكة في البيت. وكذلك البرقع أو الطرحة وهو أحد الملابس الطقسيَّة للمرأة في الخطوبة أو الزّواج. وموضوع الأكاليل، وصوم العروسين لأنهما سيتناولان، وتشابك الأيدي بالسلام، وتبادل القبلة[٢٦].

وعندما يوضّح مؤلّف الرسالة إلى ديوجنيتس Diognetes في أوائل القرن الثالث الميلادي "أن المسيحيِّين يتزوجون مثل الآخرين" فلم يكن يعني بذلك مراسيم الزّواج التي كانت تُمارس آنئذ، ولكنه برغم ذلك لم

25- Lettre à Polycarpe, 5,2.

26- Davis, J.G., *A Dictionary of Liturgy and Worship*, SCM Press LTD, 1972, p. 256.

يوضِّح ماذا كان يتم في مثل هذه الاحتفالات.

ولكننا نعلم أن المسيحيِّين في ذلك العصر (غضون القرن الثالث الميلادي) لم يتخلوا عن عوائد أسلافهم في احتفالاتهم بالزَّواج ولكن بعد تطهُّر هذه العوائد من ممارساتها الوثنيَّة، مثل تقديم الذبائح للأوثان، بالإضافة إلى عدم الإسراف في مظاهر مواكب الزَّواج الاحتفاليَّة.

ولقد وجدت الكنيسة أن شرط الرضى بين الطرفين كشرط قانوني يمكن قبوله. فقنَّنته وجعلت منه شرطاً أساسياً لتكميل الزَّواج تكميلاً كنسياً، أي دينياً.

ولقد حدَّدت الكنيسة لنفسها قوانينها الداخليَّة الخاصة بالزَّواج تمشياً مع المتطلبات الشرعيَّة التي سادت شرائع الزَّواج في ذلك العصر، مع وضع مبدأ عدم الطلاق في المرتبة الأولى.

ولم تكن توجد أي بركة ليتورجيَّة تبارك الزَّواج. فمسيحيُّو القرون الأولى لم يجهلوا مع ذلك أن معمودِّيتهم هي السبب الأساسي لتغيير جوهر هذه الممارسة التي يتممونها. فهم يتَّحدون بالمسيح، ووحدتهم هي علامة وحدة فائقة ترقى إلى اتحاد المسيح بالكنيسة. ونجد ذلك الاعتقاد عينه في شهادة العلاَّمة ترتليان (١٦٠- ٢٢٥م)[٢٧].

يقول العلاَّمة ترتليان في رسالة وجهها إلى زوجته في منتصف القرن الثاني الميلادي:

[من أين أستقي القوَّة لأصف وصفاً مرضياً سعادة الزَّواج الذي تعقده الكنيسة، وتثبته القرابين، وتدفعه البركة بختمها؟

27- Ad uxorem 2, 8, 6-9.

إن الملائكة تحتفي به، والآب السماوي يصادق عليه ...

أي زوجين هما هذان الزوجان المسيحيَّان المتحدان برجاء واحد، ورغبة واحدة، ونظام واحد، وبالخدمة ذاتها؟ كلاهما ابنان لأب واحد، وخادمان للمعلم ذاته. لا شيء يفصلهما لا في الروح ولا في الجسد، بل بالعكس، إنهما حقاً اثنان في جسد واحد. وحيث الجسد واحد فالروح أيضاً واحد. معاً يصليان، ومعاً يسجدان، ومعاً يصومان. كل منهما يرشد الآخر بالتبادل، ويحثه على الخير بالتبادل، ويشجعه بالتبادل. إنهما كلاهما على قدم المساواة حول مائدة الله، وعلى قدم المساواة في الشدائد والاضطهادات والتعزيات ...].

لقد رأي البعض في هذا النص السابق إشارة إلى قيام طقس للزَّواج المسيحي منذ القرن الثاني الميلادي. وما يلفت النظر جداً في هذا النص هو قول ترتليان إن الزَّواج كان يُعقد بواسطة الكنيسة. وإن عبارة "تثبته القرابين" ربما تشير إلى أنه كان يتم قبل تقديم القرابين أي سر الإفخارستيًّا. وإن كان الأمر كذلك، فهي تعد أقدم إشارة عن ارتباط سر الزَّواج بسر الإفخارستيًّا. كما أن عبارة "تدفعه البركة بختمها" ربما تكون إشارة إلى صلوات خاصة تُتلى على رأس العروسين كصلاة بركة لتقديسهما. ولكن النص لا يسمح لنا بمعرفة أبعد من ذلك.

ومع القرن الرابع الميلادي حاولت الكنيسة إسباغ بعض الطقوس العائليَّة التي سادت في ذلك الوقت بصبغة ليتورجيَّة مثل وضع الأكاليل على الرؤوس، والتوقيع على وثيقة الزَّواج، ودخول العروسة إلى خدرها ... الخ.

أما كتاب الدسقوليَّة أي تعاليم الرسل – وهو من مدوَّنات القرن

الرابع الميلادي – فقد أسهب في التعليم الإنساني الراقي عن الزَّواج المسيحي. فالرجل والمرأة بالزَّواج هما واحد في الطبيعة والقلب والاتحاد والتصرف والسيرة والملازمة، ويفترقان في الجنس والعدد (٨:٣٥). والمرأة هي شريكة العمر. والزِّيجة توفِّق من الاثنين جسداً واحداً من قِبَل الله (٢٨:٣٣). أما الزَّواج فهو عفيف ومبارَك لأن الله باركه، وهو الذي يربط الرجل بالمرأة (١١٢:٣٣).

وتقدِّم الدسقوليَّة وصايا للرجل والمرأة

فللرجل تقول:

"ليحتمل الرجل امرأته، ولا يكون متعاظماً، ولا مطرحاً، لكن بالحري مترئفا ومستقيماً، مسرعاً في أن يرضي امرأته وحدها. وأن يلين معها بكرامة. وأن يكون لها حبيباً"(٣٢:٢٧).

"أيها الرجال أحبوا نساءكم مثل أعضاء لكم، لأنهن شريكات حياتكم لأجل ولادة الأولاد، لأنه قال: تنعَّم مع امرأة صباك، أيِّل حبَّك، ظبية نعمتك. فلتكن صاحياً متكلماً معها، التي لك فلتكن قبلك كل حين، لأنك إذا مشيت في محبة هذه فأنت تكثر. حبُّوهن لأنهن أعضاء لكم وأجساد. ومكتوب هكذا: «إن الرب يشهد بينك وبين امرأة صباك، وهي خليلتك وليس آخر خلقها، وهي بقيَّة روحك. احتفظوا بأرواحكم، وامرأة صباك لا تتركها عنك»" (١١٩:٣٣).

وللمرأة تقول:

"والمرأة فلتخضع لبعلها، لأن رأس المرأة هو بعلها، ورأس الرجل السائر في سبيل البر هو المسيح" (٢:١-الخ).

"والنساء فليخضعن لأزواجهن، وليكونوا مكرَّمين عندهن كعبيد لهم بخوف ومحبة. كما كانت القديسة سارة تكرِّم إبراهيم، ولم تحتمل

بالجملة أن تدعوه باسمه، لكن كانت تدعوه يا سيدي" (٣٣:١١٨).

وتحرِّم الدسقوليَّة الطلاق بغير علَّة، والأساس هنا هو أنه بالزَّواج صار الاثنان جسداً واحداً (٣٣:٢٧). وتورد في هذا ما يقوله ملاخي النبي، والقديس متى الإنجيلي[٢٨]. "فالذي يرجع أيضاً دفعة أخرى ليفرِّق الواحد من الاثنين هو عدو لخليقة الله، ومضاد لتدبيره" (٣٣:٢٨). "... لأنك بذلك تفرِّق جسداً واحداً، لأن الرجل والمرأة بالزَّواج هما واحد في الطبيعة ..." (٣٥:٨).

كان كل بيت قبطي يحوي "مقصورة صلاة"، بها أيقونة لشهيد أو لقديس أو أكثر. وتوضع في ركن خارجي من البيت، كمكان مخصَّص للصلاة العائليَّة والعبادة. وأحياناً يضيئون أمام الأيقونة قنديلاً من الزيت أو بعض الشموع تكريماً للقدِّيس وتشفعاً به. وأمام أيقونات القدِّيسين وفي مخدع الصلاة اعتادت العائلة القبطيَّة أن تجتمع لتصلي صلواتها العائليَّة في الصباح وعند الغروب. وتحتفل بالعيد السنوي لهذا القدِّيس أو هذا الشفيع، بتوزيع الصدقات وعمل وليمة للفقراء[٢٩].

في هذا الجو الروحي للأسرة المسيحيَّة يحمل كل بيت نواة الكنيسة، أي جسد واحد وأعضاء كثيرة تكمِّل بعضها البعض. فلا يفتخر عضو على الآخر. وهكذا يحل المسيح ويستريح لسكنى هذا البيت، ويظلله بروحه، ويعضده بمعونته، فيصير محل فرح الآب ومسرَّته.

إن أفضل نموذج لبيت مسيحي هو أسرة المسيح نفسها كأول بيت مسيحي على الأرض. عذراء أم هي مريم القدِّيس الطاهرة، ورجل شيخ

٢٨- ملاخي ٢:١٥ ؛ متى ١٩:٦

٢٩- دكتور مراد كامل، العصر القبطي في تاريخ الحضارة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٩٠

بار هو يوسف النجار، ويسوع الذي عاش معهما خاضعاً لهما. وإن حياة يسوع في بيته على مدى ثلاثين سنة يكتنفها كثير من الأسرار، لم يفصح التاريخ إلاّ عن لمحة منها أو ومضة خاطفة تسترق القلب، وتفتح مجالاً للتأمل لا ينضب معينه.

لقد ظلت المرأة قبل مجئ المسيح وتجسده ترى ثمرة حبلها في قبضة الموت، وفي أحزان الولادة تلد أطفالاً للموت، فكانت الحياة بابا يؤدي إلى الهلاك. وهذه هي اللعنة التي ذكرها سفر التكوين[٣٠]، والتي شرحها القدِّيس كيرلس الكبير في تفسيره لإنجيل القدِّيس لوقا (٩:٢٤). والتي بسببها تجسد المسيح، فقضي على اللعنة حين وُضعت نهاية للموت، وزال الحزن الذي ظل يثقل كاهل الأمهات.

المسيح قام فبطل الموت، وكل الذين للمسيح قد قبلوا الحياة، بل صار المسيح القائم هو حياتهم. بل صار الموت ربحهم لأنه منتهي البلوغ إلى الحياة في المسيح. المسيح داس الموت بالموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبديَّة. وهكذا صارت المرأة المسيحيَّة – وأكرِّر هنا المرأة المسيحيَّة الحقيقيَّة – تلد بنين للحياة.

٣٠- تكوين ١١:٣

الفصل الثالث

مراسيم الزَّواج المسيحي
في الكنائس الشَّرقيَّة المختلفة

تمهيد

تكوَّن الطقس المسيحي لسر الزِّيجة المقدَّس كما نشاهده الآن ببطء على مدى قرون طويلة، واكتفى في الغالب باعتماد العادات القديمة التي سادت منذ أزمنة بعيدة، مطهراً إياها من كل ما يتنافى مع الأخلاقيات المسيحيَّة ومقتضيات الإيمان. فظل كنظام اجتماعي يتواءم مع تقليد كل شعب من الشعوب، وكل ثقافة من الثقافات.

وبرغم التكوين المتأخِّر لطقس الزَّواج المسيحي إلاَّ أنه مشترك في جوهره بين كل الكنائس الشرقيَّة. وهنا يلزمنا أن نميِّز بين الطقوس التي تُمارَس، وبين الصيغ المصاحبة لهذه الطقوس. فبينما نجد تشابهاً كبيراً في الطقوس بين الكنائس المختلفة، نجد أيضاً أن الصيغ الليتورجيَّة تعبِّر عن السِّمات الخاصة التي تميِّز كل تقليد عن الآخر[1].

الخطبة في الطقوس الشرقيَّة المختلفة

تميِّز كل الطقوس الشرقيَّة تمييزاً جيداً بين الخطبة - أي الخطوبة أو الخاتم - وبين خدمة الزَّواج، باستثناء الطقس الآشوري الذي يجمع بينهما[2]. ولكن يبدو أن الاحتفال بهذين الطقسين (الخطوبة والزَّواج)

1- P. Jounel, *op. cit.*, p. 605.

٢- هنري داليس الدومينكي (الأب)، الطقوس الشرقيَّة، تعريب الشماس كامل وليم، المعهد الكاثوليكي، المعادي، ١٩٧٨م، ص١٥١

كانا متعاقبين منذ ألف سنة تقريباً[٣].

وليست لدينا تفصيلات كاملة للطقوس الخاصة بالخطبة في القرون المسيحيَّة الأولى، ولكن من تلميحات مبعثرة يمكن إعادة صياغة جانب منها.

فعند القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥- ١٠٧م) تتم الخطبة بعلم الأسقف. ومن شذرات مبعثرة عند العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م) نقرأ عن المهر وخاتم الخطوبة والبرقع وتشابك الأيدي وتبادل القبلة. والطقس القديم المميِّز لكنيسة الإسكندريَّة في تقبيل الخطيب هامة الخطيبة وضم أيديهما، يعود إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي[٤]. ونجد في أيقونة قديمة أن يدي العروسين تتشابك معاً فوق الإنجيل[٥].

وعندما جاء القانون الجرماني أعطى أهميَّة كبرى لتسليم الخواتم، وتشابك الأيدي والتي بقيت في الشرق هي الطقس المميِّز للخطبة[٦].

وبالإضافة إلى الخاتم الذي يقدِّمه العريس لعروسته، فهو يقدِّم لها أيضاً حليٍّ في الطقس الأرمني، وذلك بعد مباركتها، حيث يوضع في يدي الخطيبة "إسورة" علامة لارتباطها بخطيبها وخضوعها له، و"حلق" لأذنيها تأكيداً على أنها سمعت الكلام وقبلت به، و"صليب عنق" علامة لأمانتها. وهذا الصليب يُعطى أيضاً في الطقس الأشوري أي الكلداني، حيث يُلقى مع الخاتم في كأس الخمر المبارَكة التي يشرب منها الخطيبان وأشابينهما وذلك في كثير من الطقوس الشرقيَّة، وهو ما لا

3- P. Jounel, *op. cit.*, p. 605.

٤- الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ص ١٥٢

5- DACL 10, Col. 1095 et 1924.

٦- المرجع السابق، ص ١٤٧

يعرفه الطقس القبطي بين الطقوس الشرقيَّة[٧].

وفي الطقس الأرمني ترد أطول قائمة قراءات كتابيَّة بين كافة الطقوس الشرقيَّة[٨]، حيث تحوي ما لا يقل عن سبع عشرة قراءة، وهي مرتبة كما يلي: فصل أو أكثر من العهد القديم، ثم فصل من أحد رسائل بولس الرسول، ثم فصل من الإنجيل المقدَّس.

ففي صلاة الخطبة تقرأ الكنيسة الأرمينيَّة الفصول التالية:

- أمثال (٩:١٢-١٧) «المرأة الجاهلة صخَّابة حمقاء ... لتنادي عابري السبيل المقومين طرقهم، من هو جاهل فليمل إلى هنا والناقص الفهم تقول له: المياه المسروقة حلوه، وخبز الخفية لذيذ».

- نشيد الأنشاد (٨:١٤) «اهرب يا حبيبي وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب».

- هوشع (١٤:٦-٩) «فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها، وأما المنافقون فيعثرون فيها».

- إشعياء (٢٧:١١-١٣) «... ويكون في ذلك اليوم أنه يُضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون في أرض أشور، والمنفيون في أرض مصر، ويسجدون للرب في الجبل المقدَّس في أورشليم».

- غلاطية (٤:٣-٧) «هكذا نحن أيضاً لما كنَّا قاصرين كنَّا مستعبدين تحت أركان العالم ... لست عبداً بل ابناً، وإن كنت ابناً فوراث لله بالمسيح».

- لوقا (١:٢٦-٢٨) «وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من

٧- يوحنا تابت وآخرون، الأسرار، منشورات قسم الليتورجيا، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٨٧م، ص ٢٠١

8- P. Jounel, *op. cit.*, p. 607.

الله ... إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم ...».

والطقس الأرمني أيضاً يبارك ثوب الخطيبة ويفرد له ثلاث قراءات من العهدين القديم والجديد.

إشعياء (٦١:١٠-٦٢:٣) «فرحاً أفرح بالرب ... لأنه ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البر ... الخ».

رسالة بطرس الرسول الأولى (٣:١-٩) «... لا تكن زينتكن الزينة الخارجيَّة ... بل ... زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن».

يوحنا (٢:١-١١) «وفي اليوم الثالث كان عُرس في قانا الجليل ...».

وفي الطقس البيزنطي يقام طقس الخطبة بعد ذبيحة الإفخارستيَّا عند مدخل الهيكل. ويوضع على المذبح خاتمان، أحدهما من ذهب، والآخر من فضة، ويستقبل الكاهن الخطيبين عند مدخل الكنيسة، ويباركهما ويسلمهما شمعة موقدة لكل منهما، ويدخلهما إلى صحن الكنيسة. وتبدأ الخدمة الليتورجيَّة بطلبة إفتتاحيَّة، ثم صلاتان زمن تأليفهما قديم جداً. ومنذ نهاية الجيل العاشر على الأقل كان يلي ذلك تسليم الخواتم التي يتبادلها الخطيبان.

أما الكنائس السريانيَّة والأرمينيَّة فقد جعلت من حلي وملابس الخطيبة شيئاً مقدَّساً عن طريق منحها البركة. ومن أقدم العادات في الكنيسة السريانيَّة تثبيت الخطوبة عن طريق تسليم صليب صغير للخطيبة تحمله في عنقها. ونجد هذه العادة مذكورة كطابع مميِّز للخطوبة في كتاب خدمة الأسرار في الكنيسة الأرمينيَّة، وهو كتاب يرجع إلى القرن العاشر

الميلادي. والصلاة التي تصحب وضع هذا الصليب حول عنق الخطيبة لازالت مستعملة لدى الأرمن الكاثوليك برغم اختفاء الطقس نفسه[٩].

أما في الكنيسة السريانيَّة الأنطاكيَّة فتعتبر هذه العادة من صميم التقليد بشهادة مجموعة قوانين ابن العبري (١٢٢٥- ١٢٨٦م).

وتعرف الكنيسة القبطيَّة أيضاً هذه الممارسة منذ القرن الثالث عشر على الأقل. ولقد تحدَّث ابن العسال (القرن الثالث عشر) عن الخطبة في التقليد القبطي بإسهاب ذاكراً الشعائر الدينيَّة المتبعة فيها، وتشمل الصلاة ووضع اليد على الخطيبين وتبريك خاتمي الخِطبة للدلالة على صدق الوعد بالزَّواج.

أما الأصل القديم في مختلف الطُقوس الشرقيَّة فلم يكن يعرف سوى خاتم فحسب يسلَّم للخطيبة بيد الخطيب أو باسمه.

أما التقليد السرياني الشرقي (الطقس الأشوري) فقد وحَّد تماماً بين طقس الخِطبة بالخاتم والصليب، وبين طقس اقتسام الكأس الذي يميِّز خدمة طقس الإكليل في الكنيسة البيزنطيَّة[١٠]. ذلك لأن الخطيبين في هذا الطقس يصبحان بحكم القانون في عرف زوج وزوجة، حتى ولو كانت الظروف لا تتيح الزَّواج إلاَّ بعد سنين كثيرة. ومن ثمَّ فلا يمكن للخطيب أن ينفصل عن خطيبته في حالة عدم التوافق معها إلاَّ بوثيقة فسخ الخِطبة أي "الطلاق".

9- P. Jounel, *op. cit.*, p. 605.

١٠- الطقوس الشرقيَّة، ص ١٥١، ١٥٣

المَهر والهدايا

في فترة الخطبة أو الخطوبة يقدِّم الخطيب لخطيبته نوعين من الهدايا هما المهر والهدايا:

★ "المَهر"

المَهر هو الصَدَاق، وجمعها "مُهور ومُهورة". والمَهر هو ما يُجعل للمرأة من المال لتنتفع به شرعاً وتنفقه معجَّلا أو مؤجَّلا. ويُقال: "هذا مَهُر ذاك"، أي عوضه. والمهيرة من النساء – وجمعها مهائر – هي المرأة الحرَّة الغالية المَهر(١١).

ويذكر القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أن المهر هو "الأربون" أي "العربون" كما نسميه في اللغة العربيَّة، وتحت عنوان: "في الأربون وهو تقدمة المهر" يقول: متى امتنع قابضه وفرك الموافقة (أي فسخ الاتفاق) يرد ما قبضه مضاعفاً. وإن فرك المعطي سقط الأربون الذي أعطاه. فإن عرض موت، ففيه قولان؛ أحدهما يرد الحي إلى ما حُمل إلاَّ أن يكون المتوفى هو سبب تأخير العُرس. وثانيها إن كانت المرأة هي المتوفاة فليسترجع الخطيب من أهلها ما صار إليها من جهته سوى المأكول والمشروب. وإن كان الرجل هو المتوفى ولا وارث له، فليُترك لها ما صار إليها من جهته. وإن كان له ورثة فليُرد إليهم النصف ويُترك لها النصف.

وإن كان الأملاك صحيحاً وامتنعت الخطيبة بعد دفع الأربون لسبب من الأسباب المكروهة، لم يكن هي ولا أبواها علموا به قبل الأملاك، فيعيدوا ما صار إليهم من الأربون ولا يطالبوا بضعف. وإن كان على

١١- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢٦

علم بذلك السبب من قبل فلا يلومن إلاّ أنفسهم[١٢].

والمهر هو بمثابة هديَّة من العريس لعائلة العروسة، وختمٌ للعهد الذي يربط الأسرتين، ونوع من التعويض عن أخذ الفتاة من أسرتها. ومع قلّة الإشارات إلى المهر في كتاب العهد القديم، لا يمكننا أن نعتبر المهر هو بمثابة شراء الرجل لزوجته[١٣]. وكان والد الفتاة هو الذي يحدِّد قيمة المهر في العهد القديم[١٤]. وظل المستوى الاجتماعي هو العامل الهام في تحديد قيمة المهر[١٥].

والمهر لا يلزم أن يكون أموالاً تُدفع فقط، ولكنه يمكن أن يكون هبات عينيَّة. ولازال المهر في الطقس الأشوري مبلغاً من المال مع كمية من الغلال. ويبدو أنه من حق الزوج أن يدفع جزءاً من المهر كعمل يدوي كما فعل يعقوب أب الآباء[١٦]. أو أن يقوم بعمل شاق مثل داود الذي قتل مائتي رجل[١٧]. أو القتال[١٨].

والزَّوجة التي يُدفع مهرها لا يمكن أن تُباع بالمرة[١٩]. وكان المهر يبقى للزوجة وترثه بعد وفاة الوالد، ويعطى ما تبقى منه فور حدوث الطلاق. ولعل هذا هو ما جعل ليئة وراحيل أن تقولا «أكل أيضاً ثمننا» (تكوين ٣١:١٥).

١٢- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

١٣- انظر: تكوين ٣٤:١٢ ؛ خروج ٢٢:١٦ ؛ ١صموئيل ١٧:١٥

١٤- انظر: تكوين ٢٩:١٨، ٣٤:١٢، ١صموئيل ١٨:٢٥، خروج ٣:١

١٥- ١صموئيل ١٨:٣ ؛ وتثنية ٢٢:٢٩ ؛ لاويين ٢٧:٤، ٥

١٦- تكوين ٢٩:١٥-٢٧

١٧- ١صموئيل ١٨:٢٥-٢٧

١٨- يشوع ١٥:١٦ ؛ قضاة ١:١٢

١٩- تثنية ٢١:٧-١١

وفي المجموع الصفوي لابن العسَّال؛ لا يجوز التزويج بلا جهاز ولا مهر (باب ٢٤، فصل ٣:٥١). ومن قوانين البابا كيرلس الثالث بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م) كان يجوز رد المهر في حالة رهبنة أحد الطرفين، أو موت أحدهما، وفي غير هاتين الحالتين لم يكن يُسمح بذلك[٢٠].

★ "الهدايا"

وهي هدايا العريس للعروسة، وهي عادة من الحُلي والثياب، ولا علاقة لها بالمَهر[٢١]، وكانت تُقدَّم كنوع من المكافأة على قبول الخطوبة. ولذلك عندما وافق لابان على زواج رفقة قدَّم عبد إبراهيم الجواهر والهدايا[٢٢].

وفي قوانين حمورابي (سنة ١٢٠٠ ق.م) يقدِّم العريس هدايا لوالدي الفتاة، فإذا نكثا بوعدهما ولم يزوِّجاه ابنتهما يدفعان غرامة هي ضعف ما أخذاه من العريس.

وعند أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م): "كل ما أهداه الرجل على تمام التزويج، متى لم يكن العُرس، فليعاد إليه. وإن كان هو الذي بدا له فقد أضاع أربونه وهديته"[٢٣].

خاتم الزَّواج

كان استعمال الأختام شائعاً، بل ممارسة عامة. ولازلنا نسمي ما

20- BSAC., t. 12, p. 90.

٢١- تكوين ٣٤:١١

٢٢- تكوين ٢٤:٥٣

٢٣- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

نضعه في أصابعنا في الخطوبة والزَّواج "خاتم"، والمقصود به أصلاً "ختم". أي أنه خاتم يُستخدم في ختم الأشياء. وكل من يستعمل شيئاً خاصاً به، كان يضع عليه ختمه كعلامة لملكيَّته لهذا الشئ.

وقد أشار القدِّيس بولس الرسول إلى استعمال الختم في كلامه عن صحة رسوليته[٢٤]. ويذكر العلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠- ٢١٥م) في كتابه "المربي"[٢٥] أن يكون في أصبع كل مسيحي خاتم.

ويصف القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) الخاتم على أنه الختم المسيحي، وإشارة الخِطبة، وعربون العُرس، وعلامة المحبَّة.

والخاتم قديم العهد جداً في الزَّواج المسيحي، ونجد الإشارة إليه عند العلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠- ٢١٥م) حيث يقول:

[ينبغي للعريس أن يعطي عروسته خاتماً من ذهب، لا لتفتخر به، بل لتختم به الأشياء البيتيَّة التي تُسلَّم إليها].

ويبدو أن الخاتم كان يُعطي للعروسة فقط، ولكن فيما بعد صار لكل من العروسين خاتم[٢٦].

فخاتم العُرس يشير إلى الأمانة الزوجيَّة، ويشير أيضاً إلى الحقوق الخاصة بالزَّوجة التي هي ربة البيت وأم العائلة. ويدل أيضاً على الكرامة التي نالتها المرأة لدى رجلها كما كان لزربابل بن شالتئيل لدى الله إذ قال عنه: «وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك يقول رب

٢٤- انظر: ١كورنثوس ٩:٢

٢٥- المربي، ك٣: ق١١

26- Cross, F.L., & Livingstone, E.A., *The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC)*, (2nd edition), 1988, p. 1188.

الجنود» (حجي ٢:٢٣).

وقالت العروس في سفر نشيد الأنشاد: «اجعلني كخاتم على قلبك، كخاتم على ساعدك، لأن المحبَّة قوية كالموت» (نشيد ٨:٦).

ويوضع الخاتم في الأصبع البنسر. وقد تسمى الأصبع باسم الخاتم Annulaire . ويتميَّز هذا الأصبع بحسب علم البيولوجيا اليوناني بارتباطه بالقلب بواسطة شريان خاص. فيُحبس القلب انطلاقاً من هذا الأصبع[٢٧].

الإكليل الذي يوضع على رأس العروسين

إن لحظة وضع الأكاليل على رأس العروسين في الكنيسة المسيحيَّة أصبحت منذ القرن الرابع الميلادي فصاعداً هي قمة مراسيم سرّ الزِّيجة.

وهذه الأكاليل في الكنيسة القبطيَّة هي إكليلان من الذهب أو الفضة، أو أي شئ أخضر[٢٨]. وهي غالباً من الفضة المغشاة بالذهب وعليها علامة الصليب. وهي في الكنيسة البيزنطيَّة والكنيسة الأرمينيَّة تكون أحياناً أكاليل من الزهور بدلاً من الأكاليل المعدنيَّة.

ونعلم من القدِّيس غريغوريوس النزيزي (٣٢٩- ٣٨٩م) والقدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) أن الأساقفة كانوا يُدعون بكثرة لوضع إكليل العُرس على رأس العروسين. وكانت الكنيسة الأرمينيَّة هي أول كنيسة نرى فيها الطابع الطقسي المحض للاحتفال بوضع الأكاليل

٢٧- يوحنا تابت وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٠٢

٢٨- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

على رأس العروسين، حيث قُبل وتثبت رسمياً منذ حبرية نرسيس الأول الكبير (٣٦٤-٣٧٣م).

ولقد تردَّد الأساقفة زمناً في الاعتراف بتلك الأكاليل وتثبيتها بواسطتهم، بسبب نفور المسيحيِّين في البداية من استعمال تلك الأكاليل. أما التحول الحاسم في استخدامها، فقد بادر به القدِّيس يوحنا ذهبي الفم، الذي اكتشف فيها معنى انتصار الزوجين، إذ يتقدمان نحو ميناء الزَّواج غير مقهورين من الشهوة[٢٩]، فيقول في ذلك:

[نضع إكليلاً على رأس العروسين رمزاً لانتصارهما، لأنهما يتقدمان للزَّواج غير مقهورين إذ لم يغلبا من الشهوة][٣٠].

ومن مخطوطات القرن السابع الميلادي، ونقلاً عن القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) في القرن الرابع نعرف أن الأكاليل هي رمز للانتصار على الشهوة، وحفظ البتوليَّة. لأن من انتصر على الشهوة وحفظ البتوليَّة يستحق الإكليل. وهذا يعني أن الزوجين يتزَّوجان لا لحفظهما من الشهوة فحسب، بل مكافأة لهما على حفظ البتوليَّة أيضاً. ولذلك لا توضع الأكاليل إلاَّ على الأبكار فقط. وبذلك تشجعهما الكنيسة على الاحتفاظ بنعمة الزَّواج، وعلى أن يتوجا حياتهما الزوجيَّة بإكليل العفاف والطهارة.

وعند القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م)، وضع الأكاليل على رأس العروسين هو إشارة إلى أن الله لما خلق آدم وحواء ألبسهما أكاليل الفرح والنعمة. وهو يشير روحياً إلى الإكليل الذي توِّج به يسوع يوم عُرسه، وأشارت إليه العروس في النشيد بقولها: «اخرجن يا بنات

٢٩- هنري داليس، الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ص ١٤٩

30- P. Jounel, *op. cit.*, p. 606.

صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجته به أمه يوم عرسه، وفي يوم فرح قلبه» (النشيد ٣:١١).

كما أنهما يشيران إلى أن كلا الزوجين قد صارا ببركة رباط الزوجيَّة تاجاً للآخر. فإن كان الرجل هو رأس المرأة، فإن المرأة الفاضلة هي تاج لبعلها[٣١]، كما أن الكنيسة هي تاج جمال وتاج بهاء ليسوع وشعبه[٣٢].

كما أن وضع الأكاليل على رأس العروسين يظهرهما أنهما ملك وملكة في ملكوت الله، لكي ينموا ويكثروا ويروا أولاد أولادهم. كما أنها دلالة أيضاً على أكاليل الشهداء لكي تبين أن هذا الزَّواج الجديد هو شهادة للمسيح في العالم. وهذا التتويج مبني على قول المزمور: «وضعت على رأسيهما إكليلاً من حجر كريم. سألوك الحياة فأعطيتهم» (مزمور ٢١)[٣٣].

وبعد استخدام الأكاليل كان يُحتفظ بها فوق المذبح. فكانت تعتبر أنها من الأشياء الخاصة بالمذبح[٣٤].

الارتباط الوثيق بين سرّ الزَّواج وسرّ الإفخارستيَّا

الربط بين طقس سر الزَّواج وسر الإفخارستيَّا قديم العهد. ويرده الأب ريتزر إلى القرن الرابع الميلادي، ولكن بحسب شهادة العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م) يتَّضح أنه أقدم من ذلك.

٣١- ١كورنثوس ١١:٣ ؛ أمثال ١٢:٤ ؛ ١كورنثوس ١١:٧

٣٢- انظر: إشعياء ٢٨:٥

33- Davis, J.G., A Dictionary of Liturgy and Worship, p. 257, 258.

٣٤- ألفريد بتلر، الكنائس القبطيَّة القديمة في مصر، الجزء الأول، ترجمة الأستاذ إبراهيم سلامة، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ٥٥

ونجد هذا الربط بين طقسي الزَّواج والإفخارستيَّا في أقدم مخطوطات الطقس البيزنطي. كما أن الطقس الأرمني يُلزم العروسين بالتناول من الأسرار المقدَّسة بعد صلاة الإكليل. ولأن الطقس القبطي القديم كان ينهج نفس النهج الذي اتبعته كافة الطقوس الشرقيَّة حين كان طقس الإكليل يُعقد بعد صلوات رفع البخور وقبل بدء القدَّاس الإلهي يوم الأحد، فقد شدَّد الطقس القبطي المتأخر أو الحالي على ضرورة تناول العروسين قبل الزَّواج، حين بدأ طقس الإكليل يبتعد عن قداس يوم الأحد صباحاً ليُعقد عصر ذات اليوم أو مسائه، أي بعد انتهاء القدَّاس الإلهي. وهو نفس ما ينتهجه الطقس البيزنطي الآن الذي يتمم سرّ الزَّواج بعد خدمة القدَّاس الإلهي ومناولة العروسين جسد الرب ودمه الكريمين.

فسر الزِّيجة يتحتم أن يتم في الكنيسة، لأن وقوف الرجل والمرأة وسط المؤمنين وأمام الهيكل المقدَّس هو جزء جوهري من تقبل سرّ اتحاد المسيح بالكنيسة، والرجل بزوجته.

وفي الكنيسة القبطيَّة وبرغم انعزال الإكليل عن القدّاس بقى يوم الأحد فقط هو يوم الإكليل كأثر من آثار القدَّاس وامتداد له. ولكن مع الوقت دخلت أيام الأسبوع الأخرى – باستثناء يوم السبت[٣٥] – مزاحمة يوم الأحد، يوم القيامة، كي يقام في أي منها سرّ الإكليل المقدَّس، وذلك ابتداءً من الثلاثينيات من القرن العشرين في الكنيسة البيزنطيَّة. وسادت في الستينيات منه في الكنيسة القبطيَّة، وكانت قد بدأت في مصر كعادات أفرنجية تسربت إليها منذ القرن التاسع عشر عند كبار الأقباط.

٣٥- لأنه بحسب قوانين الكنيسة تُمنع إقامة العلاقة الزوجيَّة عشية التناول من الأسرار المقدَّسة. و لم تكن هناك مباحثة في الذهاب أو عدم الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد، يوم الرَّب، الذي هو يوم القيامة.

ولكن في القديم لم يكن الأمر هكذا، فلدينا إشارة من القرن الثاني عشر الميلادي تفيد بأن الإكليل كان يقام في يوم الأحد فقط. فيقول القس سمعان بن كليل في كتابه "حكمة الآباء المصريين" ما يلي: "... ومتى تم عقد الأملاك، فإن صلاة الإكليل التي تتبعها بعد أيام وعلى جرى العادة تعقد في أيام الآحاد فقط. وهذه عادة مرعية وقديمة وصلتنا من الآباء، لأنه يوم اجتماع شعب المسيح بفرح القيامة وبالحياة الجديدة. ويُقام القدَّاس وتطلب البركة وهدوء العمر ونقاوة الحياة لكل أحد ولاسيَّما للعروسين"(٣٦).

وبحسب رأي البابا كيرلس بن لقلق (١٢٣٥- ١٢٤٣م) لا يمكن الاحتفال بالإكليل دون قبول الجسد الكلي الطهر، والدم الكلي الإكرام. فحتى القرن الثالث عشر كان العروسان يتقربان من الأسرار المقدَّسة وقت الإكليل كما ذكر البابا كيرلس بن لقلق(٣٧). ففي قوانينه يمنع عمل الإكليل خارجاً عن الكنيسة والقربان(٣٨). أي يشترط أن يكون الإكليل في الكنيسة وفي وقت القربان. ويعود يؤكد في قوانينه مرة أخرى على نفس الشئ فيقول: "... وأما ما سوى ذلك الزَّواج فمباح بشرط تكليل الكاهن لهما ظاهراً في الكنيسة بمحضر من جماعة، وتقريبهما وقت الإكليل"(٣٩).

وهو نفس ما يذكره القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) قس كنيسة السيدة العذراء المعلقة بمصر القديمة، وكانت هي المقر

٣٦- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٥٢

37- BSAC., t. 12, p. 93, 87.

٣٨- في الفصل الثالث من مجموعة الـ ١٢ فصلاً القانونيَّة له: "لا تغيَّر العوائد المستقرة في البيع القبطيَّة ... كمنع من يكلِّل سراً في البيوت خارجاً عن الكنيسة والقربان".

٣٩- انظر: الفصل الرابع من الباب الثاني من مختصر القوانين لابن لقلق.

البطريركي في ذلك الوقت. ففي الباب العشرين من كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" وهو بعنوان: "في الزيجات الناموسيَّة والأكاليل" يقول: "الزِّيجة الأولى للعروسين، يعقد لهما الأملاك في البيعة برفع البخور وأوضاعه المكمِّلة، ثم صلاة الإكليل كاملة. ولا يُعمل شئ من ذلك في بيت. والأملاك الذي يحصل في البيوت إنما هو اتفاق لا عقد، ولذلك يجوز فسخه ...".

ثم يقول في موضع آخر من نفس الباب العشرين: "عقد التزويج لا يتم ولا يكون إلاَّ بمحضر كاهن وصلاته عليهما وتقريبهما لهما القربان المقدَّس في وقت الإكليل، الذي به يتحدان ويصيران جسداً واحداً كما قال الله سبحانه. وعلى خلاف ذلك لا يُعد لهما تزويجاً، فإن الصلاة هي التي تحلل النساء للرجال، والرجال للنساء"[٤٠].

يقول البابا غبريال الخامس في مستهل حديثه عن ترتيب عقد الأملاك "جرت العادة بعد صلاة نصف الليل وصلاة باكر ..."، فهو يشرح إذاً طقساً جرت به العادة، وليس طقساً مستحدثاً. ونلاحظ أن صلاة نصف الليل التي يشير إليها هي المختصَّة بالتحضير لقدَّاس يوم الأحد. فالإكليل لم يكن يُعقد في الكنيسة إلاَّ في يوم الأحد الذي هو يوم الرب ويوم القيامة. لأنه عند العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م) يشمل الزَّواج الاشتراك في الإفخارستيَّا[٤١].

ولقد بدأ طقس تتميم الإكليل المقدَّس يبتعد عن وقت القربان المقدَّس منذ القرن السادس عشر تقريباً فصاعداً. ومع ذلك فقد ظل

٤٠- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

41- *ad. Ux.* 2.6

الطقس يُتمَّم داخل الكنيسة وليس في البيت أو في أي مكان آخر. ومع ذلك لا نغفل أنه بسبب الاضطهاد المريع آنئذ وهدم الكنائس اضطر الاقباط إلى عقد زواجهم أحياناً في البيوت.

أما اليوم فقد بطل تتميم الإكليل في البيوت خارجاً عن الكنيسة. فإن كان كتاب "رتبة الإكليل الجليل" الذي طُبع أول مرة سنة ١٨٨٨م يقول في تنبيهاته للكاهن "إن كان الإكليل في الكنيسة قل ... وإن كان في البيت قل؟ ..."(٤٢)، فلا يليق أن تنقل عنه الكتب التي طُبعت لهذا الطّقس. فقد تكرَّر التنبيه في الطبعة الثانية لنفس الكتاب سنة ١٩٢١م، وتكرَّر مرة ثالثة في كتاب "صلوات الخدمات" المطبوع سنة ١٩٧١م هكذا: "إذا كان الإكليل في الكنيسة يقول: ... وإن كان في البيت يقول: ..."(٤٣).

أما الطقسان السرياني والماروني فلا إشارات لقدَّاس ومناولة ترتبط بسر الزِّيجة، ولا مؤشر بوجودهما سابقاً. وإنما تشير العادة اليوم نحو دمج طقسي السرين معاً(٤٤). أما الأرمن والأحباش فيقيمون طقوس الزَّواج أثناء الليتورجيَّة الإفخارستيَّة(٤٥).

خلاصة القول أنه منذ أربعة قرون مضت، كان الإكليل يتم في داخل القدَّاس الإلهي ككل أسرار الكنيسة الأخرى، حيث تصير الإفخارستيَّا والاشتراك في التناول من الأسرار المقدَّسة، جسد المسيح ودمه الكريمين، هي خاتمة كل سرّ وكماله. فصلاة الإكليل للعروسين وتناولهما من الجسد والدم الكريمين هما الشرطان اللذان بهما يصيران

٤٢- رتبة الإكليل الجليل، مطبعة الوطن سنة ١٦٠٤ش/ ١٨٨٨م، ص ٦٨
٤٣- كتاب صلوات الخدمات في الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، ص ١١٤
٤٤- يوحنا تابت وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٠٦، ٢٠٧
٤٥- الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ١٥٧

جسداً واحداً وروحاً واحداً ليس بالمعنى العام الذي تفعله الإفخارستيًّا في كل المتناولين عندما تجعل منهم جسداً واحداً وروحاً واحداً ككنيسة واحدة رأسها المسيح، ولكن بالمعنى الخاص عندما يصبح جسد كل من العروسين ملكاً للآخر، وهو ما تفعله صلوات الإكليل المقدَّس مع تناولهما معاً من الأسرار المقدَّسة في نهاية صلوات الإكليل.

ولازال الطقس الأثيوبي يحتفظ حتى الآن بإقامة طقس الإكليل في قلب الإفخارستيًّا نقلاً عن الطقس القبطي القديم. وهو نفس ما يفعله الطقس الأرمني حتى يتسنى للعروسين الاشتراك في الأسرار المقدَّسة. أما الطقوس الأخرى فقد اندثرت فيها العلاقة بين طقسي الزَّواج والإفخارستيًّا. وبرغم ذلك تحتفظ بعض هذه الطقوس بممارسات طقسيَّة هي بقايا طقوس اندثرت. فالطقس البيزنطي يقدم للعروسين كأساً مقدَّسة تذكاراً لعرس قانا الجليل، وكبقايا من آثار كأس الإفخارستيًّا بحسب ما تؤكده صلاة البركة الأرمينيَّة لهذه الكأس[٤٦].

أما طقس الإكليل في الكنيسة النسطوريَّة (الأشوريَّة) فكان يتمم في حجرة الزفاف، ويصحبه عدد كبير من التراتيل والصلوات[٤٧].

46- P. Jounel, *op. cit.*, p. 606.

٤٧- الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ص ١٥٨

الباب الثاني

الطقس القبطي لسر الزِّيجة

الفصل الأول

الخِطبة أو الخطوبة

تمهيد

لم يكن في العهد القديم ما يشابه الخطبة المعروفة لدينا اليوم، والتي ظهرت في الكنيسة القبطيَّة بشكلها الحالي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. فقد كان الاتفاق يتم مباشرة على الزَّواج. ولكن الزَّواج نفسه كان يتم على مرحلتين؛ المرحلة الأولى هي كتابة وثيقة الزَّواج، وهي المرحلة التي نعرفها حتى اليوم باسم "عقد الأملاك"، أو "عربون الزَّواج". والعذراء القدِّيسة مريم حين كانت مخطوبة ليوسف البار، يعني أنه قد تم تحرير وثيقة زواج بينهما، وبالتالي لا يمكن فسخ هذه الخطبة إلاَّ بإجراءات طلاق. أما المرحلة الثانية فكانت هي ليلة الزفاف، حين تُزف العروسة إلى بيت الزوجيَّة لتدخل إلى خدرها، وهي المرحلة التي نعرفها اليوم باسم "صلاة الإكليل".

أما الطقس القبطي لسر الزِّيجة فقد مرَّ بمراحل تاريخيَّة متعاقبة، استقرت قبل وقت قريب على أربع مراحل هي الخطبة، وعقد الأملاك (عربون الزَّواج)، والإكليل، وحل الزنَّار أو رفع الإكليل. وقبل ظهور الخطبة في الكنيسة القبطيَّة بوضعها الحالي، كانت باقي هذه المراحل تجري منفصلة عن بعضها انفصالاً تاماً، ثمَّ ضُمَّت بعض هذه المراحل إلى بعضها لتجري في نفس وقت الإكليل، وهو ما سنشرحه فيما بعد. وكان المجمع المقدَّس للكنيسة القبطيَّة قد أصدر قراراً في مايو سنة ١٩٩٩م، يوضِّح فيه

أن "عقد الأملاك" أي "عربون الزَّواج" هو الخِطبة في المفهوم التراثي القديم. أمَّا الخِطبة بوضعها الحالي، فقد ظهرت في الكنيسة بعد أن قام البابا كيرلس الرابع (١٨٥٣- ١٨٦١م) - وحذا حذوه البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤- ١٩٢٧م) - بضم صلوات طقس عربون الزَّواج إلى صلوات طقس الإكليل. ثمَّ أجرى المجمع المقدَّس بعض التعديلات الطقسيَّة في طقس عربون الزَّواج (عقد الأملاك)[١]، وهو ما سيرد ذكره في موضعه على مدى الكتاب.

وجدير بالذكر أن دخول الخِطبة في طقس الزَّواج في الكنيسة القبطيَّة كان أمراً جوهرياً، إذ أتاح الوقت الواقع بين الخِطبة والإكليل فرصة كافية للخطيبين لاختبار بعضهما البعض، وذلك قبل إجراء مراسيم عقد الأملاك. لأن "عقد الأملاك" حين كان يجري محل الخِطبة المعروفة لدينا اليوم، كمرحلة تمهيديَّة قبل صلوات الإكليل، كان يتعذَّر إلغاؤه أو فسخه إلاَّ بمراسيم طلاق، لأنه بمثابة مرحلة أولى من مراحل سرّ الزِّيجة نفسه.

ففي الكنيسة الأولى كان التمييز واضحاً بين الخِطبة[٢] وبين مراسيم الزَّواج بمعناها المحدَّد[٣].

والخِطبة (بكسر الخاء) هي في صيغة المصدر. وحين نقول إن رجلاً يخطب امرأة خطباً فنعني أنه يدعوها للزَّواج.

١- قرارات المجمع المقدَّس في عهد قداسة البابا شنودة الثالث، من سنة ١٩٧١م حتى سنة ٢٠٠١م، نوفمبر ٢٠٠١م، ص ٩٠ وما بعدها.

٢- حين نتكلَّم عن "الخِطبة" في الكنيسة القبطيَّة قبل أواخر القرن التاسع عشر، فلا ينصرف ذهن القارئ العَزيز إلى "الخِطبة" المعروفة لديه اليوم، بل المقصود بها هو ما يُعرف اليوم باسم "عقد الأملاك".

3- Davis, J.G., *op. cit.*, p. 256.

والخطبة من الوجهة الروحيَّة تشير إلى خطبة المسيح للكنيسة، وهي تتقدَّم الزَّواج كما أن المسيح خطب الكنيسة لنفسه أولاً بواسطة أنبيائه ورسله الذين أرسلهم ليخطبوها له.

قال الرب: «ويكون في ذلك اليوم يقول الرب أنك تدعيني رجلي ... وأخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب» (هوشع ٢:١٦، ٢٠،١٩).

والخطبة التي نعرفها اليوم واجبة شرعاً، إذ بدونها لا يتم زواج. فهي شرط ملزم له[٤]. واختلاف الجنس أمر لازم لنشوء الخطبة واستمرارها. وليس من شأن الخطبة أن تلزم بوعد الزَّواج. فالخطبة قد تنحل ولا تنتهي بالزَّواج إذا أدرك الخطيبان أو أحدهما أن المصلحة تقتضي العدول عنها. ولقد أجمعت على ذلك كافة المذاهب المسيحيَّة وحتى اليهوديَّة أيضاً.

والخطبة هي من الوسائل التمهيديَّة للزَّواج التي تهيئ الفرصة للخطيبين في أن يختبر كل منهما الآخر اختباراً كافياً. فإن كانت فترة الخطبة غير محدَّدة في أكثرية القوانين، إلاَّ أنها يجب أن تكون كافية لتميط اللثام عن خفايا الطرفين[٥].

والاتفاق على ميعاد الزَّواج لا يعد ركناً في عقد الخطبة. أي أن الخطبة تنعقد حتى لو لم يتم الاتفاق على ميعاد الزَّواج. إلاَّ أن الخطبة لا تصح لمن ظهر أنه لا تصح زيجته[٦].

4- *Ibid.*, p. 256.

٥- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

٦- جاء في المادة التاسعة من قانون الأحوال الشخصيَّة للسريان الأرثوذكس أنه إذا وقعت الخطبة بعد السن الشرعيَّة لكل من الطرفين، و لم يعين زمن لإجراء العقد، وجب إجراؤه بعد سنة من تاريخ الخطبة إن كان الخطيبان من بلد واحد. وإذا كانا

ففي نهاية القرن السابع الميلادي صدر قانون كنسي يمنع التزوُّج بامرأة مخطوبة لآخر. فيقول القانون رقم (٩٨) لمجمع ترولو الذي عُقد سنة ٦٩٢م "كل من يتزوَّج امرأة مخطوبة لرجل آخر، وكان خطيبها لا يزال على قيد الحياة يقع تحت قصاص الزناة"[٧].

وتعلّق البيذاليون[٨] على هذه القانون فتقول: إن الخطبة إذا تمت شرعاً بين رجل وامرأة وتبادلا فيها الخاتمين بعد الصلاة في الكنيسة، وقبَّل كل منهما الآخر، تعد مثل خدمة الزَّواج التام ... وكان خطيب المرأة يُدعى زوجها على مثال ما دُعي يوسف في الإنجيل زوجاً للعذراء مريم، ودُعيت العذراء مريم امرأته. فقد كانت الخِطبة حتى في شريعة العهد القديم تعد بمنزلة الزَّواج.

وعند السريان الأرثوذكس تعتبر الخطبة السابقة مانعاً من الموانع المبطلة لعقد الزَّواج والخطبة. إذ تنص المادة ١٢ على أن الموانع الشرعيَّة في الخطبة والزَّواج هي أولاً: ألا يكون أحد الخطيبين مخطوباً لآخر، أو مرتبطاً بزيجة أخرى ... الخ.

من بلدين، فسنتين، إلاَّ إذا كانت هناك حجة ظاهرة كمرض أو دين أو غياب بعيد نتج عن ضرورة، فتقدر المحكمة الكنسيَّة مدة مناسبة بحسب الأحوال.

وجاء في المادة العاشرة من القانون المذكور: لا تخوِّل الخطبة أحد الخطيبين حق الادعاء بإكراه الآخر على الزَّواج، وإنما تخوله المطالبة بتحدَيد موعد الزَّواج وتنفيذه ... الخ.

٧- لاحظ هنا أن الخطبة المقصودة في هذا القانون هي ما نعرفه باسم "عربون الزواج"، أو "عقد الأَملاك".

٨- "البيذاليون"، أي دفَّة السفينة، وهي كتاب قانوني شهير في الكنيسة البيزنطيَّة.

شروط إتمام الخِطبة

(١) الرضا التام بين الخطيبين

والرضا التام لا يقترن بأجل ولا يعلّق على شرط، وأي نوع من أنواع الإكراه مادياً كان أو معنوياً يبطل هذا الشرط الأول. ولذلك يسأل الكاهن الخطيبين عما إذا كانا قد رأيا بعضهما وأنهما راضيان بالخِطبة والزَّواج لا عن إكراه بل برغبة.

فالخطبة في الاصطلاح الكنسي هي اتفاق اختياري بين الطرفين مباشرة أو بواسطة والديهما، أو من ينوب عنهما. ولا يجوز للوالدين إرغام الابن أو الابنة بزواج معيَّن. لأنه بحسب القوانين الكنسيَّة يعتبر الزَّواج باطلاً في هذه الحالة. وكل زواج بُني على الإرغام هو باطل شرعاً. ولكن من جهة أخرى فإن القوانين الكنسيَّة أو بالحري الشريعة المسيحيَّة تأمر الأبناء أن يأخذوا رضى والديهم وإذنهم أو متولو أمورهم في الزوجات اللاتي يريدون الاقتران بهن[٩].

والقبول بالخطبة مراعاة لجانب الأهل أو خشية منهم، لا يشكل إكراهاً، لأن مجرَّد النفوذ الأدبي أو الخوف الناشئ عن الاحترام الزائد ليس صورة من صور الإكراه. أما الإكراه الذي يلازمه بطلان الخِطبة فهو الخطر المحدق الذي يهدِّد أحد الخطيبين في النفس أو الجسم أو المال كالقتل والتعذيب وغيرهما.

ولأن الخِطبة هي خطوة تمهيديَّة للزَّواج فحسب، فإن الشكل الديني للخِطبة لا يجعل لها أية صفة إلزاميَّة.

٩- انظر قوانين القدِّيس باسيليوس الكبير، ق ٤٠، ٤١

(٢) عدم وجود موانع شرعيَّة

فبحسب عقيدة الكنيسة الأرثوذكسيَّة يجب مراعاة وحدة الدين ووحدة العقيدة بين الخطيبين. فليس للرجل المؤمن أن يتزوَّج من غير المؤمنات إلاَّ بشرط دخول الزَّوجة في الإيمان. وكل امرأة مؤمنة تتزوَّج بغير مؤمن فلتخرج من الجماعة. فإن ثابت واقتلعت منه فتقبل كمن يرجع عن كفره. وبعد التبرُّر الواجب تخالط وتعطى القربان. وكل مؤمن يزوِّج ابنته أو أخته بغير إرادتها ولا علمها بغير مؤمن فليخرج من الجماعة، ويُمنع من مخالطة المؤمنين. فأما هي فلا (تخرج من الجماعة). وإن تاب وخلعها فليقنن (يُعط قانوناً) ويُصفح عنه[١٠].

ويجب مراعاة القرابة المانعة، وموانع المصاهرة، وكذلك موانع القرابة الأدبيَّة بالتبني.

ويذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م) قس كنيسة المعلَّقة وهي الكنيسة البطريركيَّة في أوائل القرن الرابع عشر، يذكر أن التزويج الممنوع الذي لا تجوز فيه خطبة ولا أملاك هو[١١]:

(أ) زيجة القرايب بالطبع

ولو لم يكونوا من تزويج ناموسي، وهم على ثلاثة ضروب: المستعلون؛ وهم الوالدان. والمستسفلون؛ وهم الأولاد وأولادهم فنازلاً. والذين في الجانب؛ وهم العمَّات والخالات والإخوة وأولادهم، فإنهم من السلالة، لأنهم مولودون من الآباء والأجداد.

والنصارى في هذا الضرب على رأيين: الأول مَنعَ ثلاث ولادات

١٠- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

١١- نفس المرجع الباب ٢٠

وأجاز الرابعة وما بعدها. وهم القبط والنساطرة وبعض السريان وذوو المصلحة في ذلك، لأنه لم يتضمَّن قوانين الرسل ولا مجمع نيقية ولا أكثر قوانين الملوك منعه، فجاز لرؤساء الكهنوت أن يحلّوا فيه ويربطوا.

والرأي الآخر منع من ست ولادات وأجاز السابعة، وهم الملكيون، واعتمدوا على ما تضمنه رابع التطلس السابع، وعلى ما ورد في قوانين مجامعهم الخاصة بهم. وأطلق بعض رؤسائهم السادسة واستمروا على ذلك.

فأما حساب الولادات في كون بنت العم رابعة فنقول: أبي ولدني وجدي أولده فهذه ولادتان، وجدي ولد عمي، وعمي ولد ابنته، فهي ولادة رابعة ...

(ب) زيجة القرايب بالشرع

وهم أشابين المعموديَّة. وقد ورد في القوانين المقدَّسة أن المقبول والقابل لا يتزوَّج أحدهما بالآخر ولا بوالديه، ولا بأولاده، ولا بأولاد أولاده، ولا بإخوته، ولا أولاد أحدهما بأولاد الآخر. ولا تزوِّج المرأة ابنتها للرجل الذي تقبله زوجها في المعموديَّة، وكذلك الرجل لا يتزوَّج ابنة من قبلتها زوجته. فهؤلاء كلهم قد صارت بينهم قرابة روحانيَّة. فمن فعل ذلك فليترل مترلة الوثني والعشار حتى يفترقا.

وفي ذلك يقول القانون ٥٣ لمجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م على سبيل المثال: "بما أن القرابة الروحيَّة هي أوثق رابطة من القرابة الجسديَّة، وإذ قد بلغنا أنه في بعض الأماكن عقد بعض الأشخاص الذين وقفوا عرَّابين (أشابين) لأولاد في المعمودية المقدَّسة زيجات مع أمهاتهم الأرامل، فنأمر بألا يحدث مثل هذا الشئ بعد الآن. وإذا عُرف أنه بعد وضع هذا القانون أقدم البعض على مثل هذه المخالفة، فيجب قبل كل شئ فصم رباط هذا الزَّواج غير الشرعي، ثم فرض قصاص الزناة على

المخالفين(١٢)".

(ج) زيجة القرايب بالوضع

وهم المترلون - بسبب الاشتراك في الرضاع أو التربية — في مترلة الأولاد وأولادهم، والوالدين وآباؤهم، والعمومة والخوولة، وزوجة الأب. ولا يتزوَّج الأب بزوجة من تُبني به. والوضع هو أن جدي مثلاً ربى صبيَّه، وكان أبي يدعوها أخته، فهي عمتي بالوضع. أو أن أمي أرضعت صبيَّة وربتها معي فهي أختي بالوضع. هذا في قوانين الملوك. وأما الدسقوليَّة فسمحت للإنسان أن يزوج ولده باليتيم الذي رباه وهو أولى.

(د) زيجة القرايب من جهة التزويج

لا من جهة السلالة وهم أزواج الآباء والأجداد وإخواتهن وأمهاتهن وجداتهن، وأزواج الإخوة وأولادهن وإخوتهن وأمهاتهن وجداتهن. وقرايب الزوجة وهن جدتها وأمها وعمتها وخالتها وأختها وابنتها وابنة ولدها وزوجات أقربائها اللواتي في هذه الطبقة. وكلما حُرِّم على المرأة محرَّم على زوجها.

(هـ) زيجة الولي من التي هو موكل في تزويجها

والوصي وابنه وأخوه للتي هو موكل على مالها، إلاَّ إن تمت لها ست وعشرون سنة، وقام الوصي بما يجب عليه من الحساب.

وكذلك يُمنع الزَّواج بالمطلقة والراهبة أو من تعدت ستين سنة، أو من لم تنقض مدة حزنها، وهي سنة أو عشرة أشهر لوفاة زوجها.

١٢ـ يشير فان اسبن إلى شرع يوستنيانوس في المادة ٢٦ من قانون الزَّواج، التي تمنع زواج الرجل بمرضعته أو بالتي قبلته في حوض المعمودية، إذ ليس من شئ يثير العاطفة الوالدية مثل ذلك، ولهذا يصير سبباً مانعاً للزواج أكثر من الرباط الروحي الذي يجمع بين شخصيهما بواسطة الماء.

(٣) بلوغ السن القانونيَّة

السن القانونيَّة للزواج تتغيَّر دائماً مع تغير العصور والأحوال المعيشيَّة. ففي مصر كانت السن القانونيَّة في القرن الثالث عشر وما قبله والتي يجوز عندها عقد الإكليل هي ١٤ سنة للزوج، و١٢ سنة للزوجة[١٣]. وفي القرن الرابع عشر نعرف من ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أن هذه السن القانونيَّة قد زادت قليلاً، وذلك حين يقول: "الرجال قد تجاوزوا أربع عشرة سنة، والنساء قد زدن على اثنتي عشرة". وأما الآن فإن السن القانونيَّة أقلها ١٨ سنة للزوج و١٦ سنة للزوجة في يوم الإكليل.

على أن الخطبة تجوز قبل هذه السن بشرط ألاَّ يتم الزَّواج إلاَّ بعد بلوغهما السن القانونيَّة.

وإن كانت المادة الثالثة من قوانين المجمع المقدَّس للكنيسة القبطيَّة سنة ١٩٥٨م قد نصت على أنه لا يجوز الخطبة إلاَّ إذا بلغ سن الخاطب ١٧ سنة، والمخطوبة ١٥ سنة ميلاديَّة كاملة. أما كنيسة الروم الأرثوذكس والكنيسة الكاثوليكيَّة فلم تحدِّد سناً أدنى للخطبة. أما الكنيسة البروتستنتيَّة فهي تشترط لجواز الخِطبة بلوغ الخطَيبين سن الرشد.

على أن السن القانونيَّة للزواج هي وضع جديد ظهر في العصور المتأخرة نتيجة اكتشاف أثر نضوج الزوج والزوجة على تربية الأولاد وصحتهم العقلية. ولذلك لا يحدِّد العهد القديم سناً معيَّنه للزواج بالنسبة للرجل أو المرأة.

وإن كانت المادة ١٦ من مجموعة قواعد الأقباط الأرثوذكس

١٣- انظر قوانين البابا كيرلس الثالث بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م). (BSAC., t. 12, p. 91)

الصادرة سنة ١٩٣٨م المقابلة للمادة ١٥ من مجموعة سنة ١٩٥٥م قد حدَّدت سن الرجل ١٨ سنة والمرأة ١٦ سنة، إلاّ أن المادة ١٩ من مجموعة سنة ١٩٣٨م المقابلة للمادة ١٨ من مجموعة سنة ١٩٥٥م، تنص على: "يجوز لمن بلغ سن ٢١ سنة ميلاديَّة كاملة رجلا كان أو امرأة أن يزوِّج نفسه بنفسه" ومفاد ذلك أن من قلّ سنه عن سن الرشد يتطلّب الأمر موافقة وليِّه الشرعي الذي يتدَّخل في الزَّواج ليكمِّل شخصيَّة القاصر محافظة عليه من سوء الاختيار. والولاية على نفس القاصر شرعاً هي للأب، ثم يوليه الأب نفسه قبل موته. فإذا لم يول الأب أحداً فالولاية بعده للجد الصحيح، ثم للأم ما دامت لم تتزوَّج، ثم للجد لأم، ثم للأرشد من الإخوة الأشقاء ... الخ.

(٤) إعلان الخِطبة

وذلك حتى يتسنى لمن يريد الاعتراض أن يعترض عند قيام مانع من موانع الزَّواج. ويتم في ذلك تحرير ملخَّص لمحضر الخِطبة بعد ثلاثة أيام منها، ويعلَّق في لوحة الإعلانات في الكنيسة. ويبقى معلقاً قبل الزَّواج بمدة عشرة أيام تشمل يومي أحد، وتُرسل هذه النسخة إلى حيث يقيم الخطيبان إذا كانا من كنيسة خارج الكنيسة التي تمت فيها الخِطبة.

ومتى تم الاتفاق على الخِطبة وجب على الخطيبين أو والديهما أن يعلنا ذلك لكاهن الإيبارشيَّة، ويستدعياه لإجراء الخطوبة بصفة شرعيَّة رسميَّة أمام الكنيسة كلها. وفي ذلك يقول القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م) الشهيد:

> [يجب على المتزوجين رجالاً ونساء ألا يعقدوا زواجهم إلاّ بموافقة الأسقف حتى ما يكون زواجهم بحسب الرب وليس من أجل شهواتهم. لتكن كل الأشياء من أجل مجد الله].

وفي الطقس الأشوري يرسل الخطيب خاتماً إلى خطيبته بواسطة امرأة، فإذا قبلته منها، يذهب الكاهن وأهل الخطيب إلى منزلها ويتمان الخِطبة[١٤]. فقبول العروسة للخاتم يعني قبولها للعريس.

(٥) كتابة محضر الخِطبة

قبل ممارسة طقس صلاة الخِطبة، يحرِّر الكاهن محضر الخِطبة، ويثبت المحضر الأمور التالية: تاريخ الخِطبة، مكانها، اسم الكاهن، اسما الخطيبين ولقبهما وصناعتهما ومحل إقامتهما، سنهما، بكران أو حسب حالتهما، أرثوذكسيان، قيمة المهر، اسما الوكيلين وصناعتهما ومحل إقامتهما، تاريخ إتمام الإكليل، أسماء الشهود.

ويلزم أن يتوفر شاهدان على الأقل، ويسجل سنهما وصناعتهما ومحل إقامتهما، توقيع المحضر من الخطيبين ووكيليهما، ومن الشهود، ومن الإشبين — إن كان لهما أشابين — وأخيراً توقيع الكاهن.

وإذا كان الخطيب من غير إيبارشيَّة الكاهن يطلب منه شهادة تثبت خلوه من الزَّواج والموانع الشرعيَّة الأخرى موقعاً عليها من شاهدين أو ثلاثة أمناء ومصدقاً عليها من كاهن إيبارشيَّته.

حول الطَّقس القبطي للخِطبة

ظلت صلوات الخِطبة متباينة بين كنيسة وأخرى حتى أواخر القرن التاسع عشر، حين قام القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧-١٩٠٤م) كاهن الكاتدرائيَّة المرقسيَّة القديمة بكلوت بك بصياغة نص

١٤- يوحنا تابت وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٠١

صلوات الخطبة (أي الخطوبة) وطبعها لأول مرة سنة ١٦٠٤ش/ ١٨٨٨م في كتاب أسماه "رتبة الإكليل الجليل على موجب ترتيب الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المرقسيَّة".

وفي مقدِّمة الكتاب المذكور يقول: "... بعد استئذان صاحب الغبطة الكلي الاحترام، السيِّد الأب البطريرك الإسكندري المعظم، أنبا كيرلس الخامس الرفيع المقام، تقديم كتاب رتبة الإكليل الجليل للطبع لِيُنشر على عموم الكهنة بصورة واحدة مثقفة متقنة. ومن ثم قد صار انتقاء أقدم صورة معتبرة مشهورة بالكنيسة المرقسيَّة محكمة محرَّرة وصار الشروع في الطبع على موجب نصها ...".

أما عن صلوات الخطوبة نفسها فيقول: "... ولكون رتبة الزَّواج يتقدَّمها ضرورة خطوبة تتم غالب الأحيان بحفلة رسميَّة وأدعية قدسيَّة وهذه قد يتداولها الكهنة بالتسليم والاجتهاد ويمارسونها بحسب ما تسمح به الفرص والاعتياد، قد رؤي أنه من الضروري تحرير الصورة المرعيَّة المنوطة بإتمام الخطوبة الشرعيَّة مع ما يتعلق بذلك من التنبيهات القانونيَّة، وإدراجها في مقدِّمة رتبة عقد الأملاك والإكليل ليعتمدها كل كاهن ..."[١٥].

ومنذ هذا التاريخ بدأ طقس صلوات الخطبة يتوحَّد تقريباً في عموم الكنائس القبطيَّة في أنحاء البلاد. ولكن ظل لكَل كنيسة قراءة ما يلائم من الترتيل والتهليل بحسب وضع كل كنيسة.

وقد طُبع الكتاب المذكور سابقاً طبعة ثانية على نفقة القمص فيلوثاؤس المقاري والقمص برنابا البرموسي والقس أقلاديوس جرجس

١٥- رتبة الإكليل الجليل، مرجع سابق، ص ٢

سنة ١٩٢١م، في عهد البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤- ١٩٢٧م)، المائة والثاني عشر من عدد بطاركة الإسكندريَّة، وسُمي الكتاب باسمه القديم، وهو: "كتاب رتبة الإكليل الجليل حسب ترتيب الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المرقسيَّة". وأصبح هو الكتاب الطقسي في الكنيسة القبطيَّة لتتميم صلوات هذا السر. حتى قامت مكتبة المحبَّة بالقاهرة بطباعة ونشر كتاب "صلوات الخدمات في الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة[١٦]" في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين، متغاضية عن كثير من التفصيلات التي وردت بالكتاب المطبوع سنة ١٩٢١م.

وفيما يلي نورد ما يذكره كتاب "رتبة الإكليل الجليل" المطبوع سنة ١٩٢١م عن الخِطبة أي الخطوبة، مقارناً بالطبعة الأولى من نفس هذا الكتاب والتي كانت في سنة ١٨٨٨م. وقد تم تقسيم الكتاب في طبعتيه الأولى والثانية إلى أربعة أجزاء، الأوَّل: في الخطوبة، والثاني: في رتبة عقد الأملاك، والثالث: في رتبة الإكليل في الزِّيجة الأولى، والرابع: في رتبة الزِّيجة الثانية.

الطقس القبطي للخِطبة بحسب كتاب "رتبة الإكليل الجليل"[١٧]

الخِطبة إنما تصح بين من تجوز زيجتهما ببعضهما أعني بين شخصين ذكر وأُنثى مؤمنين، لم يكن بينهما موانع قانونيَّة تمنع من اقترانهما بالزَّواج الشرعي المسيحي. لا من الموانع النسبيَّة بأنحائها؛ وهي القرابة الطبيعيَّة الروحيَّة أي الأشبينيَّة، والقرابة الزوجيَّة أي التي من قبل الزيجات، والقرابة الوضعيَّة أي التي من قبل الرضاعة التامة والتربية. ولا من الموانع

١٦- وهو يحوي إليه صلوات المعموديَّة، والميرون، وصلاة الحميم، والخطوبة، والإكليل، ومسحة المرضى، وأبو تربو، والتجنيز، بعد حذف كثير من النصوص القبطيَّة لهذه الصلوات!.

١٧- هو الكتاب المطبوع طبعة أولى سنة ١٨٨٨م، وطبعة ثانية سنة ١٩٢١م.

الشخصيَّة كالأمراض المانعة من الزَّواج وغيرها من الأحوال التي لا يصح التزوُّج الشرعي مع وجودها. وبيان ذلك جميعه في كتاب القانون مجموع الشيخ الصفي، وموضَّح في مجموعة الأحوال الشخصيَّة.

متى ما أريد إتمام الخطوبة رسمياً ينبغي استدعاء الكاهن الشرعي المحلي إلى حيث يُحتفل بإتمام الخطوبة، وبحضور الخطيب ذاته أو وليه أو وكيله الشرعي مع ولي المخطوبة أو وكيلها الشرعي، وبحضور من دُعي من المؤمنين[١٨].

وقبل إعلان الخطوبة بالصلاة الربانيَّة يلزم الكاهن أن يتحرى الوجوه الآتية:

أولاً: عدم وجود المانع القانوني الذي يمنع إتمام الخطوبة بين الخطيب ومخطوبته.

ثانياً: رضى الخطيب ومخطوبته بذلك رضاءً تاماً عن معرفة رشد.

ثالثاً: تناسب السن بينهما.

رابعاً: معرفة ما إذا كان لم يسبق لهما عقد خطوبة أخرى خلاف الحالية. حتى إذا وُجد أن أحدهما أو اثنيهما تعلقا بخطوبة أخرى، فليؤخر إتمام الخطوبة الحالية إلى أن يتحقق فصل أمر الخطوبة السابقة قطعياً.

خامساً: بيان كمية المهر وشروطه المقرَّرة بين الفريقين.

سادساً: الميعاد المعين من قبل الفريقين لعقد الزَّواج بالإكليل لئلا يكون الوقت المعين لذلك لم يكن الخطيب أو مخطوبته بلغا فيه السن

١٨- من هذه الفقرة يتَّضح لنا أنه حتى وقت متأخر كان يمكن إتمام الخطوبة في أي مكان غير الكنيسة، كالبيت مثلاً أو أحد المباني العامة. كما كان يمكن تتميمها حتى في حالة عدم وجود الخطيب نفسه أو مخطوبته، إذ كان يمكن أن يُستعاض عنهما بوليهما أو بالوكيل الشرعي لكل منهما. وقد بطلت هذه العادة الآن.

الذي يجوز فيه إتمام الزِّيجة للأصحاء، وهو خمس عشرة سنة للذكر، وأربع عشرة للأنثى[١٩]، حتى إذا كان في الميعاد المعين للإكليل لم يستوف الاثنان أو أحدهما السن المحدَّد لجواز الزِّيجة، فحينئذ يصير تأجيله للوقت المناسب لاستيفاء الاثنين السن القانوني.

وعند ذلك متى تحقق الكاهن من عدم وجود ما يمنع من إتمام الخطوبة من كل وجه، فليحرر كتاب يذكر فيه سبب الاجتماع ويبين فيه الوقوف التام على الوجوه المتقدمة، وعدم وجود ما يمنع من الخطبة من كل وجه. ثم يؤرخ في اليوم الذي اجتمعوا فيه. ثم يمضي من الفريقين أي من جهة الخطيب ومن جهة المخطوبة، ومن يلزم من الحاضرين ويصدِّق عليه بخطه واسمه. ثم يباشر إتمام الخطوبة على النحو الآتي:

متى تم استيفاء كتاب المحضر على النسق المذكور بالفصل السابق، وتقدَّم من جهة الخطيب الولي أو وكيل المخطوبة أربون المهر أو المهر كله على حسب ما اتفق الفريقان. يبتدئ الكاهن بالبسملة الشريفة ويعلن قائلاً: على هذا النمط:

من حيث أننا دعينا لإتمام خطوبة الابنة البكر الأرثوذكسيَّة المباركة[٢٠] (فلانة) كريمة الأخ الأرثوذكسي (فلان) لخطيبها الابن البكر الأرثوذكسي المبارك (فلان). وقد تحققنا جيداً عدم وجود ما يمنع من

١٩- في الطبعة الأولى لهذا الكتاب التي كانت سنة ١٨٨٨م يرد: "... إتمام الزِّيجة للأصحاء وهو أربع عشرة سنة للذكر، واثنتا عشرة للأنثى". أما الطبعة الثانية له سنة ١٩٢١م فقد عدَّلت هذه السن كما هو مبين في المتن دون أي إشارة لذلك. أما كتاب "صلوات الخدمات" فقد أورد سن الزَّواج ثماني عشرة سنة للذكر وست عشرة للأنثى.

٢٠- أضافت الطبعة الأولى كلمة "الست"، وحذفتها الطبعة الثانية. أما كتاب "صلوات الخدمات" فقد أغفل ذكر هذه العبارة كلية. وكان الكهنة القدامى يقولونها دوماً في كل صلاة خطوبة.

إتمام الخطوبة رسمياً لا من جهة القرابة بأنحائها ولا من جهة رضى الخطيب ومخطوبته ذاتيهما، ولا من جهة مناسبة السن بينهما، ولا من أي وجه كان. فإذاً[٢١]

★ باسم ربنا يسوع المسيح مخلِّصنا[٢٢] نعلن بهذا المحفل الأرثوذكسي إتمام خطوبة[٢٣] الابن المبارك (فلان) على مخطوبته الابنة

٢١- كل ما سبق ذكره في الثلاثة فصول السابقة اختصره كتاب صلوات الخدمات الذي طبعته مكتبة المحبَّة بالقاهرة في ثمانية سطور فقط هي: ''تجوز الخطوبة بين ذكر وأنثى، مؤمنين متفقين في الدين والعقيدة. بالغين الحد الأدنى لسن الزَّواج (وهو ثماني عشرة سنة للذكر، وست عشرة سنة للأنثى) بحيث لا تمنعهما موانع شرعيَّة من أنواع القرابة، ولا تعترضهما الموانع الشخصيَّة.

فمتى وقف الكاهن على هذه البيانات، وتأكد من رضى الخطيبين رضاء تاماً، يكتب محضراً رسمياً بحضور الخطيبين، مبيناً فيه: السن والشبكة وموعد إتمام الزَّواج، ثم يوقع عليه كل من الخطيبين والوكيلين والشهود''.

٢٢- هذه العبارة وردت في كتاب ''صلوات الخدمات'' هكذا: ''باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مشرِّع شريعة الكمال، وواضع ناموس الأفضال''. وقد نقل الكتاب المذكور هذا التعبير **"مشرِّع شريعة الكمال وواضع ناموس الأفضال"** من المقدِّمة التي قدَّم بها القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧- ١٩٠٤م) للطبعة الأولى من كتاب ''رتبة الإكليل الجليل''، حيث يقول تحت عنوان ''خطبة'' ما يلي: ''الحمد لشارع شريعة الكمال، وواضع ناموس الأفضال، وبعد. فيقول الحقير في القسوس الاغومانس فيلوثاؤس كاهن الكنيسة الكبرى المرقسيَّة بمحروسة القاهرة. لما كان الزَّواج الشرعي وضعاً شريفاً إلهياً ... الخ''.

والصحيح أن نقول ''شارع''، ولا نقول ''مشرِّع''. لأن الفعل ''شَرَعَ'' له عدَّة معاني في اللغة العربيَّة، ومن بينها ''سنَّ''، فنقول: ''شَرَعَ شرعاً للقوم''، أي سنَّ لهم شريعة. ونقول أيضاً ''اشترع الشريعة'' أي سنَّها. فالفعلان ''شَرَعَ''، ''اشتَرَعَ''، يأتيان بمعنى ''سنَّ''، و''استنَّ''. والاسم المفعول لهما هو: ''شارع''، و''مشترع''. أمَّا الفعل ''شرَّع''، ومعه الفعل ''أشرَعَ'' فيأتي بمعنى ''بيَّن - أوضح''. والمشرَّع من البيوت أي المرتفع منها.

انظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٨٢، ٣٨٣

٢٣- لاحظ هنا دقة التعبير حين يقول: ''نعلن بهذا المحفل الأرثوذكسي **إتمام** خطوبة ...''. أما كتاب ''صلوات الخدمات'' فذكرها ''نعلن في هذا المحفل

المباركة (فلانة)[٢٤] مصلين جميعاً قائلين: أبانا الذي في السَّموات ... الخ.

★ باسم ربنا يسوع المسيح مخلِّصنا نتمِّم خطوبة الابنة المباركة (فلانة) على خطيبها الابن المبارك (فلان)[٢٥] مصلين جميعاً قائلين: أبانا الذي في السَّموات ... الخ.

★ باسم ربنا يسوع المسيح نتمِّم خطوبة الابن المبارك (فلان) على مخطوبته الابنة المباركة ... الخ كالأول بالتمام[٢٦].

وبنهاية ذلك إذا كان الخطيب حاضراً بشخصه بالحفلة فبعد قراءة ما يلائم من الترتيل والتهليل وقراءة ⲁⲡⲟⲥ (أكسيوس) وما يليها بحسب الوضع الكنائسي، فليقل الكاهن ما شاء من هذه الأدعية (التالية) وليجاوبه المرتلون عند كل فصل ⲁⲙⲏⲛ ⲁⲡⲟⲥ.[٢٧]

"أيها السيِّد الحقيقي كلمة الله الأزلي الوحيد. يا من خطب النوع الإنساني للفرح الأبدي بتجسده المنيف المجيد. عاقداً أملاك الأنفس المؤمنة بسر صليبه الميمون ... اللَّهم بارك هذه الابنة الشريفة دوحته، وثمرة

الأرثوذكسي خطوبة ...".

٢٤- هنا أضاف كتاب "صلوات الخدمات" ما يلي: "باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد. مبارك الله الآب ضابط الكل آمين". يرد الشمامسة قائلين: آمين.

٢٥- هنا أضاف كتاب "صلوات الخدمات" ما يلي: ويرشم بالصليب قائلاً: "مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا. آمين". يرد الشمامسة قائلين: آمين.

٢٦- أضاف كتاب "صلوات الخدمات" ما يلي: ويرشم بالصليب قائلاً: "مبارك الروح القدس المعزي. آمين". ثم يرد الشَّمامسة قائلين: آمين.

٢٧- هذه الفقرة أوردها كتاب "صلوات الخدمات" هكذا: "وبعد أن يرتل الشَّمامسة: أكسيوس. وما يلائم الحفل الكنسي. يقول الكاهن هذه الطلبة ويجاوبه الشعب: آمين أكسيوس". في حين أن الأصل الذي نقل منه يذكر أن الكاهن يقول ما شاء من هذه الأدعية أو الطلبة. ومن نصها الذي يغلب عليه سجع الكلمات والمحسِّنات البديعية بكثرة، أنها من تأليف عصور متأخرة، إن لم تكن من تأليف القمص فيلوثاؤس إبراهيم نفسه على الأرجح.

الطهارة المصونة مخطوبته[٢٨] ... وامنن على جميعنا بنيل المنى وحسن الختام آمين"[٢٩].

ثم يتلو الكاهن البركة والدعاء ويختم بالصلاة الربانيَّة.
وهكذا ينتهي طقس الخِطبة.

العلاقة بين الخطيبين في فترة الخِطبة

إن المشاعر الرقيقة المتبادلة بين الخطيبين لا تكفي بمفردها لبناء علاقة دائمة بينهما. ولكن إن كانت علاقتهما ببعضهما تقترب بهما معاً أكثر إلى علاقة أقوى بالرب يسوع، وبالكنيسة، هنا يكون معيار هذه العلاقة معياراً صحيحاً. لأنه بدون المسيح في الوسط ومنذ البداية لا يستطيع الخطيبان أن يتغلبا في المستقبل على تقلبات ظروف الحياة ومصاعبها لاسيما حينما يصبحان زوجين يواجهان ظروفاً جديدة لم يحسبا حسابها، وهو أمر عادي يتعرَّض له أي زوجين.

يلزم للخطيبين أن يختبرا حبهما لبعضهما البعض هل هو حب ناشئ فقط عن جاذبية جسديَّة أو عاطفيَّة - وهو أمر طبيعي في أي حب - أم أنه أيضاً أعمق من ذلك. لأن كل علاقة تقوم على جاذبية طبيعيَّة أو عاطفيَّة فقط هي علاقة حتماً لا تدوم. والحب الحقيقي إن اختبر بنار التجربة يزداد لمعاناً وبريقاً. وهو الحب الذي لا يحده أو يقيِّده أو حتى يضعفه معيار الجمال والمال والعيال.

٢٨- عدَّل كتاب "صلوات الخدمات" في هذه العبارة فقال: "اللَّهم بارك هذه لا ة الشريفة المصونة مخطوبته".

٢٩- وفي هذه الطلبات يطلب الكاهن إلى الله أن يبارك الخطيبين ويرعاهما بعين عنايته، وأن ينعم عليهما بإتمام الاقتران.

والعلاقة بين الخطيبين ينبغي أن تكون دائماً تحت رعاية الكنيسة والوالدين، ليس من قبيل التضييق والمراقبة، بل من قبيل الإرشاد والنصح، لاسيَّما في هذا الجو الجديد المشحون أحياناً بعدم النضج وافتقار الخبرة. فعلاقة الخطيبين ببعضهما البعض ينبغي أن تظل في هذه الفترة وسط أناس جديرين بالثقة، محبين لله والكنيسة.

ولا مانع أن تسمح الأسرة للخطيبين أن ينفردا ببعضهما لبعض الوقت في منزل أحدهما، أو في أحد اجتماعات الكنيسة أو في أي مكان عام، ليتسنى لكل طرف اكتشاف شخصيَّة الطرف الآخر، ونوعية تفكيره، وأهدافه في الحياة، ومبادئه التي يسير على هداها. إلى جانب إظهار مشاعر الحب والود بينهما، وهو أمر طبيعي في هذه الفترة. أما الأمر غير الطبيعي فهو إخفاء الحب وعدم إظهاره، سواء من جهة الخطيب أو من جهة الخطيبة. لأن فترة الخطبة هي فترة حب بينهما، وفترة تثبيت هذا الحب. وما أبدع أن تكون فترة لقائهما معاً فرصة صلاة مشتركة بينهما لله الذي يقدر وحده أن يوفِّق القلب مع القلب، ويآلف النفس مع النفس.

وإنها لعطية نادرة أن تكون العلاقة بين الخطيبين قد تخطت الدوران حول محور الجنس، لتكون أكثر عمقاً لمفهوم الحب الذي لا ينحصر فيما للجسد فحسب. فسيطرة المشاعر الجنسيَّة تمنع غالباً تطور العلاقة بينهما على أساس صحيح. وهنا يلزم التنويه إلى أنه ينبغي ألاَّ تتخطى العلاقة العاطفيَّة بين الخطيبين حدود القُبلة بينهما، وذلك في بعض المناطق دون غيرها، كتعبير عن حبهما لبعضهما البعض. وليحذرا كل الحذر من التمادي في التعبير عن حبهما لأكثر من ذلك حتى يستحقا إكليل عرسهما المرتقب.

كل الذين نادوا بالتحرُّر من الجنس سقطوا في شرك العبودية لـه. والزَّواج الذي يبدأ بضمير مثقَّل بالخطيَّة هو بلا أساس وسرعان ما يكون سقوطه عظيماً، لأنه زواج لا يباركه المسيح. وإن التأثير الطاغي والمفزع لوسائل الإعلام على الشباب المسيحي طمس اكتشاف المعنى الحقيقي للمحبَّة.

يحتاج كل طرف أن يجتهد ليتعرَّف على الطرف الآخر، ويفهمه جيداً في هذه الفترة. لأنه من الملاحظ أن الإنسان يريد دائماً أن يفهمه الآخر، دون أن يبذل هو نفسه جهداً لفهم هذا الآخر. ولو حاول كل واحد أن يفهم رفيقه لتغيرت العلاقات الإنسانيَّة إلى الأفضل والأحسن. ففي هذه الفترة يبدأ كل طرف أن يتنازل عن شئ من أجل الآخر، وهي خطوة أساسية على طريق الزَّواج المرتقب، حيث يبدأ الرجل أن يترك بعض اهتماماته من أجل المرأة، وكذلك المرأة أيضاً من أجل الرجل، وهكذا تصبح فترة الخِطبة فرصة مواتية ليتأقلم فيها كل طرف على مستوى الطرف الآخر ويتكيَّف معه في كل مناحي الحياة.

أما تضييع الوقت بين الخطيبين في التعبير عن الحب والإعجاب وما شابه، دون أن يستوضح كل منهما الآخر استيضاحاً كافياً، ربما يكون هو تضييع آخر فرصة متاحة أمامهما لضمان استقرار مستقبلهما. فاكتشاف أحد الطرفين في الطرف الآخر مبادئ وقيم مخالفة جذرياً لما يريد أن يراه في شريكه هو إيذان بضرورة إعادة تقييم المشاركة. فوحدة الهدف لدى الخطيبين هي المعيار الدقيق والنهائي لتوافقهما أو افتراقهما في محبة وتقدير واحترام كل منهما للآخر.

الفصل الثاني

عـــربون الـــزَّواج
(عقد الأملاك)

تمهيد

"الأملاك" هي التسمية القديمة لهذا الطقس، وقد وردت باسمها هذا عند القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م). أما تعبير "عقد الأملاك"، فهو التعبير الذي ذكره القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧-١٩٠٤م) في كتابه "رتبة الإكليل الجليل" والذي طبعه للمرة الأولى سنة ١٨٨٨م، وأُعيدت طباعته مرة ثانية سنة ١٩٢١م. وقد قنَّنه كتسمية رسميَّة في الكنيسة حين استهل به صلوات هذا الطقس بثلاث رشومات تبدأ في كل مرة بعبارة: "باسم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح نعقد أملاك ...".

أما تسمية هذا الطقس باسم "الأملاك" فهو بسبب أن كلاً من العروسين صار ملكاً للطرف للآخر انطلاقاً من قول الكتاب المقدَّس: «ليس للرجل سلطان على جسده بل للمرأة، وليس للمرأة سلطان على جسدها بل للرجل». وهو يُسمى أيضاً "عقد الأملاك" بسبب الممارسة الطقسيَّة التي تتم فيه حين يعقد الكاهن أملاك الزوجين المزمع تكليلهما، إذ يقدِّم كل من العروسين لبعضهما خاتماً من ذهب وقت الزَّواج كعلامة ظاهرة على رضاهما بالاقتران ببعضهما بعضاً بمحبة، وكعربون للاقتران ذاته[1]. فيأخذ الكاهن خاتمي الذهب ويلفهما معاً مع الأكاليل، **ويعقد**

١- انظر: تكوين ٣:٢٤ ؛ خروج ٢٢:٣ ، ٢:١١ ، ٣٥:١٢ ، ٢أيام ٣:٢٥ ؛ عزرا ٦:١

عليهما بزنار حرير أبيض للدلالة على الألفة التي يلزم أن تكون بينهما[٢].

أما الاسم الكنسي لهذا الطقس بحسب منطوق الصلوات القبطيَّة به فهو "عربون الشركة" وبالقبطيَّة ⲟⲩⲁⲣⲁⲃⲱⲛ ⲛⲧⲉ ⲟⲩⲙⲉⲧϫⲱϥⲣ . وهو أيضاً "رباط العربون" وبالقبطيَّة ϣⲙⲟⲩⲧ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲁⲣⲁⲃⲱⲛ . حيث تعبير "عربون" هو ترجمة عربيَّة للكلمة القبطيَّة ⲁⲣⲁⲃⲱⲛ (أريب) ذات الأصل اليوناني. وقد وردت هذه الكلمة في النص القبطي لصلوات هذا الطقس ست مرات، وتُرجمت في خمس مرات منها بالعربية إلى كلمة "أملاك"، وفي مرة واحدة إلى كلمة "عربون".

وعند القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) "الأملاك هو عهد وميعاد لتزويج مستأنَف ... والأب يجوز له أن يحل أملاك التي تحت سلطانه، لا التي سلطانها إليها. ولا يجوز ذلك للوصي"[٣].

والأمر الذي لا يلتفت الكثيرون إليه هو أن صلاة عقد الأملاك (عربون الزَّواج) كانت تتم في محضر العريس فقط، حيث تكون العروسة جالسة في بيت النساء في الكنيسة إلى حين انتهاء صلوات عقد الأملاك. فالبابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) بعد أن يشرح طقس صلوات عقد الأملاك يقول في نهايته: إن الكاهن يُلبس العريس الخاتم في يده اليمنى، ويبارك على العريس. ويتوجَّه يستريح، ويبتدئون بهذا اللحن، وهم ماضين بالشموع والنواقيس إلى بيت الإكليل ... وإذا دخل الكاهن

2- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967, p. 132.

٣- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

إلى بيت الإكليل يأخذ العريس بمفرده ويتوجَّه إلى حيث العروسة جالسة، ويأمره أن يلبسها الخاتم الذهب الذي عقد عليه الإكليل في يدها اليمنى ... الخ.

إذاً كانت صلوات عقد الأملاك (عربون الزَّواج) تتم في محضر العريس فقط، بينما عروسته جالسة في بيت النساء إلى انتهاء الصلوات حيث يتوجَّه العريس بعدها إلى عروسته لتتميم صلوات الإكليل لكليهما معاً. وهذا أمر طبيعي لأن العريس في حال دخوله إلى الكنيسة توجَّه إلى حيث الخوروس أمام الهيكل، أما العروس فقد توجَّهت إلى بيت النساء.

والذي يدقق في قراءة طقس صلوات عقد الأملاك ومن بعده طقس صلوات الإكليل عند القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) يجد أن الطقس الأول هو طقس مستقل عن الثاني. أما عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) فنلاحظ أن الطقسين (أي عقد الأملاك والإكليل) كانا يتتمان متلاحقين مباشرة، ويعقبهما حضور القدَّاس الإلهي والتناول من الأسرار المقدَّسة. ولكن دون أن يُضم هذان الطقسان إلى بعضهما رسمياً آنئذ حتى تم ذلك في عصر البابا كيرلس الرابع (١٨٥٣- ١٨٦١م)، وجرى على منواله البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤- ١٩٢٧م) الذي أصدر أمراً بألاَّ يعقد الكهنة الأملاك إلاَّ وقت الإكليل نفسه. فاستقر هذا الوضع حتى يومنا هذا.

والطقس القبطي في أصوله القديمة لم يكن كما نراه اليوم حين تتشابك ذراعي العريس والعروسة التي تسير عن يمينه ويدخلان الكنيسة معاً لتتميم صلوات عقد الأملاك والإكليل المقدَّس. وإنما كان الطقس القبطي وإلى ما بعد القرن الخامس عشر للميلاد هو ما نقرأ عنه تفصيلاً عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه "الترتيب

الطقسي"، والذي يذكر فيه العنوان التالي: "ننسخ ترتيب عقد الأملاك للزَّواج الأول وللزَّواج الثاني إن كان أحدهما بكراً"، مما يفيد أن ما يذكره كتاب "الترتيب الطقسي" هو نساخة طقس مدوَّن في مخطوطات الكنيسة، أي أنه الطقس الذي درجت عليه الكنيسة القبطيَّة قبل القرن الخامس عشر على أقل تقدير. فما هو هذا الطقس القديم؟

يدخل العريس إلى الكنيسة أولاً بموكب خاص به، ومن بعده تدخل العروسة إلى الكنيسة بموكب خاص بها. فكيف كان يجري الطقس القديم؟

بعد صلاة نصف الليل والتسبحة، وانتهاء صلوات رفع بخور باكر. يحضر العريس من بيته مع ذويه وأصدقائه إلى الكنيسة فيتلقاه كهنة الكنيسة والشمامسة بالشموع والنواقيس. ويدخلون به إلى الكنيسة وهم يرتلون أمامه لحن "مبارك الآتي باسم الرب ..." وهو المعروف باسم لحن ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲙⲉⲛⲟⲥ (إفلوجيمينوس).

ثم يتجهون إلى باب البيعة أيضاً ويحضرون العروسة بالشموع والنواقيس وهم يرتلون أمامها لحن "السلام لك يامريم ..."، وهو المعروف باسم لحن Ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ Ⲙⲁⲣⲓⲁ (شيري ني ماريًّا)[٤]، إلى أن تدخل إلى بيت النساء[٥].

ومن مخطوط رقم (١٩٦ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، والذي تعود نساخته إلى ما بين سنة ١٦٦٥م، وسنة ١٧٨٤م، نقرأ ما يلي:
"ترتيب الملاك (أي الأملاك) كما جرت العادة. أول ذلك ملاقاة

٤- وهو من أبدع ألحان تسبحة نصف الليل في الكنيسة القبطيَّة.

٥- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، الطبعة الثانية، إعداد الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات المسيحيَّة الشرقيَّة، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٢١

العريس خارج باب البيعة سيَّما باللحن الإسكندراني ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲙⲉⲛⲟⲥ ثم يرتلوا بالنواقيس وهم يتخطروا قدامه إلى أن يدخلوا به الخوروس (ويقولون) ⲡⲭ̅ⲥ ⲡⲗⲟⲩⲥⲓⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲓⲱⲧ .

وكذلك ملاقاة العروسة (بلحن) ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲙⲁⲣⲓⲁ . ثم يشهدوا على والد العروسة بتغليق المهر".

ومعنى حضور العريس أولاً إلى الكنيسة ومن بعده العروسة، لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء. ثم إن العروسة التي دخلت أخيراً إلى الكنيسة تخرج هي أولاً قبل عريسها بعد انتهاء مراسيم الإكليل المقدَّس والقداس الإلهي الذي يعقب هذه المراسيم. وفي ذلك يقول البابا غبريال الخامس في كتابه "التريتب الطقسي":

"فإذا انتهى القدَّاس يزفون العروسة أولاً (بلحن) ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲙⲁⲣⲓⲁ إلى باب البيعة. والعريس يوقفوه قدام باب الخوروس ويقولون قدامه لحن ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲙⲉⲛⲟⲥ (إفلوجيمينوس)، وبعدها ⲉⲥⲥⲱⲧⲛ ⲉⲣⲟⲕ (أي يباركه الله ...). وإن كان ثمَّ مهل يقولون ⲑⲥⲁⲗⲓⲗⲉⲁ (تي جاليلي آ)[٦] إلى باب البيعة. وبعد ذلك يتوجهون بسلام إلى منازلهم. الرب يجعلها ساعة مباركة عليهم"[٧].

فالعريس الذي دخل أولاً قبل عروسته يخرج من الكنيسة بعدها. أي أن العروسة تدخل إلى الكنيسة وتخرج منها في حضور عريسها، وهو رمز بديع للكنيسة عروسة المسيح التي تدخل وتخرج وتخلص وتجد مرعى عند عريسها المسيح الإله، الكائن معها أبداً، يحفظها ويرعاها إلى الأبد.

والآن عودة إلى دقائق الطقس القبطي البديع كما تصفه المراجع

٦- وهو من ألحان ثيوطوكية يوم الأربعاء في تسبحة السَحَر.

٧- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٣٣

الطقسيَّة القديمة.

طقس دخول العروسين إلى الكنيسة

ما يلي ذكره هو طقس أوائل القرن الخامس عشر وما قبله كما يصفه البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه "الترتيب الطقسي"، فيقول:

"**جرت العادة** بعد صلاة نصف الليل، وصلاة باكر، يحضر العريس من بيته مع أهله ومعارفه وأصحابه. والكهنة بتوع البيعة التي هو أراد التوجه إليها فيتلقونه عند باب البيعة، هم وشمامسة البيعة بالشموع والنواقيس. وإن كان أحد منهم يحسن قراءة لحن العريس فيقرأه، وهو هذا ... ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲙⲉⲛⲟⲥ (إفلوجيمينوس)، يقولونه وهم واقفين على باب البيعة إلى آخره. (ثم) يبتدئوا بقراءة ⲡⲭⲥ ⲡⲛⲁⲟⲩⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲱⲧ (أيها المسيح كلمة الله ...) بلحن الصليب إلى أن يوصلوه إلى موضع عقد الأملاك. وإن كانوا ما يحسنون قراءة ذلك فيقولون ... ⲑⲣⲁⲗⲗⲉⲁ (تي جاليلي آ).

ثم يخرجوا يتلقون العروسة أيضاً عند باب البيعة بالشموع والنواقيس بقراءة ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲙⲁⲣⲓⲁ (شيري ني ماريًّا) من سامودي[٨] إلى أن تدخل بيت النساء يدخلون إلى الخوروس. فإن كان أحد الكهنة (هو) المكلل فيكشف رأسه بالتونية والبلين. وإن اختار، بالبدلة[٩]. والشماس أيضاً

٨- وهي قطعة من قطع ثيؤطوكية يوم الأحد تبدأ بكلمة ⲥⲉⲙⲟⲩⲧ والتي نقرأها اليوم (سيموتي).

٩- أي أن الكاهن قبل أن يبدأ في مراسيم صلوات عقد الأملاك يلبس ملابس الخدمة وهي التونية والبلين. أو يختار لبس البرنس فقط والذي يدعوه البابا غبريال الخامس "البدلة". وارتداء الكاهن للحلة الكهنوتيَّة أثناء تتميم مراسيم الزَّواج طقس سحيق في القدم يشهد له القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩- ٣٩٧م) أسقف ميلان حين

بالتونية والبلين.

وإن كان الأب البطريرك حاضراً فهو الذي يعقد الأملاك. فيتوجهوا يحضرونه من القلاية بالشمع إلى أن يدخل الخوروس.

وإن كان العريس عمل له برنساً فيبدل به. يقلع البرنس الذي نزل به من القلاية ويلبس برنس العريس ..."[١٠].

وهذا الطقس عينه قد أشار إليه المؤرخ الإنجليزي ألفريد بتلر A. Butler الذي زار كثيراً من كنائس مصر ولاسيَّما كنائس مصر القديمة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وشاهد طقوسها في تلك الفترة رؤيا العين، وكتب عنها. فيقول:

يُحاط سر الزِّيجة في الكنيسة القبطيَّة بالاحترام العظيم، وتتخلله بعض آثار العادات القديمة، بل أيضاً العادات السابقة على المسيحيَّة التي اختفت من الطقس الغربي ... عندما يصل العريس إلى الباب (باب الكنيسة) يستقبله الشمامسة حاملين الشموع والأجراس مع الكهنة وهم يرتلون "مبارك الآتي باسم الرب ..."، ويلي ذلك ترتيل الألحان. ثم يقتادون العريس إلى الخوروس الأمامي. ويتم الترحيب بالعروسة عند الباب مع ترديد لحن "السلام لك يا مريم ..."، ثم تُقتاد إلى مكانها في الشرفة المخصَّصة للسيدات. ويلبس جميع الإكليروس الملابس البيضاء. وإذا كان البطريرك سيحضر لمنح البركة، فإن رجال الإكليروس يحيطون به في موكب إلى داخل الكنيسة. وتوضع مستلزمات العُرس المكوَّنة من صليب ذهبي، ودبلة ذهبيَّة، ومنطقة، وبخور على صينيَّة في الخوروس

يقول: [إذا كان من الواجب أن يُعقد الزَّواج بحلة كهنوتيَّة وبركة الكاهن، فكيف يمكن أن تكون زيجة بإيمان مختلف؟].

١٠- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٢١، ٢٢

الأمامي. وأحياناً توضع أيضاً عباءة حريريَّة كان من المعتاد أن يقدمها العريس للبطريرك الذي يلبس هذه الهديَّة أثناء الصلاة. وتبدأ الخدمة بعد صلاة باكر مباشرة[١١].

إن زف العروسة إلى عريسها بعد أن هيأت نفسها تشير روحياً إلى زفاف الكنيسة إلى المسيح التي هي الآن تتوقَّع مجيئة حتى إذا ما جاء في مجده تُزف إلى خدره السمائي، ويكمل اقترانها به[١٢].

أما الطقس البيزنطي، وابتداءً من القرن الحادي عشر على الأقل فكان يمارس طقس الإكليل المقدَّس بعد طقس الخطوبة مباشرة. فيرجع الخطيبان إلى آخر الكنيسة حيث يستقبلهما الإكليروس ويقودونهما بتطواف إحتفالي عبر صحن الكنيسة، ويرتلون في هذه الأثناء المزمور (١٢٨) «... امرأتك تصير مثل كرمٍ مثمرة في جوانب بيتك، بنوك مثل غروس الزيتون الجدد حول مائدتك، هكذا يبارَك الرجل المتقي الرب»، وهو المزمور المستعمل في الزَّواج المسيحي بكل وضوح منذ القرن الرابع الميلادي[١٣].

فمراسم الزَّواج في الطقس البيزنطي تبدأ عند الدهليز الخارجي للكنيسة، هذا الجزء من البناء الكنسي الذي يمثل العالم خارج الكنيسة. ففيه تتبدَّل الخواتم، وفيه يبدأ موكب الزَّواج. هذه الحركة من العالم إلى الكنيسة، من الهبوط إلى تجديد الصورة، حيث يقود الكاهن الزوجان في موكب من الدهليز إلى منتصف بناء الكنيسة حيث يقف الجميع أمام منضدة وُضع عليها الإنجيل والصليب. ويحمل الزوجان شموعاً موقدة

١١- ألفريد بتلر، الكنائس القبطيَّة القديمة في مصر، مرجع سابق، ص ٢٥٠

١٢- انظر: رؤيا ١٩:٧، ٨

١٣- هنرى داليس، الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ص ١٥٤

علامة إيمانهم بالمسيح نور العالم. ويعلن الكاهن هدف الاجتماع بلحن قائلاً: "مباركة مملكة الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين"[١٤].

المراحل الطقسيَّة لصلوات عربون الزَّواج

في الجدول التالي نورد المراحل الطقسيَّة لصلوات عقد الأملاك طبقاً لما ورد عنها من مخطوطات تعود إلى القرون الرابع عشر والخامس عشر، والسابع عشر، ثم من ثلاث مخطوطات أخرى تعود إلى القرن التاسع عشر. وبعد ذلك نتطرَّق إلى طقس الصلوات الحالي.

أما طقس القرن الرابع عشر فهو كما يشرحه القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في الباب العشرين من الجزء الثاني من كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"، وهو مخطوط تمت نساخته سنة ١٤٤٩م.

وطقس القرن الخامس عشر هو الطقس الذي يشرحه البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه "الترتيب الطقسي".

أما طقس القرن السابع عشر فهو كما ورد في مخطوط رقم (١٩٦ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، ويعود تاريخه إلى ما بين سنة ١٦٦٥م وسنة ١٦٨٤م بحسب تحقيق الأب أوجو زانيتي Ugo Zanetti .

وأما طقس القرن التاسع عشر فنجده في ثلاث مخطوطات من مكتبة الدير المذكور وهي:

مخطوط رقم (١٩٤ طقس)[١٥]، ويعود تاريخ نساخته إلى ما بين سنة

14- Davis, J.G., *op. cit.*, p. 257.

١٥- وهو برقم ٢٣٨ في كتالوج مخطوطات مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، والذي عمله

١٨٦٣م، وسنة ١٨٧٤م.

مخطوط رقم (١٩٥ طقس)[١٦]، ويعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٨٥٩م. (١٣٨ صفحة).

مخطوط رقم (١٩٧ طقس)[١٧]، ويعود إلى القرن التاسع عشر. (١٧٩ صفحة).

مع ملاحظة أن ما يرد في الجدول التالي من كلمات بالبنط الصغير هو من عندنا للتوضيح.

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
جرت العادة بين المصريين أن الإشبين يحمل صينية فيها قربانة، وصليب، وخاتم، وشئ من سُكر، وإكليلان من فضة أو ذهب أومن شئ أخضر. ويقف العريس قدام الهيكل.	يوضع أمام الأب البطريرك - أو الكاهن - صينيَّة على الأنجيليَّة فيها حبَّة العريس، والزنار، والعَرَض الأبيض، والصليب، والخاتم، والبخور. ويكشف الأب السيد البطريرك - أو الكاهن - رأسه كالعادة.	ترتيب الملاك (أي الأملاك) كما جرت العادة ... توضع قربانة، وصليب ذهب، وخاتم ذهب.
ويقال الشبهموت (أي صلاة الشكر)		

الأب أوجو زانتي Ugo Zanetti.

١٦- وهو برقم ٢٣٩ في الكتالوج المذكور.

١٧- وهو برقم ٢٤١ في الكتالوج المذكور.

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
ويُرفع البخور.	ويرفع البخور بأوشيَّة البولس، وهي: ⲡⲛⲓⲱⲧ ⲛⲓⲱⲁⲉⲛⲉⲥ ⲫⲏ "يا الله العظيم الأبدي ..."(١٨).	
ويُقال المزمور الخمسون.	وهم يرتلون كيريياليسون بالكبير، وبعدها أرباع الناقوس(١٩)، ويعطي الأب البطريرك الكهنة البخور كالعادة. ويقولون كيريياليسون، الليلويا، ذكصابتري، وأبانا، والمزمور الخمسين إلى آخره(٢٠).	ويقول الشعب ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲥⲩⲧ وما يلائم. وبعده يقولون ⲕⲉ ⲕⲉ ⲕⲩⲣⲓⲉ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ ⲁⲙⲏⲛ. ⲁⲗ ⲇⲟⲝⲁⲡⲁⲧⲣⲓ.. ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ .. ⲛⲁⲓⲛⲏ ⲫⲏ. "يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك، آمين. أللويا،

١٨- الكلمات المكتوبة في هذا الجدول ببنط صغير هي من عندنا للتوضيح.

١٩- لم يذكر البابا غبريال تعبير "أرباع الناقوس"، بل ذكر نص الأرباع القبطيَّة التي تُقال وهي مقدِّمة أرباع الناقوس الواطس (ربعان)، وبعدها ربع للعذراء ⲥⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡⲣⲉⲥⲃⲓⲁ ، وبعدها ربع للبابا البطريرك، ثم ربع الختام ⲉⲑⲣⲉⲛⲥⲱⲥ .

٢٠- نكرِّر هنا ما سبق أن ذكرناه غير مرة في أكثر من كتاب أن هذه العناصر الليتورجيَّة (كيريياليسون، الليلويا، ذكصابتري، وأبانا، ومزمور ٥٠)، هي العناصر الأكثر قدماً، والتي حلَّ محلها الآن أرباع الناقوس بدءاً من زمن البابا غبريال الخامس، لأن القس أبو البركات ابن كبر في القرن الرابع عشر لم يذكر عنها شيئاً. ولازالت كتب الطقس القديمة نوعاً تذكرها بعد أرباع الناقوس.

٢١- واضح هنا بدء استقرار ترتيل أرباع الناقوس دون أن تُذكر باسمها، حيث يشير المخطوط إلى الكلمة الأولى منها، ثم يُقال ما يلائم من الأرباع الأخرى. ثم

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
		ذكصابتري، أبانا، ارحمني يا الله ...''(٢١).
	يُرفع البخور يداً واحدة، ويقولون: ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙⲙⲟⲕ ''نسجد لك أيها المسيح ...''.	
ويقرأ فصل البولس قبطياً وعربياً		
	ويطوف الكاهن بالبخور في الخوروس خاصة.	
	ويقال أجيوس الثلاثة وذكصابتري.	ثم يقال أجيوس وبعدهم هذه الأرباع بالناقوس: ⲫⲏ ⲫⲛⲉⲟⲙⲱ-ⲧⲉⲛⲙⲛⲟϥ.. إلى آخر (الأرباع) ⲛⲓϫⲉⲣⲟⲩⲃⲓⲙ ''الشاروبيم ...''.
	ويقول الكاهن أوشيَّة الإنجيل(٢٢)	

الحفاظ على الخمس عناصر الليتورجيَّة التي تعقب أرباع الناقوس.

٢٢- أشار ابن كبر إلى أوشيَّة الإنجيل في طقس الإكليل قبل قراءة الإنجيل.

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
	ويُطرح المزمور ويُرد دمج سنوي. وإن كان الأب البطريرك حاضراً يقولون بعد المزمور: ⲙⲁⲣⲟⲩⲱⲁⲥϥ "فليرفعوه في كنيسة شعبه ...".	ويُطرح المزمور.
ويقرأ الإنجيل قبطياً ويُفسر عربياً.		
	ومرد الإنجيل: ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲙⲁⲛⲱⲉⲗⲉⲧ. ⲫⲧⲥⲉⲗⲥⲟⲗ ⲅⲉⲛ ⲟⲩⲑⲟ ⲛⲣⲏϯ. ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲛⲧⲱⲫⲓⲟⲥ ⲓⲱⲙⲛⲓ.ⲉⲧⲁϥⲥⲱⲧⲡⲉϯⲙⲉⲧⲣⲱⲙⲓ. "السلام للخدر المزيَّن بكل نوع، الذي للختن الحقيقي الذي اتحد بالبشريَّة ...".	
ويقال الثلاث أواشي[٢٣] ؛ السلامة والآباء والجماعة (الاجتماعات). والأمانة المقدَّسة.		
والثلاث أواشي المختصَّة بعقد الأملاك.		
	والمرد القبطي الذي يعقب كل أوشيَّة: المرد الأول: ⲠⲭⲈ Ⲡⲓⲗⲟⲅⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲫⲓⲱⲧ	

٢٣- كل المصادر القديمة لا تذكر سوى تعبير "الثلاث أواشي ..."، أما البابا غبريال فذكر أنها "الثلاث أواشي الكبار"، وربما كان خطأ في النساخة، وأظن أن صحتها أن الأواشي الثلاث الصغار. وهو ما تذكره كتب الطقس المطبوعة.

٢٤- هذه المردات الثلاثة مأخوذة من "ختام الثيؤطوكيات الواطس" من كتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة.

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
		"أيها المسيح كلمة الآب ...". المرد الثاني: ⲕⲁⲧⲁ ⲫⲣⲏⲧ "كما أعطيته لرسلك القدِّيسين ...". المرد الثالث: ⲧⲁⲥⲓⲣⲏⲛⲏ ⲁⲛⲟⲕ "سلامي الذي أخذته من أبي ..."(٢٤).
	وفي بداية كل أوشيَّة يقول الكاهن: ⲉⲓⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓⲛ "السلام للكل". وفي نهاية كل مرد يختمون بقولهم: ⲭⲉⲉⲓⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ "لأنه مبارك الآب والابن والروح القدس الثالوث الكامل. نسجد له ونمجده". ويقولون كيريالیسون ٣ مرات. ⲉⲓⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓⲛ "السلام للكل".	
وصلاة شكر للأملاك.		
أبانا ...، والتحليل، والبركة، وكيريالیسون ٢٠ مرة.	أبانا ...، والتحاليل الثلاثة، ويرفع الكاهن الصليب على رأس العريس إلى أن يفرغ	أبانا ...، والتحليل، وكيريالیسون ١٢ مرة.

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
	من قراءة التحليل. ثم يقولون كيرياليسون ٢٤ مرة.	
ويستدعى (الكاهن) بدلة العُرس والأحسن أن تكون بيضاء ويصلي عليها صلاة مختصَّة بها، ثم يلبسه الكاهن بيده ويضع عمامته على رأسه، ويشد زناره.	يحل الإشبين الجبة، ويصلي عليها البطريرك أو القس أوشيتها إلى آخرها. ثم يلبسها للعريس، ويشد وسطه بزنَّار، ويغطي رأسه بالنمط الأبيض، ويعطيه الخاتم في يده اليمنى.	أوشيَّة الثياب.
ويرتل المرتلون عند لباسه بمديحة(٢٥): ⲙⲁⲓ ⲧⲉⲕⲛⲁⲩ ⲉⲧⲁⲓϣⲉⲗⲉⲧ. "تعال انظر هذه العروسة التي زُيِّنت	وإن كان الأب البطريرك حاضراً فوقت لبس الجبة يرتلوا هذا بطريقة الصليب: ⲁⲅⲓⲟⲥ ⲁⲛⲁ- ⲧⲓⲕⲟⲛ.	

٢٥- أورد القس أبو البركات ابن كبر نص هذا المديح بكامله قبطياً وعربياً.

٢٦- هذا الربع الأخير أورده مخطوط رقم (١٩٥ طقس) وتاريخه سنة ١٨٥٩م. فقط. أما مخطوط رقم (١٩٦ طقس) وتاريخه حوالي سنة ١٦٦٥م، وتتفق معه باقي المخطوطات فقد أوردوا بدلاً من الربع المذكور الربع التالي: ⲭⲉ ⲓⲥⲙⲁⲣⲟⲩⲱⲧ "مبارك الآب والابن والروح القدس ... الخ". وكلها مكتوبة بالقبطيَّة فقط.

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
للحمل. اشتملت بمجد عظيم كقول ابن الرعد. يوحنا بن زبدي يصرخ ويقول: إن هذه العروسة مضيئة أكثر من كوكب الصبح. هذه صهيون الجديدة مدينة إلهنا، وفرح جميع القدِّيسين حال فيها". "اشفعي فينا يا سيدتنا كلنا والدة الإله مريم، أم يسوع المسيح، ليغفر لنا خطايانا"(٢٦).	"الحُلة الروحانيَّة التحف بها ميخائيل، والمنطقة الجوهرية تمنطق بها ميخائيل. حلة العفاف أعطيت لهذا العريس، وإكليل البهجة وُضع على رأسه. كالذي قاله داود المرتل: مجداً وكرامة جعلتهما تاجاً عليه. أدركته ببركة صلاحك، ووضعت على رأسه إكليلاً من حجر كريم. سألك حياة يارب فأعطيته طول الأيام إلى أبد الآبدين".	
	يلبس الأب البطريرك عمامته، ويقرأ البركة، ويبارك العريس، ويتوجَّه يستريح، ويبتدئوا بهذا اللحن، وهم ماضين بالشموع والنواقيس إلى بيت الإكليل. وإن لم يكن البطريرك	ويُقال عند لبس الملوطة: ⲁⲅⲓⲟⲛ ⲡⲛⲁⲧⲓⲕⲟⲛ. ويقال عندما يتوجهوا بالعريس من موضع العقد إلى موضع الإكليل وله بداية لحن بطريقة الشعانين:

٢٧- لم أعرف السبب الذي لأجله يذكر البابا غبريال ذلك الأمر، وما هي علاقة مديح "الحلة الروحيَّة الملتحف بها ميخائيل ..." بحضور البابا البطريرك؟.

طقس القرن ١٤	طقس القرن ١٥	طقس القرن ١٧
	حاضراً لا يقال ⲁⲓⲥⲧⲟⲗⲏ بل يقال: ⲙⲁⲩⲟⲩ ⲛⲉⲕⲛⲁⲩ لا غير[٢٧].	ⲙⲁⲩⲟⲩ ⲛⲉⲕⲛⲁⲩ ⲉⲧⲁⲓⲱⲉⲗⲉⲧ

ويضيف البابا غبريال بمفرده على ما سبق ذكره مباشرة ما يلي:

وإذا دخل الكاهن إلى بيت الإكليل يأخذ العريس بمفرده، ويتوجَّه إلى حيث العروسة جالسة، ويأمره بأن يلبسها الخاتم الذهب - الذي عقد عليه الإكليل — في يدها اليمنى. فإن مد يدها وقبولها صليب العقد هو رضاها بالعريس. ثم يسلمها له. ويأمر الإشبينة بخروجها أمام الجمهور ويقيمها بينهما على يمين العريس[٢٨]. ويغطي رأس الاثنين بالنمط الأبيض، وذلك شهادة لكل الحاضرين باتصالهم ببعضهم البعض بالنمط الأبيض اتصالاً ظاهراً طاهراً نقياً.

ثم يقولون لحن للعروسة الحقيقية والدة الإله، وهو:

ⲙⲁⲩⲟⲩ ⲛⲉⲕⲛⲁⲩ ⲉⲧⲁⲓⲱⲉⲗⲉⲧ...

وبذلك ينتهي طقس عقد الأملاك كما ورد في مخطوطاتنا القبطيَّة. والجدير بالذكر أن ثلاث مخطوطات طقسيَّة أرقام (١٩٤، ١٩٥، ١٩٧ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار لم تخرج عمَّا ذكره مخطوط القرن السابع عشر (١٩٦ طقس) بمكتبة نفس الدير المذكور، والذي أوردنا جانباً منه في الجدول السابق.

٢٨- لاحظ هنا أن الطقس القبطي القديم كان يتمم صلاة الإكليل بحضور العريس وعروسته وبينهما تقف إشبينة العروسة عن يمين العريس.

إن توجُّه العريس صحبة الكهنة والشمامسة إلى حيث عروسته ليضع خاتماً في يدها ويلبسها صليباً حول عنقها، هو تعبير طقسي روحي في غاية الإبداع، لأن المسيح له المجد خطب كنيسته بسر الصليب المجيد. وحين تبدأ مراسيم الإكليل الجليل تجلس العروسة عن يمين عريسها، لأن الله خلق المرأة من جنب آدم الأيمن وأحضرها إليه كما يقول القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م). كما يشير روحياً إلى جلوس الكنيسة عن يمين المسيح[٢٩].

فبحسب العادات التي كانت سائدة في القرون الأولى للمسيحيَّة، أن العريس هو الذي يذهب إلى حيث العروسة وليس العكس. ويشير القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) إلى ذلك الأمر بوضوح فيقول:

> [... المعتاد في الزَّواج أن العريس يأتي إلى العروسة، حتى لو كان هو في غاية الثراء، وهي في منتهي الفقر والضعة ... إنه شئ عجيب أنه (أي المسيح) أتى إلى عروسته (أي الكنيسة) مع أنها لم تطلب منه أن يضع حياته لأجلها ...] (تعليم المعموديَّة ١١:٢، ٤).

الصليب هو ختم الملك وهو الذي يجعل الرجل يقدِّم عربون محبته لعروسته مثلما قدَّم الرب صليبه أي حياته للكنيسة قبل أن يتَّحد بها بالروح القدس، لأجل إعلان العقد الإلهي الذي صار بين الرب والكنيسة، وهو الذي سوف يكمَّل بالزَّواج المقدَّس وبرشم الصليب المبارك الذي يكشف عن الطبيعة الجديدة التي تتَّحد بالصليب بطبيعة مماثلة لها أي طبيعة الرجل والمرأة"[٣٠].

٢٩- انظر: مزمور ٤٥:٩

٣٠- سلسلة ينابيع الأرثوذكسيَّة، معاني رشم الصليب، ص ٤٨، ٤٩

الخلاصة

يتلخَّص الطقس القبطي لصلوات عقد الأملاك بحسب مخطوطاتنا القبطيَّة في النقاط التالية:

★ صلاة الشكر.

★ رفع البخور وأرباع الناقوس والمزمور الخمسون.

★ مرد ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ ''نسجد لك أيها المسيح ...''.

★ قراءة فصل البولس (١كورنثوس ١:١-١٠).

«من بولس المدعو رسول يسوع المسيح ... »

★ أجيوس، وأوشيَّة الإنجيل.

★ المزمور (٨٤:١٠، ١١)

«الرحمة والحق تقابلا، البر والسلام تلاثما. الحق من الأرض أشرق، والبر من السماء اطلع».

★ قراءة فصل الإنجيل (يوحنا ١:١-١٧)..

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله ...».

★ مرد الإنجيل.

★ الثلاث أواشي الكبار.

★ قانون الإيمان.

★ ثلاث أواشي أخرى مختصَّة بعقد الأملاك.

الأوشيَّة الأولى:

''يا الله الذي جبل الإنسان بيديه وحده، وأعطاه المرأة عوناً وقوة له. أنت أيضاً يا سيدنا كن وسيطاً لهذين الفتيين[٣١]، العريس

٣١- صيغة المثنى من ''فتى''، وجاءت في القبطيَّة ⲛⲛⲁⲓ ⲁ̀ⲗⲱⲟⲩⲓ̀ . أما كتاب ''صلوات الخدمات'' فذكرها ''لهذين العروسين''.

ومعينته[٣٢]، صلهما بعربون الشركة، وأعطهما علامة إشارة إتصالهما، ليكونا بألفة واحدة برباط المحبَّة، إذ تقول لهما سلامي أعطيه لكما، سلامي أنا أتركه معكما. فأنت سلامة جميعنا ....".

الأوشيَّة الثانية:

"أيها السيد محب البشر الذي أكمل الصوت النبوي أن من قبل الرب يتصل الرجل بالمرأة. أنت أيضاً يارب، أملاك[٣٣] عبديك هذا الحاضر لدينا، اجعله[٣٤] أهلاً للبركة التي من قبلك، وكمِّل واقرن عبديك بغير لوم مرضيين لإرادتك المحيية. لأنك أنت إلهنا الذي جبل الإنسان من الأرض، وأعطيته معينة نظيره، صنعتها منه لتكون له زوجة وشريكة ومساعدة لتلد بنين وبنات ولينمو جنس البشر. الآن أيضاً يارب، بارك أملاك[٣٥] عبديك، العريس ومعينته لينميا ويكثرا من قبل رأفاتك الكثيرة. أعطهما ثمرة البركة، ومثال التقوى، واتصال الإيمان، وحكمة وطهارة وأعمال البر، لكي يتحدا بجسديهما ونفسيهما، كائناً خوفك فيهما، ليستحقا البركات من قبلك بالمسيح يسوع ربنا ...".

الأوشيَّة الثالثة:

٣٢- يذكر كتاب "رتبة الإكليل الجليل" أنه في كل مرة يرد ذكر العريس وعروسته يرشمهما الكاهن بعلامة الصليب.

٣٣- هذه الكلمة وردت في القبطيَّة ⲁⲣϩⲃ أي "عربون". وإن تُرجمت الكلمة هكذا يكون المعنى أكثر وضوحاً: "أنت أيضاً يارب، عربون عبيدك هذا الحاضر لدينا، اجعله أهلاً للبركة ...". والنص القبطي يورد العبارة بصيغة المفرد، مخصصاً الصلاة للعربون أي الأملاك. أما كتاب "صلوات الخدمات" فأوردها بصيغة المثنى، ناسباً نص الصلوات إلى العروسين وليس إلى العربون. وهو خطأ كبير.

٣٤- أي هذا العربون.

٣٥- أي "عربون" وفي القبطيَّة ⲉⲕⲉⲥⲙⲟⲩ ⲉⲡⲓⲁⲣϩⲃ ⲛⲧⲉ ⲛⲉⲕⲉⲃⲓⲁⲓⲕ .

"أيها السيد الرب إلهنا الذي رافق غلام إبراهيم رئيس الآباء فيما بين النهرين، لما أرسله ليأخذ امرأة فتاه اسحق، وبواسطة ملء الماء نظر أملاكه[٣٦] على رفقه. أنت أيضاً الآن يا سيدنا محب البشر، يارب رافق وسُر[٣٧] على أملاك[٣٨] عبديك العريس وعروسته[٣٩]، وباركهما، واحفظ القول الذي صار بينهما بعضهما لبعض. قوهما بكمالك، وليكن عهدهما وطيداً، وعضد شبابهما، لأنك أنت من البدء خلقت ذكراً وأنثى، ومن قبلك أملكت المرأة لبعل عوناً وخلافة لجنس البشر ...".

★ صلاة شكر لعقد الأملاك.

"نشكرك أيها الرب الإله ضابط الكل ... الذي زيَّن السموات بكلمته وأسس الأرض وكل من يسكن فيها ... الآن أيضاً يا سيدنا نسألك فليستحق عبداك سمة علامة كلمتك برباط العربون[٤٠]، إذ تكون لهما المحبَّة غير المفترقة لبعضهما من قبل توثيق ثبات اتحادهما. ابنهما على أساس كنيستك المقدَّسة لكي يسيرا بتقويم ورباط القول الذي قرراه مع بعضهما، لأنك أنت هو رباط المحبَّة والآمر بشريعة اتصالهما ...".

★ أبانا...، والتحاليل، والبركة.

★ الصلاة على بدلة العريس.

٣٦- الترجمة الدقيقة لهذه الكلمة هي: "عربونه"، وهي في القبطيَّة ⲡⲉϥⲁⲣⲁⲃⲱⲛ .

٣٧- أغفل كتاب "صلوات الخدمات" هذه الكلمة.

٣٨- أي "عربون" ⲡⲓⲁⲣⲁⲃⲱⲛ

٣٩- يضع كتاب "صلوات الخدمات" دائماً عبارة "العريس وعروسته" بين قوسين كأنها عبارة مضافة، برغم أنها من النص القبطي للصلاة، ⲡⲓⲛⲩⲙⲫⲓⲟⲥ ⲛⲉⲙ ⲧⲉϥⲛⲩⲙⲫⲉ .

٤٠- لست أعرف لماذا تُرجمت هذه الكلمة هذه المرة بترجمتها الصحيحة، في حين تُرجمت نفس الكلمة القبطيَّة فيما قبل غير مرة بكلمة "أملاك".

"أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا الذي زين السماء بالنجوم، وأظهر الأرض ببهاء الأزهار ...".

★ لبس العريس ثياب العُرس. وفي أثناء ذلك يقولون:

"الحلة الروحيَّة التحف بها ميخائيل ...". ثم يُشد وسطه بزنار.

★ توجُّه العريس إلى عروسته من موضع العقد إلى موضع الإكليل ليلبسها صليباً حول عنقها، ويضع خاتماً في يدها[٤١]. وفي أثناء ذلك يقولون: "تعال انظر هذه العروسة التي زيَّنت نفسها للحمل ...".

ملاحظات على الجدول السابق

• طقس القرن الرابع عشر لم يكن يعرف حتى ذلك الوقت أرباعاً للناقوس تُقال بعد صلاة الشكر، بل ترتيل المزمور الخمسين فقط. وهو ما تطوَّر بعد ذلك فصار يسبقه العناصر الليتورجيَّة الأربعة التالية: "كيريااليسون، أللليويا، ذكصابتري، وأبانا". ثم كان التطور الليتورجي التالي وهو ترتيل أرباع الناقوس - وكانت في بدايتها أرباعاً مختصرة[٤٢] - يعقبها العناصر الليتورجيَّة الخمسة السابق ذكرها. وهو ما أشارت إليه الأربعة مخطوطات التي لدينا من مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار[٤٣].

• فصل الإنجيل المقدَّس في طقس القرن الرابع عشر يلي قراءة فصل البولس مباشرة، ولم يرد ذكر ترتيل أجيوس وأوشيَّة الإنجيل كما يشير طقس القرن الخامس عشر وما بعده.

٤١- بحسب الطقس القديم، يضع الكاهن خاتماً في يد العريس، وبعد ذلك يضع العريس خاتماً في يد عروسته.

٤٢- أوردنا شرحاً كاملاً لتاريخ أرباع الناقوس وأقسامها وطرائق ترتيلها، وذلك في كتاب "صلوات رفع البخور في عشية وباكر"، ضمن السلسلة الثالثة من "الدُرَّة الطقسيَّة"، وهي سلسلة "طقوس أسرار وصلوات الكنيسة".

٤٣- أرقام (١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧ طقس).

• المردات التي تتخلل أواشي عقد الأملاك لم يرد ذكرها في طقس القرن الرابع عشر، ولكن مخطوط القرن الخامس عشر، وباقي المخطوطات الأخرى أشاروا إليها، مما يُحتمل معه أنها مردات قديمة ربما أغفل ذكرها طقس القرن الرابع عشر.

• البابا غبريال الخامس هو الوحيد الذي ذكر أن الكاهن يلبس العريس خاتماً في يده بعد أن يُلبسه حلة العُرس.

• البابا غبريال الخامس هو الوحيد الذي ذكر أنه حين يتوجَّه العريس إلى عروسته يلبسها خاتماً في يدها، وهو الخاتم الذي عقد عليه الكاهن صلوات عقد الأملاك.

ملاحظة ختاميَّة: يتَّضح لنا من مقارنة نصوص الصلوات التي أوردها مخطوطات مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، أنها قد نقلت نص وتنبيهات الصلوات من مصادر أكثر قدماً، ويعتبر ما ذكره البابا غبريال الخامس على وجه التحديد هو التطور الليتورجي الأول الطفيف الذي جرى على هذا الطقس. أي بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادي.

الطقس الحالي لصلوات عربون الزَّواج

في سنة ١٨٨٨م نشر القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧- ١٩٠٤م) كتابه "رتبة الإكليل الجليل على موجب ترتيب الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المرقسيَّة"، وذلك في عهد البابا كيرلس الخامس الـ ١١٢، متضمِّناً التطوُّر الليتورجي التالي الذي طال طقس عقد الأملاك وذلك في النقاط التالية:

فقبل أن يورد كتاب "رتبة الإكليل الجليل" المطبوع سنة ١٨٨٨م

نص الصلوات، يورد تحت عنوان ''تنبيه'' ما يلي:

إذا كان قد سبق إتمام الخطوبة الرسميَّة على النسق الواضح في الجزء الأول، فليكتف الكاهن بالأسئلة الختاميَّة التي يرى ضرورتها من جهة استمرار رضى الخطيب ومخطوبته، وقبولهما رضاء وقبولاً تامين باختيارهما واستيفاء السن الذي يجوز لهما فيه الزَّواج على ما ذُكر في الفصل الثاني من الجزء الأول، واستتمام المهر بحسب شروطه المقررة بين الفريقين. ونحو ذلك من الأسئلة الي يرى الكاهن لزومها.

وإن لم يكن سبق إتمام الخطوبة على النسق المذكور، ولا تحرَّر كتاب محضر، فينبغي للكاهن قبل مباشرة عقد الأملاك أن يستوفي التحري المقتضى على الوجوه المبيَّنه في الفصل الثاني من رتبة الخطوبة على التمام. ويحرِّر كتاب المحضر اللازم عن ذلك. وبعد استتمام ذلك جميعه والوقوف التام على عدم وجود أي مانع يمنع من عقد الأملاك، حينئذ يشرع في العقد هكذا.

يحضر خاتمي الذهب، أو غيره، ويصير لفهما مع الأكاليل في الحلة الخاصة بذلك، وهي النمط ''الشَّملة'' الذي يوضع على رأس العروسين عند وضع الأكاليل[٤٤]. ويمسك الكاهن الصليب بيمينه، ويعلن بحضور الخطيب ووليَّه وولي أو وكيل المخطوبة والمدعوين عقد الأملاك قائلاً:

٤٤- هذه الممارسة الطقسيَّة التي لم يشر إليها كتاب ''صلوات الخدمات'' قد تسمى الطقس كله بها، فهو يُسمى ''عقد الأملاك''، إشارة إلى أن الكاهن يأخذ خاتمي الذهب ويلفهما مع الأكاليل **ويعقد** عليهما. وقد أوردنا سابقاً ما ذكره كل من القس أبو البركات والبابا غبريال في التحضير لصلوات عقد الأملاك. ولم يذكر الأكاليل عند البابا غبريال الخامس.

باسم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح[٤٥] نعقد أملاك الابن الأرثوذكسي المبارك البكر (فلان)، على مخطوبته الابنة الأرثوذكسيَّة المباركة البكر (فلانة).

ويعقد برسم الصليب قائلاً: باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد، مبارك الله الآب ضابط الكل آمين.

يجاوب المرتلون قائلين: آمين ثلاث مرات، ثم فليقل الجميع أبانا الذي في السَّموات.

ثم فليقل الكاهن ثانياً:

باسم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح نعقد أملاك الابنة الأرثوذكسيَّة المباركة البكر (فلانة) على الابن الأرثوذكسي المبارك البكر (فلان).

ويرشم بالصليب قائلاً: مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا. آمين.

يجاوبه المرتلون كالرسم الأول وليقل الجميع أبانا الذي ...

ثم فليقل الكاهن ثالثاً:

باسم ربنا يسوع المسيح نقعد أملاك الابن الأرثوذكسي ... الخ كالرسم الأول.

ويرشم الصليب قائلاً: مبارك الروح القدس المعزي آمين.

يجاوبه المرتلون كالأول، وفي أثناء ذلك يكمِّل الكاهن هكذا: مجداً وإكراماً إكراماً ومجداً للثالوث القدُّوس الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان ... الخ.

ثم يبتدئ الكاهن بصلاة الشكر.

٤٥- أضاف كتاب "صلوات الخدمات" عبارة "مشرع شريعة الكمال وواضع ناموس الأفضال"، وهو تعبير من تأليف القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧-١٩٠٤م)، أورده في مستهل تقديمة لكتاب "رتبة الإكليل الجليل" الذي طُبع سنة ١٨٨٨م.

• أي أن الرشومات التي تسبق صلاة الشكر هي إضافة لم يرد ذكرها من قبل. وهذا هو التطور الليتورجي الكبير الذي صاحب هذا الطقس على يد القمص فيلوثاؤس إبراهيم. وبرغم كونه تطوراً ليتورجياً حديثاً إلاَّ أنه لاقى قبولاً واسعاً. وبرغم أن معظم صلواتنا الطقسيَّة تبتدئ دائماً بصلاة الشكر، إلاَّ أن الرشومات السابقة لصلاة الشكر جاءت متوافقة مع ترتيب طقس تقديم الحمل، وعلى نسقه.

فعندما يقول الكاهن "نعقد أملاك الابن البكر (فلان) ... باسم الآب والابن والروح القدس ..."، فهي صيغة التعميد، وكلمات الأمانة المقدَّسة. والذي يؤمن بالثالوث هو بكر من الأموات لأنه حمل ختم المعموديَّة الذي يؤهل إلى طهارة الزِّيجة الروحانيَّة. ومن مات مع المسيح يُحسب أهلاً لإكليل الزِّيجة، لأنه بموته عن ذاته يحب امرأته مثال الكنيسة. ولذلك رتَّب الآباء أن يُقال عقد الأملاك باسم الآب ضابط الكل، ثم باسم الابن الوحيد، لأن الكنيسة قبلت المسيح رباً ومخلصاً. ويعود ويكرر الكلام السابق مؤكداً عقد أملاك الرجل على المرأة باسم الروح القدس البارقليط، لأن الرب وهب الكنيسة الروح القدس المعزي.

وهكذا بدعوة الله الآب ومجئ الابن الوحيد وعطية الروح القدس يتم اختيار الرجل والمرأة للخدر المقدَّس للزيجة الروحانيَّة.

وإذا تم عقد الأملاك باسم الثالوث المحيي، فكيف وأنت قد نلت به الحياة الدائمة لا تتكلم مع امرأتك بالحق كوريثة وشريكة في ذات النعمة الواحدة؟ لا تغش بلسانك، ولا بقلبك لئلا تقف عرياناً في اليوم الأخير، وتكون كمن جحد نعمة الأملاك. وإن لم تصنع الصلاح مسبحاً الرب خالقك وفاديك، يشهد عليك صليبك الذي به عُقد أملاكك بأنك لم

تكن مستقيماً مع امرأة عهدك(٤٦).

• استبدل القمص فيلوثاؤس إبراهيم أرباع الناقوس التي تُقال بعد صلاة الشكر، وعناصرها الليتورجيَّة الخمسة، بلحن العذراء ⲑⲁⲓ ⲙⲟⲩⲣⲓ "هذه المجمرة الذهب ...". وهذه هي المرة الوحيدة في كل صلواتنا الطقسيَّة التي لا يرد فيها ذكر أرباع الناقوس بعناصرها الليتورجيَّة الخمسة بعد انتهاء صلاة الشكر.

• رفع البخور غير مصحوب بصلوات سريَّة، وقد كانت هي صلاة سرّ البولس.

• ذكر كتاب "رتبة الإكليل" الذي طُبع سنة ١٨٨٨م، أن الكاهن يقول الثلاثة أواشي، دون أن يحدِّد أهي الأواشي الكبار أم الصغار؟. ثم كانت الطبعة الثانية من الكتاب التي نُشرت سنة ١٩٢١م فذكرت تحديداً "الثلاثة أواشي الصغار"، بدلاً من الكبار.

• في الثلاثة أواشي لعقد الأملاك، ذكر كتاب "رتبة الإكليل" أن الكاهن حين يذكر العريس ومعينته، يرشم جبهة العريس بمثال الصليب.

• لم يذكر كتاب "رتبة الإكليل" أن لحن "الحلة الروحيَّة ..." يُقال أثناء لبس العريس ثياب العُرس. مكتفياً بالقول: "... ثم يقول الكاهن هذه الصلاة على الثياب: أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا، الذي زيَّن السماء بالنجوم ... وليرتل المرتلون هكذا: الحلة الروحيَّة ...".

• لا ذكر للحن العروسة "تعال انظر هذه العروسة التي زُيِّنت للحمل ..."، لأن عقد الأملاك صار يجري على العريس ولكن في حضور عروسته إلى جواره، ومن ثمَّ فقد أُلغي طقس ذهاب العريس إلى عروسته، وبالتالي اللحن الذي كان يصاحب هذا الموكب.

٤٦- سلسلة ينابيع الأرثوذكسيَّة، معاني رشم الصليب، ص ٥٠-٥٢

وقد اقتفى كتاب "صلوات الخدمات" الذي طُبع سنة ١٩٧١م، نفس ما ذكره كتاب "رتبة الإكليل الجليل" في العناصر السابق ذكرها، باستثناء الرشومات السابقة لصلاة الشكر كما سبق أن ذكرنا. بالإضافة إلى أنه لم يورد النص القبطي للثلاث أواشي المختصَّة بعقد الأملاك وكذلك صلاة الشكر الختاميَّة، ومن ثمَّ فقد عدَّل في بعض كلمات هذه الصلوات بما لا يتوافق مع النص القبطي لها.

ثم كان التطوُّر الليتورجي الأخير الذي لحق بطقس عقد الأملاك في سنة ١٩٩٩م، حين أصدر المجمع المقدَّس للكنيسة القبطيَّة قراراً بتعديل هذا الطقس على النحو التالي: فيقول:

بعد بحث طقس الزَّواج القديم طبقاً للمخطوطات القبطيَّة، وبالمقارنة مع الطقس اليوناني القديم لسر الزَّواج عند الروم الأرثوذكس. اتضح أن:

- ما يُسمى "عقد الأملاك" كان يُسمى أصلاً "عربون الزَّواج"، حيث ورد في القبطيَّة "أريب"، وفي اليونانيَّة "أرابون"، وهي الخِطبة في المفهوم التراثي القديم عند كل من الأقباط واليونانيين.

- لا يوجد في طقس "عربون الزَّواج" في الكنيسة اليونانيَّة فصول للقراءات الكتابيَّة، فليس بها فصل للبولس ولا فصل للإنجيل المقدَّس. بل تتركَّز أساساً على مباركة خاتمي الخطبة (الدبلتين)، وإلباسهما للخطيبين، مع رفع بخور وبعض صلوات أخرى كعربون للزواج.

وبناء على ذلك قرَّر المجمع المقدَّس أن يُلغى اسم "عقد الأملاك"، ويحل بدلاً منه اسم "عربون الزَّواج"، وهذا الأخير يتضمَّن:

١- الرشومات الثلاثة: باسم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، مُشرِّع شريعة الكمال، وواضع ناموس الأفضال، نعقد زواج الابن

الأرثوذكسي المبارك ...الخ. حيث يتم رشم الدبلتين معاً والصلاة الربيَّة.

٢ـ صلاة الشكر ويعقبها أرباع الناقوس المناسبة، وفيها ربع خاص بعربون الزَّواج، ويُرفع البخور.

٣ـ يقول الكاهن صلاة: "يا الله الذي جبل الإنسان بيده وحده ... صِلهُما **بعربون** الشَّركة، وأعطهما علامة اتصالهما، ..."[٤٧].

٤ـ صلاة مباركة الثياب، وهي موجودة في طقس عقد الأملاك القديم، ويعقبها لحن "الحُلة الروحيَّة"، وإلباس الدبلتين للعروسين بيد الكاهن وليس بيد العروسين.

٤٧ـ هذه هي الأوشية الأولى من الثلاث أواشي المختصَّة بهذا الطقس. وبذلك فقد ألغى قرار المجمع المقدَّس الأوشيتين الثانية والثالثة، وكذلك صلاة شكر كانت تُقال في ختام هذا الطقس.

الفصل الثالث

الطقس القبطي لصلوات الإكليل

تمهيد

يُسمى الزَّواج "إكليلاً"، حيث توضع الأكاليل على رأسي العروسين في مركز الاحتفال الطقسي بهذا السر في كافة الكنائس الشرقيَّة، فتسمى الطقس كله بالإكليل. وأصبح الفعل στεφανοῦν (ستيفانون) أي "يكلل" له نفس معنى الفعل "يزوِّج"[1]. ومن ثمَّ يُعرف هذا السر في الكنيستين القبطيَّة واليونانيَّة باسم "طقس (رتبة) الإكليل" ἀκολουθία τοῦ στεφανώματος . أما في الغرب المسيحي فقد تركَّز الطقس حول حركة وضع النقاب، فسُمي السر باسمها Velatio nuptialis .

وطقس وضع الأكاليل على رأس العروسين كان معروفاً منذ القرن الرابع الميلادي، كما ذكرنا ذلك تفصيلاً من قبل.

وقد رتبت الكنيسة أن يُعقد الإكليل للعروسين كاملاً متى كان كلاهما أو أحدهما بكراً. وجاء في قوانين الكنيسة: "... وإن كان المتزوجان أرامل فلا يكون لهما بركة إكليل، لأن هذه البركة إنما هي مرة واحدة في الدفعة الأولى. وهي ثابتة على أربابها، وباقية فيهم ابداً. بل

١- انظر: القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

تكون صلاة الكاهن لهم بالاستغفار. وإن كان أحد المتزوجين بكراً فيُبارَك وحده. وهذه السُنَّة للرجال والنساء جميعاً"[٢].

ويباشر الكاهن صلوات الإكليل أمام الكنيسة كلها بحسب القوانين "لا يكلِّل أحد سراً، بل بمحضر من كثيرين"[٣]. كما أن عقد التزويج لا يتم إلاَّ بحضرة كاهن.

ولا يتم سرّ الزِّيجة في الكنيسة في الأصوام إلاَّ بتصريح خاص من البابا البطريرك أو الأب الأسقف لظروف استثنائية[٤]. أما القانون الحادي عشر من قوانين البابا غبريال بن تريك فقد حرَّم عمل الإكليل في الأربعين المقدَّسة ويوم الفصح وليلة الخمسين[٥].

وكان أول مرسوم قانوني يحرم الزَّواج في فترات معينه من السنة قد أصدره مجمع اللاذقيَّة (٣٤١-٣٨١م) في أواخر القرن الرابع الميلادي. ولقد تطورت هذه الفترات تطوراً كبيراً على مر العصور، وتباينت بين كنيسة وأخرى، وبين الشرق والغرب.

بدء مراسيم الإكليل بحسب الطقس القبطي القديم

تبدأ مراسيم الإكليل بحسب الطقس القبطي القديم حين يكون العريس قد ارتدى حُلة العُرس في نهاية صلوات عقد الأملاك، ثم يبدأ موكب العريس المرتدي ثياب العُرس صحبة الكاهن والشمامسة

٢- مجموع القوانين ب ٢٤ ف ٥:٨٧

٣- مجموع القوانين ب ٢٤ ف ٥:٧٧، ٧٩

4- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Churc...*, p. 129.

5- Burmester, O.H.E., *The Canons of Gabriel ibn Turaik*, Orientalia Christiana Periodica (OCP), Vol. 1, Num. I-II, (1935), p. 28-30.

بالشموع والنواقيس، متجهاً إلى عروسته وهي جالسة في بيت النساء في الكنيسة منتظرة قدوم عريسها، بينما يرتل الشمامسة لحن: "تعال انظر هذه العروسة التي زُيِّنت للحمل. اشتملت بمجد عظيم ..."

ويأخذ الكاهن العريس بمفرده إلى حيث عروسته، ويأمره أن يلبسها الخاتم الذهب الذي عقد عليه قبلاً في يدها اليمنى. ثم تمد العروسة يدها وتقبل من عريسها الصليب الذي تم العقد عليه أيضاً — مع الخاتم – وإنّ مد يدها وقبولها صليب العقد يعني رضاها بالعريس، فيسلمها الكاهن له.

إن علامة رضى العروسة بعريسها هي قبولها للصَّليب الذي يقدِّمه لها، فالعروسة التي تقبل صليب العريس تكون مستحقة لعريسها، ويتيقّن العريس أن عروسته قد ارتضت به عريساً لها. والعريس حين توجَّه إلى عروسته يحمل صليباً، لم يفرض عليها أن تقبل صليبه، بل هي التي مدت يدها وقبلت منه الصليب الذي يحمله، فهي بذلك تعلن قبولها للعريس في حضور الكاهن.

ثم أن الكاهن يأخذ العريس **بمفرده** إلى حيث عروسته، لكي يلبسها خاتماً في يدها، ولكي تأخذ منه صليبه لتحمله على صدرها. فقبول العروسة لصليب عريسها يكون في حضرة الكاهن فقط، لأن الصليب ليس علامة تباهي وتظاهر، بل بالحري علامة مذلة ظاهرة يقابلها سرور باطني، وعلامة عار في العلن يقابله افتخار في الخفاء. هو صليب الرضى بالألم حتى لو كان صليباً من ذهب. هو سرّ العلاقة الشخصيَّة بين العريس وعروسته. لذلك ففي حضرة الكاهن فقط تقبل العروسة صليب عريسها. وقال يسوع: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي **فلينكر نفسه** ويحمل صليبه ويتبعني» (متى ١٦:٢٤). فالعروسة التي ترضى بالصليب ترضى بالمسيح.

تقدَّم العريس إلى عروسته وعليه ثياب العُرس، ومد يده، وألبسها خاتماً في يدها، فمدت يدها وقبلت الصليب من يده. فالعريس هو الذي اختار عروسته لنفسه، عروسة أُعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً، الذي هو تبررات القدِّيسين[٦]. أما العروسة فعندما قبلت صليب العريس لنفسها وحملته على صدرها وفي قلبها، صار العريس عريسها هي فقط. ومن له العروسة فهو العريس[٧].

قبل أن يقدِّم العريس لعروسته صليباً، قدَّم لها خاتماً، لأنه يحبها فسعى إليها يطلب حبها، فثبَّت الخاتم بنفسه في يدها، ليرفعها إلى الملوكيَّة كي تختم بخاتم عريسها كل ما له كأنه لها، فأظهر العريس لعروسته علامة حبه. فلما رأت العروسة محبَّة عريسها وصليبه الذي احتمله لأجلها مدت يدها، وبمحض حريتها، لتقبل نصيبها من صليب عريسها، فصار العريس كله من نصيبها. وفي اللحظة التي تقبل فيها العروسة صليب عريسها وترضى به، لا يعود لها من كل العالم سوى محبة عريسها التي تنسيها محبة العالم والأشياء التي فيه. ولسان حالها يقول: «ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مزمور ٧٣:٢٥).

فكل عريس لا يتوِّج عروسته ملكةً بخاتم في يدها لم يرتد بعد ثياب العُرس. وكل عروسة لا تقبل صليب عريسها كرمز لصليب المسيح له المجد لا تستحقه.

يقول المسيح العريس لكل نفس عروسة له: «... يعوزك شئ واحد ... اتبعني حاملاً الصليب» (مرقس ١٠:٢١). «فالذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غلاطية ٥:٢٤). فكل من يصلب

٦- انظر: رؤيا ١٩:٨

٧- انظر: يوحنا ٣:٢٩

أهواءه وشهواته من أجل المسيح يصبح في الحال تابعاً للمسيح وعروسة له.

ويا لفرحة العريس برضى عروسته، هي هي فرحة المسيح العريس بعروسته الكنيسة، بل وأكثر جداً بما لا يُقاس. «وكفرح العريس بالعروسة يفرح بك إلهك» (إشعياء ٦٢:٥).

في الطقس القبطي القديم فإن العريس هو الذي يذهب إلى عروسته، كما أن المسيح هو الذي افتقد كنيسته وسعى إلى خلاصها. أما القُمُّص فيلوثاؤس إبراهيم فقد ذكر في مستهل الجزء الثالث من كتابه "رتبة الإكليل الجليل". ما يلي: "يصير استحضار العروسة من مكانها، والشَّمامسة ترتل بما يلائم من الترنيمات اللائقة. وتجلس جانب العريس عن يمينه ... وإذا كانت العروسة هي البكر والعريس مترمِّل فلابد من حضورها بجانبه من ابتداء صلاة عقد الأملاك"[٨].

وقوف العروسين أمام باب الهيكل وعلى رأسهما نمط أبيض

حينئذ فقط تسلِّم الكنيسة العروسة إلى عريسها. فيقول البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) : "... ثم يسلمها (أي الكاهن) له، ويأمر الإشبينة بخروجها أمام الجمهور، ويقيمها بينهم على يمين العريس. ويغطي رأس الاثنين بالنمط الأبيض وذلك شهادة للحاضرين جميعاً باتصالهما بعضهما ببعض بالنمط الأبيض اتصالاً ظاهراً طاهراً نقياً".

٨- وهذه الملاحظة الطقسيَّة لم ترد في أي من المصادر الطقسيَّة القديمة أو المخطوطات التي لدينا.
(انظر: كتاب "رتبة الإكليل الجليل" طبعة سنة ١٨٨٨م، ص ٢٨ ، وطبعة سنة ١٩٢١م، ص ٢٧)

إن كل مصادر الطقس القبطي القديمة ومخطوطاتنا التي بين أيدينا تشير إلى هذه الممارسة الطقسيَّة التي سقطت من ممارستنا الطقسيَّة الحالية بسبب إغفال ذكرها في كتب الطقس المطبوعة. ففي بداية صلوات سرّ الزِّيجة يقف العروسان أمام باب الهيكل، فيغطي الكاهن رأس كل منهما بعباءة منفصلة من الحرير الأبيض، يدعوها القس ابن كبر (+ ١٣٢٤م) "العَرَض الأبيض"، ويدعوها البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) "النمط الأبيض".

أما ألفريد بتلر A. Butler الذي زار كنائس مصر في أواخر القرن التاسع عشر، وحضر طقوس الكنيسة القبطيَّة آنئذ ولاسيَّما سرّ الزِّيجة، فلم يذكر شيئاً عن الإشبينة التي يذكرها البابا غبريال الخامس. فيقول كشاهد عيان: "يذهب العريس والعروسة إلى مدخل الخوروس. وتقف العروسة عن يمين العريس. وهنا يغطيهما الكاهن بعباءة منفصلة من الحرير الأبيض، أو الكتان الفاخر رمزاً للاتحاد النقي المقدَّس". وهو نفس ما يذكره القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، حين يقول: "يقف المتزوجان معاً وعلى رأسهما عَرَض أبيض منشور قدام باب الهيكل".

وتعبير ابن كبر هنا هو تعبير دقيق، وذلك في قوله إن العروسين يقفان قدام باب الهيكل. أي أنهما يقفان ووجههما ناحية الشرق في منتصف الخوروس - تماماً مثلما نرى اليوم في رسامات الرتب الكنسيَّة - والشعب يقف من خلفهما يصلي من أجلهما ويشترك بالقول: "آمين، يارب ارحم". وما يؤيد هذه الملاحظة التي أوردها ابن كبر هو أن البابا غبريال الخامس عندما يذكر صلوات طقس الإكليل يشير إلى أن الكاهن في بعض هذه الصلوات يتَّجه شرقاً، وفي بعضها يتَّجه غرباً. أي أنه في بعض الصَّلوات يقف قبالة العروسين والهكيل من خلفه، وفي بعضها الآخر يقف قبالة الهيكل والعروسان من خلفه.

إذاً فحين يكون العريس قد ارتدى حُلة العُرس، ووضع الكاهن على رأسي العروسين نمطاً أبيضاً، تبدأ صلوات الإكليل المقدَّس. أما تأخير لبس العريس لحُلة العُرس إلى قرب نهاية صلوات سرّ الزِّيجة، وبعد وضع الأكاليل على رأس العروسين، فهو ما يتعارض مع الطقس القبطي الذي ظل يمارس هذه العادة حتى إلى ما بعد سنة ١٨٨٨م، وذلك حين أورد القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧- ١٩٠٤م) في كتابه "رتبة الإكليل الجليل" الذي طبعه في التاريخ المذكور، إشارة طقسيَّة قرب نهاية صلوات الإكليل وبعد وضع الأكاليل على رأس العروسين، تقول: "يضع الكاهن النمط أي الحُلة عليهما ويرشهما بالصليب ويقول: كللهما بالمجد والكرامة أيها الآب آمين ...". وعنه نقلت كل الكتب الطقسيَّة المطبوعة التي أتت من بعده. وهنا ينبغي ملاحظة التعارض بين منطوق هذه الصلاة الأخيرة "كللهما ..."، وبين ما يُمارس بالفعل حين يلبسهما الكاهن الحُلة، وليس الإكليل. ثم أن هذا التنبيه الطقسي به خلط كبير لأن العريس فقط هو الذي يرتدي الحُلة، أما العروس فليس لها حُلة عُرس ترتديها، بل يوضع على رأسها فقط نمطاً أبيضاً.

أما ما نراه اليوم من وضع كرسيين ليجلس عليهما العروسين وفي مواجهة الشعب، فقد أفقد سرّ الإكليل المقدَّس مهابته في عيون الناس كطقس صلاة وتضرُّع. فالناس تذهب إلى الكنيسة لا للاشتراك في صلوات الإكليل من أجل العروسين، بقدر ما أن ذهابهم هو للفرجة على العروسين اللذين يقفان في مواجهة الشعب بوجه مكشوف، ولتتميم واجب المجاملة الاجتماعيَّة أو العائليَّة، فتحوَّلت الممارسة الطقسيَّة الكنسيَّة إلى مناسبة إجتماعيَّة - وأخاف أن أقول غير روحيَّة - ففقد السِّر جانباً من جلاله وهيبته.

معنى النَّمط أو البرقع الأبيض

النَّمط أو البرقع الأبيض هو طرحه بيضاء من الحرير أو الكتَّان النقي كانت توضع على رأسي العروسين في الطقس القديم. وهي عادة موغلة في القدَم أشار إليها القدِّيس جيروم (٣٤٢- ٤٢٠م) وقال عنها إنها علامة النَّقاوَة والعفاف. وإنها تشير روحياً إلى حُلة الفرح التي ألبسها يسوع للكنيسة وزيَّنها بها[٩]. كما أنها ترمز إلى الثياب التي أُعطيت للعروسة التي هيأت نفسها استعداداً للاقتران الكامل بالمسيح في السماء[١٠].

وقد كانت العادة في العهد القديم أن تُعطى العروسة طرحة من والديها، توضع على رأسها، وكانت تُسمى غطاء[١١].

وتضع الكنيسة هذه الطرحة البيضاء على رأس العروسة والتي ترمز ببياضها إلى النقاوة والطهارة، محرِّضة إياها على التحلى بحلي الفضائل الروحيَّة والكمالات المسيحيَّة.

ولعل إلباس العريس الآن "البرنس" — الخاص بالكاهن - وإسدال الطرحة على رأس العروسة هو البديل الطقسي لهذه الممارسة القديمة. أما "البرنس" الذي يلبسه العريس فهو يرمز إلى كونه قد صار ملكاً وكاهناً ونبياً لبيته.

ولكن الطقس القبطي القديم لم يكن يخلط بين البرنس الخاص بالكاهن وبين الجُبة التي كان يرتديها العريس في نهاية صلوات عقد الأملاك (عربون الزَّواج) بعد الصلاة عليها صلاة تُسمى "أوشيَّة ثياب

٩- انظر: مزمور ٣:١١، ١٢ ؛ مزمور ١٣٢:١٦

١٠- رؤيا ١٩:٧، ٨

١١- تكوين ٢٤:٦٥

العُرس"، وكان ارتدائها أيضاً مصحوباً بلحن.

ويفرِّق البابا غبريال بين جُبة العريس وبرنس الكاهن فيقول عن هذا الأخير في بداية طقس الإكليل: "ثم إن اختار الأب البطريرك يُرسل البرنس يلبسه الكاهن الذي يكلل. والاختيار له في ذلك، كرامة للعريس ويبتدئ الكاهن بالشبهموت ..."[١٢].

المراحل الطقسيَّة لصلوات الإكليل

لا تختلف المراحل الطقسيَّة لصلوات الإكليل في شكلها العام عن نظيرتها في صلوات عقد الأملاك. وتتلخص المراحل الطقسيَّة لصلوات الإكليل في اثني عشر بنداً هي:

★ صلاة الشكر ورفع البخور.
★ البولس.
★ الإنجيل المقدَّس (وقبله أجيوس وأوشيَّة الإنجيل، والمزمور)
★ طلبات مصحوبة بمرد.
★ الثلاث أواشي الكبار.
★ ثلاث أواشي للإكليل مصحوبة بمردات.
★ صلاة خضوع، ومرد.
★ الصلاة على الزيت والدهن به، وصلاة بعد الدهن به.
★ طقس وضع الأكاليل.
★ أبانا، والتحليل.
★ الوصيَّة، والبركة الختاميَّة.
★ التسريح.

١٢- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٢٥

صلاة الشكر ورفع البخور

الطقس القديم الذي يميل إلى البساطة يذكر أن الكاهن يقول:
"صلاة الشكر، ويرفع البخور".
وهو ما يذكره القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، وكل المخطوطات التي بين أيدينا، وحتى كتب الطقس المطبوعة أيضاً.

أما البابا غبريال الخامس فيضيف وحده أن الكاهن يقول:
"صلاة الشكر ويرفع البخور بأوشيَّة بخور البولس، ويضع يداً واحدة في المجمرة. وفي أثناء قراءة فصل البولس يطوف الكاهن بالبخور في بيت الإكليل خاصة (أي في موضع الإكليل فقط)". وهو ما لم تذكره أي من المخطوطات التي بين أيدينا، ولا كتب الطقس المطبوعة أيضاً.

ويلاحظ القارئ العزيز أننا أمام مصدرين يمثل القس أبو البركات الطقس الأكثر قدماً، ويمثل البابا غبريال الخامس الطقس الأكثر تطوراً. ولكن تظل فصول القراءات المعروفة لدينا اليوم فصولاً قديمة أشار إليها كلها القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، وهي أسبق من زمانه بكل تأكيد.

فصل البولس

(رسالة أفسس ٥:٢٢ – ٦:٣) «والنساء فليخضعن لرجالهن كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة، وهو مخلص الجسد ... من يحب امرأته يحب نفسه ...».

فالطقس القديم يذكر أن يُقرأ فصل البولس مباشرة أثناء رفع الكاهن

للبخور، وهو ما يذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، و مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس)، ومخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس).

أما البابا غبريال الخامس فيذكر أنه يسبق فصل البولس ترتيل لحن ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲡⲧ ⲧⲁⲓ ⲙⲟⲩⲣⲙ "هذه المجمرة الذهب النقي ..."، وبعدها ⲧⲁⲓ ⲙⲟⲩⲣⲙ "نسجد لك ...". ويتفق معه في ذلك مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس). ويضيف البابا غبريال الخامس إضافة طقسيَّة لم يضفها غيره، فيقول: "وفي ضمن ذلك يطوف الكاهن بالبخور في بيت الإكليل خاصة"[١٣].

أما كتاب "رتبة الإكليل الجليل" المطبوع سنة ١٨٨٨م - والكتب الطقسيَّة التي أتت بعده – فيذكر أنهم يقولون لحن ⲙⲟⲩⲣⲙ (تي شوري) "المجمرة الذهب ...". وذلك لأنه ذكر قبلاً لحن ⲧⲁⲓ ⲙⲟⲩⲣⲙ (طاي شوري) "هذه المجمرة الذهب ..." في صلاة عقد الأملاك بديلاً لأرباع الناقوس التي كانت تُقال هناك بحسب كل المصادر الطقسيَّة القديمة والمخطوطات دون استثناء. وهذه أحد التغييرات التي أجراها القمص فيلوثاؤس إبراهيم على هذه الجزئيَّة من طقس صلوات الإكليل. علماً بأن لحن ⲙⲟⲩⲣⲙ لم يرد ذكره مطلقاً في أي صلوات كنسيَّة عند القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، ولا عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، بخلاف لحن ⲧⲁⲓ ⲙⲟⲩⲣⲙ الذي يتردد ذكره متواتراً عند كليهما.

١٣- نفس المرجع، ص ٢٥

العناصر الليتورجيَّة لقراءة الإنجيل المقدَّس

العناصر الليتورجيَّة المختصَّة بطقس قراءة الإنجيل المقدَّس كما نعرفها اليوم هي: الثلاثة تقديسات، أوشيَّة الإنجيل، ترتيل المزمور، قراءة فصل الإنجيل، ومرد الإنجيل.

الثلاثة تقديسات

لا يشير إليها القس أبو البركات في القرن الرابع عشر، ويتفق معه في عدم الإشارة إليها مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس).

وفي حين أن البابا غبريال الخامس يذكر الثلاثة تقديسات فيقول: "يقال ⲁⲅⲓⲟⲥ الثلاثة"[١٤]. فإن مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس)، ومعه مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس)، يذكران ما يلي: تقال أجيوس ويتلوها بطريقة ⲫⲛⲁⲧⲱⲛⲓⲥⲙⲟⲛ

ⲫⲎ ⲫⲛⲉⲟⲙⲱⲧⲉⲛ ⲙⲙⲟⲩ · ϧⲉⲛ ⲛⲛⲉⲟⲩ ⲛⲧⲁⲩ · ⲁⲩⲑⲓⲥⲁⲣⲝ ϧⲉⲛ ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ · ⲥⲟⲃⲉ ⲫⲛⲉ̀ⲧⲉ ⲫⲟⲛ ⲛⲟⲩⲧⲁⲓ · ⲛⲓⲭⲉⲣⲟⲩⲃⲓⲙ ...

"الله المستريح في قدِّيسيه، تجسَّد من العذراء، لأجل خلاصنا. الشاروبيم ..."[١٥].

والغريب هنا أن الأرباع المذكورة تلي الثلاثة تقديسات ولا تسبقها كما نعرف اليوم في كل المناسبات الكنسيَّة.

وما نود الإشارة إليه هو أن ترتيل الثلاثة تقديسات قبل قراءة فصل الإنجيل إن كانت حتميَّة في صلوات القدَّاس الإلهي، إلاَّ أنها لم تكن كذلك في كافة طقوس الصلوات الأخرى. إذ أن قراءة فصل الإنجيل

١٤- نفس المرجع، ص ٢٥

١٥- ثيؤطوكيَّة الأربعاء، القطعة السَّابعة.

مباشرة بعد فصل البولس كان أحد الممارسات الطقسيَّة التي عُرفت في كثير من الكنائس القبطيَّة قبل ظهور الكتب الطقسيَّة المطبوعة.

والمثال القريب على ذلك هو ترتيل الثلاثة تقديسات سبع مرات، وبعدها أوشيَّة الإنجيل سبع مرات قبل قراءة سبع أناجيل في صلوات القنديل العام. وهذا هو ما تذكره الكتب الطقسيَّة المطبوعة، ولكن ليس كل مخطوطاتنا القديمة على السواء. ونفس الشئ ينطبق على دورتي عيد الصليب والشعانين التي يقرأ فيها اثني عشر إنجيلا.

أوشيَّة الإنجيل

لا يشير مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) إلى أوشيَّة الإنجيل، كما لا يشير إليها أيضاً مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس)، وكذلك مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس)، بينما يذكرها كل من القس أبو البركات والبابا غبريال الخامس.

المزمور وهتاف هلليلويا

(مزمور ١٨:٥ ؛ ١٢٧:٣) «مثل العريس الخارج من خدره مثل الجبار المسرع في طريقه أللليويا. امراتك تصير كالكرمة التي تزهر في جوانب بيتك، وبنوك مثل غروس الزيتون محيطين بمائدتك أللليويا».

ويذكر البابا غبريال أن هذا المزمور يُطرح ويُرد دمج سنوي، وهو الوحيد الذي أشار إلى ذلك. أما كتب الطقس المطبوعة بدءاً من سنة ١٨٨٨م فلم تذكر هذه الملاحظة.

فصل الإنجيل المقدَّس

(متى ١٩:١-٦) «ولما أكمل يسوع هذا الكلام جميعه انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم يهوذا وعبر الأردن، فتبعه جموع كثيرة فشفاهم

هناك ... يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان».

ويذكر البابا غبريال الخامس: "يقرأ الكاهن الإنجيل قبطياً، ويفسره الشمَّاس الخديم عربياً".

مرد الإنجيل

لم يشر إليه ابن كبر (+ ١٣٢٤م). أما مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) فقد أورد جانباً من المرد في الهامش. وأشارت باقي المصادر كلها إليه. وزاد البابا غبريال الخامس بقوله إن هذا "المرد يرد بطريقة آدام".

وهو ربعان مأخوذان من ذكصولوجية باكر آدام:

"هؤلاء الذين ألَّفهم الروح القدس معاً مثل قيثارة، يسبحون الله كل حين. بمزامير وتسابيح وتماجيد روحيَّة، النهار والليل بقلب لا يسكت".

والبابا غبريال الخامس هو وحده الذي ذكر أنه بعد نهاية هذا المرد يقولون كيرياليسون ثلاث مرات.

وبذلك ينتهي طقس قراءة الإنجيل في الكنيسة القبطيَّة، أما الطقس الأرمني فيقرأ خمس قراءات في صلوات الإكليل[١٦].

طلبات مصحوبة بمرد

وهي ثلاث عشرة طلبة، تبدأ بطلبة: "أيها الرب الإله ضابط الكل، الكائن في السماء، إله آبائنا. نطلب إليك يارب أن تسمعنا وترحمنا".

١٦- وهي: تكوين ١:٢٧-٧٢ ؛ تكوين ٢:٢١-٢٤ ؛ إشعياء ٦١:٩-٦٢:٦ ؛ رسالة أفسس ٥:١١-٢٣ ؛ إنجيل ق. متى ١٩:٢-٩ .(Cf. P. Jounel, *op. cit.*, p. 607)

وإن كان نص هذه الطلبات يُختم كله بعبارة "نطلب إليك يارب أن تسمعنا وترحمنا" فإن ابن كبر (+ ١٣٢٤م) يورد ختام هذه الطلبات بالعبارات التالية: "نطلب إليك يارب أن تسمعنا وترحمنا"، "نسألك يارب يا محب البشر أن تسمعنا وترحمنا"، "نطلب إليك أيها الصالح أن تسمعنا وترحمنا"، "نطلب إليك أيها الصالح محب البشر أن تسمعنا وترحمنا".

ومن كلمات هذه الطلبات: "يا من خلق المرأة من جنب آدم وأعطاها له معينة نظيره ... يا من بارك إبراهيم وسارة ووفقها له زوجة ... يا من حفظ اسحق ووفق له رفقة ... يا من بارك يعقوب ووفق له راحيل زوجة ... يا من رفع يوسف ووفق له اسنات ... ".

فالله نفسه هو الذي اختار زوجات الآباء آدم وإبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف ووفقهن لهم. وكما كان في القديم هكذا الآن أيضاً، فالله هو الذي يوفّق كل زوج إلى زوجته، وكل زوجة إلى زوجها، إن كانت طلبة كل منهما أن يكون الاختيار له وحده وليس لاجتهادهما. فلنصل كل حين أن يكون اختيار شريك الحياة هو وفق مشيئة الله فحسب.

وعند ابن كبر (+ ١٣٢٤م) "يلتفت الكاهن إلى الغرب، ويقول هذه الطلبات. وفي آخر كل طلبة يقول الشعب: **آمين**. ومنهم من يفسرها وليس حسناً أن تُقال عربياً"[١٧].

وعند البابا غبريال الخامس: "يقول الكاهن الطلبات للشرق،

١٧- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

وقد أورد ابن كبر نص الطلبة كلها باللغة العربيَّة، وهي تنقص طلبتان عن الثلاث عشر طلبة المدوَّنة لدينا في كتب الطقس. وهما: "يا من صنع الإنسان كشبهه ..."، و"الذي خلق المرأة من جنب آدم، وأعطاها له معيناً نظيره ...". أما مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) فقد أوردها كلها.

ثلاثة قبطي. ثم يقول من الأول عربي للشرق، إلى أن يصل إلى عند قوله: وبارك ذلك الزَّواج، يلتفت إلى الغرب من ها هنا. وكلما ذكر اسم العريس والعروسة يرشمهما بمثال الصليب، ويردون عليه إلى أن يصل إلى عند: أيها المتحنن والمترائف الكثير الرحمة، يقولها للشرق. ويقولوا كيرياليسون ٣ (مرات)".

فمن بين الستة مصادر التي لدينا، ثلاثة منها تنسب هذه الطلبة إلى **الشمَّاس**، وهي مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس)، ومخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس). وثلاثة منها تنسبها إلى **الكاهن** وهي ابن كبر، والبابا غبريال الخامس، ومخطوط القرن ١٩ (١٩٧ طقس).

أما المرد لكل طلبة منها فهو "كيرياليسون" بحسب كل المصادر، في حين أنه عند القس أبو البركات فقط هو "آمين".

وتُختتم هذه الطلبات بترديد "كيرياليسون" ثلاث مرات كما يذكر البابا غبريال الخامس، ومخطوطا القرن التاسع عشر (١٩٤ طقس، ١٩٥ طقس).

وتذكر كل المصادر التي أشارت إلى جهة ترديد هذه الطلبات[١٨] أنها تقال إلى جهة الغرب أي في مواجهة العروسين، باستثناء البابا غبريال الخامس الذي جعل الكاهن يتجه شرقاً في ترديده لهذه الطلبات، حتى إلى الطلبة العاشرة حين يقول: "يا من حضر في عُرس قانا الجليل، بارك هذا الزَّواج كمثل ما باركت ذاك الزَّواج ..." فهنا يلتفت الكاهن إلى الغرب، وحين يذكر اسم العريس والعروسة في الطلبة الثانية عشرة "... بارك واستر هذا العُرس الذي لعبديك (فلان)، و(فلانة) بسلامة وألفه

١٨- وهي ابن كبر، ومخطوطا القرن التاسع عشر (١٩٤ ، ١٩٥ طقس).

ومحبة ...''، يرشمهما بمثال الصليب. أما الطلبة الثالثة عشر والأخيرة ''أيها المتحنن الرؤوف كثير الصلاح ...'' فيقولها الكاهن متجهاً ناحية الشرق مرة أخرى. أما كتب الطقس المطبوعة فقد صمتت عن ذكر وجهة ترديد هذه الطلبات، وذلك اقتداء بصمت القمص فيلوثاؤس إبراهيم بهذا الخصوص في كتاب ''رتبة الإكليل الجليل'' الذي طبعه المرة الأولى سنة ١٨٨٨م.

وجدير بالذكر أن ما قاله ابن كبر (+ ١٣٢٤م) عن هذه الطلبة ''... وليس حسناً أن تُقال عربياً''، وما قاله عنها أيضاً البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) أن الكاهن يقول ثلاث طلبات قبطي منها قبل أن يقولها كلها باللغة العربيَّة، يتضح لنا أنها طلبة قديمة بدأت الكنيسة تقولها باللغة العربيَّة قبل القرن الرابع عشر الميلادي بعد أن ظلت زماناً طويلاً لا تُقال إلاَّ بالقبطيَّة. وفي القرن الخامس عشر الميلادي صارت هذه الطلبات تقال في معظمها باللغة العربيَّة حتى انعدم ترديدها بالقبطيَّة تماماً. ولكن تظل بعض مخطوطاتنا تذكر أن تقال هذه الطلبة بالقبطيَّة ثم يُقال تفسيرها عربياً، مثل مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس). وأظن أن هذا التحول من القبطيَّة إلى العربيَّة في نصوص صلواتنا الليتورجيَّة قد بدأ منذ زمن البابا غبريال الثاني بن تريك (١١٣١- ١١٤٥م)، أي منذ منتصف القرن الثاني عشر.

وينفرد القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧- ١٩٠٤م) بإضافة مرد يعقب هذه الطلبات هو: ''أيها المسيح كلمة الآب، الإله الوحيد، أعطنا سلامك، هذا المملوء من كل فرح''. وعنه نقلت الكتب المطبوعة التي أتت من بعده. وهي إضافة غير محبوكة، لأن المرد الذي يذكره القمص فيلوثاؤس هنا والمنقول بنصه من صلوات عقد الأملاك لا يتوافق مع ما سبق أن قيل من الثلاث عشر طلبة السابق ذكرها مباشرة. في حين أنه

يتوافق مع ما قاله الكاهن هناك في صلوات عقد الأمـــلاك. إذ في ختـــام الصلاة الأولى لعقد الأملاك والتي يعقبها هذا المرد يقول الكـــاهن: "... واعطهما علامة إشارة اتصالهما، ليكونا بألفة واحدة برباط المحبَّـــة، إذ تقول لهما: سلامي أعطيه لكما، سلامي أنا اتركه معكما، فأنت ســـلام جميعنا ..."، وهنا يأتي المرد: "أيها المسيح ... أعطنا ســـلامك ...". وهنا توافق مبدع بين ما يقوله الكاهن وما يردده الشعب. أما إعادة ذكر هذا المرد في هذا المكان من صلوات الإكليل فلا معنى له، كما لم تذكره كل المصادر القديمة الأخرى بلا استثناء.

الثلاث أواشي وقانون الإيمان

كل المصادر تذكر هذه الأواشي الثلاث دون توضيح أكثـــر مـــن ذلك. أما البابا غبريال الخامس وحده فيذكر أنهـــا الأواشـــي الـــثلاث الصغار. في حين ذكرها القمص فيلوثاؤس إبـــراهيم في كتابـــه "رتبـــة الإكليل الجليل" أنها الثلاث أواشي الكبـــار[١٩]. و"الـــثلاث أواشـــي الصغار" هي التي يقولها الآن الكاهن سراً وهو يدور حول المـــذبح وفي مقابله الشمَّاس، أثناء ترتيل الشعب أربا ع الناقوس. وليس مـــن قبيـــل التنويع أن تكون هذه الثلاث أواشي مرة هي الأواشي الصغار في صـــلاة عقد الأملاك ومرة هي الكبار في صلاة الإكليل أو العكس، لاسيَّما بعد أن اختُصرت صلوات عقد الأملاك (عربون الزَّواج)، لتقال هذه الأواشي مرة واحدة فحسب.

١٩- يذكر القمص فيلوثاؤس إبراهيم عكس ما يذكره البابـــا غبريـــال الخـــامس بخصوص الأواشي، فإن ذكر الثاني الأواشي الثلاثة الكبار في طقس عقد الأمـــلاك، يذكرها الأوَّل بأنها "الصغار"، وإن ذكرها الثاني بأنها "الصغار" في صلاة الإكليل يذكرها الأوَّل بأنها "الكبار". ويبدو أنه خطأ في النساخة.

ثلاث أواشي للإكليل مصحوبة بمردات

قبل أن نعرض لطقس ترديد هذه الأواشي ومرداتها ننقل هنا جانباً من نص كل أوشيَّة منها:

الأوشيَّة الأولى:

"الله الأزلي، الدائم إلى الأبد بغير ابتداء ... الذي صنع الإنسان من الأرض وابتنى له امرأة من جنبه، ووفقها معينة له مثله ... أنت الآن أيضاً يا ملكنا، نسألك أن تصل عبديك (فلان وفلانة) (٢٠)، لكي يتصلا بعضهما ببعض بجسد واحد، وليدخلا إلى ناموس الفرح ... هب لهما ثمرة محيية من البطن ليتملآ بولادة البنين الحسنة، والأزمنة الهادئة السالمة ...".

الأوشيَّة الثانية:

"أيها الرب إلهنا، جابل كل الطبائع، الذي جبل الإنسان من الأرض، وأصلحت له معينة من الضلع الذي أخذته منه، ووفقتهما لشركة الزَّواج بالحياة والنمو الدائم في جنس البشر، وقلت لهما أنميا واكثرا واملآ الأرض وتسلطا عليها. أنت أيضاً أيها الصالح محب البشر، بارك اتحاد عبديك (فلان وفلانة) اللذين اتصلا ببعضهما بعضاً حسب إرادتك. باركهما وليكثرا كما باركت آباءنا الأولين ... بارك عبديك (فلان وفلانة) اللذين اقترنا في هذه الساعة. أنعم عليهما بالرخاء والحكمة ومثالات الخلاص، لكي يكونا بكل تقوى وكل عفاف متصلين بجسدهما وروحهما ويستحقا البركة من قبلك ...".

٢٠- كل المخطوطات التي لديَّ تترجم العبارة القبطيَّة ⲡⲁ ⲛⲉⲓⲱⲧ ⲛⲉⲙ ⲧⲁ (ⲛⲓⲱⲧ) أي "فلان وفلانة" بعبارة "العريس ومعينته"، وذلك على مدى النص الليتورجي لهذه الصلوات كلها. أما كتاب "رتبة الإكليل الجليل" والكتب المطبوعة من بعده فقد التزمت بالنص القبطي وترجمته "فلان وفلانة"، أي نطق اسم العريس واسم العروسة.

الأوشيَّة الثالثة:

"أيها الرب إلهنا العظيم الأبدي الذي كوَّن الحياة مما لم يكن ... ومن الواحد أقمت الآخر، إذ قلت إنه لا يحسن أن يكون الرجل وحده، فأتيت بنعاس النوم على آدم فرقد، وأخرجت ضلعاً من جنبه، وملأت موضعه لحماً عوضاً عنه، لكي من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكونا كلاهما جسداً واحداً، وما أزوجه الله لا يفرقه الإنسان ... أنت الآن أيضاً أيها السيد اطلع على عبديك (فلان وفلانة)، ثبت اتصالهما، احرس مضجعهما نقياً، استرهما مع بيتهما بيمينك غير المغلوبة، نجهما من كل حسد، وكل مكيدة. احفظهما بامتزاج واحد وسلامة. هب لهما فرحاً وسروراً ليظهرا لك يا الله الحي ثمرة الحياة من البطن ..."

لقد اكتفى كتاب "رتبة الإكليل الجليل" بإيراد نص هذه الأواشي الثلاث دون أي تنبيهات طقسيَّة تختص بها.

ولا يذكر القس ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، ومعه مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس)، ومخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس) جهة ترديد هذه الأواشي، أهي ناحية الشرق أم ناحية الغرب، مكتفين بالقول: "يقول الكاهن". وهو نفس ما فعله القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧-١٩٠٤م) في كتابه "رتبة الإكليل الجليل" الذي طبعه سنة ١٨٨٨م.

أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فيذكران أن الأوشيتين الأولى والثانية تقالا إلى جهة الغرب، والأوشية الثالثة تُقال إلى جهة الشرق. في حين أن البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) قد أشار إلى عكس ما سبق، إذ ذكر أن الأوشيتين الأولى والثانية تقالا إلى جهة الشرق، والأوشية الثالثة تقال إلى جهة الغرب. مضيفاً هو وحده أن هذه الأواشي يسبقها قول الكاهن ⲏⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓⲛ (إيريني

باسي) "السلام للكل".

والأمر يحتاج إلى تقنين كنسي لتوحيد المراسيم الطقسيَّة لهذه الصَّلوات. وإن كانت هذه الأواشي كلها تخاطب الله خطاباً مباشراً، فلعل من الأوفق أن يكون ترديدها بواسطة الكاهن وهو متَّجه شرقاً.

أما عن المردات التي تعقب كل أوشيَّة من هذه الأواشي، فهي مأخوذة كلها من كتاب "الأبصلموديَّة السنوية المقدَّسة". ونجد أن كتاب "رتبة الإكليل الجليل" قد أورد مردين لكل أوشيَّة، ويختص المرد الثاني دائماً بوالدة الإله. وقد أدمجهما كتاب "صلوات الخدمات" كمرد من ربعين متتابعين دون أي معنى واضح يربط بينهما، مما يلفت نظر القارئ إلى وجود خلل في هذه الجزئيَّة من الطقس. وبالرجوع إلى المخطوطات التي لديَّ لاستيضاح هذا الأمر، وجدتُ أنها تتفق كلها على نفس التنبيه الطقسي الخاص بهذه المردات وهو كما يلي شرحه.

فمخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) - على سبيل المثال - بعد أن يورد نص الأوشيَّة الأولى في نهرين متوازيين قبطي وعربي، يقول: "وإذا قرئت قبطي فالمرد ... وإذا أعيدت عربي فالمرد ...". أي أن كل أوشيَّة لها مرد واحد. أما سبب وجود مردين فهو أن الكاهن كان أحياناً يقول الأوشيَّة بالقبطيَّة، ثم يعود يفسرها بالعربية. ولعدم تكرار المرد الواحد مرتين، فقد اختير مرد ثان بديل. وهذا يفسر لنا أن ترتيل المردات على هذه الأواشي ظل — وحتى اليوم — يقال بالقبطيَّة فقط دون ترجمتها إلى العربيَّة كما حدث في نصوص الصلوات التي يقولها الكاهن، وإلاَّ فلم يكن هناك من داع لتغيير المرد إن كان سيقال مرة بالقبطيَّة وأخرى بالعربية. هذا هو السبب في وجود مردين لكل أوشيَّة. لذلك نجد أن باقي المخطوطات التي لدينا (١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ طقس) تورد النص القبطي فقط للأوشيَّة ويعقبه المرد مسبوقاً بتنبيه هو: "مرد القبطي". ثم

تورد مرة أخرى نص الأوشيَّة باللغة العربيَّة ويعقبه المرد الثاني مسبوقاً بتنبيه هو: "مرد العربي".

أما البابا غبريال الخامس فقد أورد مرداً واحداً لكل أوشيَّة هو المرد الذي يعقب الأوشيَّة حين تقال بالقبطيَّة، أي المرد الأول فقط من كل أوشيَّة كما تورده المخطوطات المتوفرة لدينا، ولكن يعقبه الربع الختامي الشهير: Ⲭⲉ ⲫⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ (لأنه مبارك الآب والابن والروح القدس ...). ويتفق معه في ذلك مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) في إيراده لهذا الربع الختامي. وأضاف البابا غبريال الخامس أيضاً أن هذه المردات تقال بالناقوس بطريقة Ⲫⲛⲁⲩ ⲙ̀ⲡⲓⲥⲙⲟⲩ ⲡⲉ (هذا وقت البركة، هذا وقت البخور المختار، هذا وقت تسبيح مخلِّصنا محب البشر الصالح)[٢١]. وأنه يعقب المرد الخاص بكل أوشيَّة ترتيل المرد: "كيرياليسون" ثلاث مرات[٢٢].

والآن نشير إلى مردات هذه الأواشي طبقاً لما ذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، ومخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس). وعلى القارئ أن يلاحظ الاتفاق البديع في المعنى بين المردين المختصين بكل أوشيَّة من هذه الأواشي الثلاث.

مردا الأوشيَّة الأولى:

Ⲕⲁⲧⲁ ⲫⲣⲏⲧ ⲉⲧⲁⲩⲭⲟⲥ ⲛ̀ⲭⲉ Ⲇⲁⲩⲓⲇ ⲃⲉⲛ ⲡⲓⲯⲁⲗⲙⲟⲥ...

٢١- هذا المرد سيرد ذكره في نهاية صلوات السر عند الوصية الختاميَّة.

٢٢- يلاحَظ أن كتب الطقس المطبوعة لا تشير إلى هذه الثلاث "كيرياليسون" التي يذكرها البابا غبريال الخامس مراراً كثيرة، وبرغم ذلك فإن كنائسنا ترتلها حتى اليوم في صلوات الإكليل بلحنها المعروف. وقد أُضيف إليها مؤخراً: "يارب اسمعنا، يارب ارحمنا، يارب باركنا".

"كما قال داود في المزمور، قامت الملكة عن يمينك أيها الملك"(٢٣).

Ⲫⲡⲩⲗⲏ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲙⲁⲛⲱⲁⲓ ⲧⲉ Ⲙⲁⲣⲓⲁ ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ...

"باب المشارق هو مريم العذراء، الخدر الطاهر الذي للختن الحقيقي".

مردا الأوشيَّة الثانية:

Ⲥⲟⲗⲟⲙⲱⲛ ⲙⲟⲩⲧ ⲉⲣⲟⲥ · ϩⲉⲛ ⲡⲓϫⲱ ⲛⲧⲉ ⲛⲓϫⲱ ...

"سليمان دعاها في نشيد الأنشاد وقال: أختي صديقتي، مدينتي الحقيقيَّة أورشليم".

Ⲙⲓⲟⲩⲣⲱⲟⲩ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲛⲧⲉ ⲛⲕⲁⲁⲓ · ⲥⲉⲙⲟⲩⲓ ϩⲉⲛ ⲡⲉⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ...

"كل ملوك الأرض يسيرون في نورك. والأمم في ضيائك يا مريم أم الله"(٢٤).

٢٣- هذا المرد الذي اتفقت عليه كل المصادر الطقسيَّة القديمة أورده كتاب "رتبة الإكليل الجليل" في طبعتيه سنة ١٨٨٨م، وسنة ١٩٢١م، ونقل عنه بالطبع "كتاب صلوات الخدمات"، هكذا:

Ⲕⲁⲧⲁϕⲣⲏⲧ ⲉⲧⲁⲕⲧⲏⲥ ⲉⲛⲉⲕⲁⲩⲓⲟⲥ ⲛⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ ...

"كما أعطيته لتلاميذك القدِّيسين، قل لنا مثلهم سلامي أعطيكم".

وذلك لكي يكمِّل به المرد الذي سبق أن أورده – بدون أي سند ليتورجي أصيل – والذي يقول: "أيها المسيح كلمة الآب الإله الوحيد، أعطنا سلامك هذا المملوء من كل فرح". وقد سبق أن عقبنا على هذا المرد في موضعه. فجاء نص المردين اللذين أوردهما بعد هذه الأوشيَّة الأولى بدون اتفاق أو تناسق في المعنى.

٢٤- أورد القمص فيلوثاؤس إبراهيم هذه المردين معكوسين، أي المرد الثاني أولاً "كل ملوك الأرض ..."، ثم المرد الأول "سليمان دعاها ...". وأسبق هذين المردين بمرد قال في بدايته: "مرد يقوله الكاهن". وهذه أول مرة يُذكر فيها أن الكاهن يقول مردَّات وليس صلوات. وهو مرد لا يتفق في معناه لا مع ما سبقه من نصوص صلوات، ولا مع ما أعقبه من مردين تاليين له. وهذا المرد هو:

Ⲧⲁⲓⲣⲏⲛⲏ ⲁⲛⲟⲕ ⲑⲏⲧⲁⲓⲃⲓⲧⲥ ⲉⲓⲧⲉⲛ ⲡⲁⲓⲱⲧ ...

"سلامي أنا الذي أخذته من أبي أتركه لكم من الآن وإلى الأبد".

مردا الأوشيَّة الثالثة:

Ⲩⲡⲉⲣⲉⲣⲡⲱⲃⲉ ⲛ̀ⲧⲁⲓⲇⲓⲁⲑⲏⲕⲏ ⲙⲏ ⲉⲧⲁⲕⲥⲉⲙⲛⲏⲧⲥ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲓⲟⲧ ...

"لا تنس عهدك الذي قرَّرته مع آبائنا، إبراهيم واسحق ويعقـــوب قديسك".

Ⲥⲙⲟⲩ ⲉ̀ⲡⲓⲥ̅ ⲛⲓⲗⲁⲟⲥ ⲧⲏⲣⲟⲩ · ⲛⲓⲫⲩⲗⲏ ⲛⲓⲁⲥⲡⲓ ⲛ̀ⲗⲁⲥ ...

"باركوا الرب يا جميع الشعوب والقبائل ولغات الألسن، ســـبحوه ومجدوه وزيدوه علواً إلى الأباد"(٢٥).

أما الطبعة الثانية من الكتاب سنة ١٩٢١م، فاقتفت إثر الطبعـــة الأولى لـــه ســـنة ١٨٨٨م، بعد أن ذكرت عنوان هذا المرد: "ثم يقال هذا المرد"، بدلاً من تعبير "مرد يقوله الكاهن"، و لم يفلت طبعاً "كتاب صلوات الخدمات" من هذا الأمر، ولكـــن مع تغيير عنوان المرد، فذكر: "يقول المرتلون".

٢٥- شذَّ مخطوط القرن الـــ ١٩(١٩٤ طقس) عن السياق العام للمردات، فأورد هذا المرد هكذا:

Ⲧ ⲉⲉⲣⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲉⲃⲟⲗ ϧⲣⲏ · ⲛⲁⲟ ⲡⲉ ⲡⲥⲁ ⲛ̀ⲧⲁⲛⲁⲧⲟⲗⲏ ...

"مضيئة أكثر من الشمس، أنت هي ناحية المشارق التي ينتظرها الأبـــرار بفـــرح وتهليل".

وهو نفس ما أورده كتاب "رتبة الإكليل الجليل" في كلا طبعتيه. ولكن الكتاب المذكور أورد مرداً ثالثاً يقع في منتصف المردين المختصين بالأوشية الثالثة، وهو:

Ⲡⲁⲥⲭⲉⲗⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲁⲓⲉⲃⲟⲟⲩ · ⲉⲧⲃⲏⲏ ⲉ̀ⲛⲃⲓⲥⲓ ⲛⲉⲙ ⲡⲁⲓ ⲥⲩⲛⲟⲇⲟⲥ ...

"يا ملاك هذا اليوم الصاعد إلى العلو بهذه التسبحة اذكرنا أمام الرب ليغفـــر لنـــا خطايانا".

واقتفى أثره في ذلك "كتاب صلوات الخدمات". وهنا يظهر لنا أهميَّـــة مراجعـــة نصوص الكتب الطقسيَّة للكنيسة، وتدقيقها والتزامها بالأصول القديمة للطقس. وألاَّ يُسمح بطباعتها وانتشارها في الكنائس إلاَّ بعد أخذ موافقة مكتوبـــة مـــن الرئاســـة الكنسيَّة، حتى يصبح عنوان الكتاب الطقسي اسم على مسمَّى، حين يكون العنوان: "... بحسب ترتيب الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة".

صلاة خضوع ومرد

نص الصلاة: ''أمل سمعك يارب، واستجب لنا نحن الخطاة غير المستحقين. وثبِّت اتصال عبديك العريس ومعينته[٢٦]. نجهما من كل شر، وليطل عمرهما بكثرة الأيام، ويعيشا بدعة وهدوء واحتمال وخضوع، وهما بلا لوم ولا عثرة. أضئ أعين قلبهما وفهمهما ليصنعا إرادتك كل حين، لأنك رحيم كثير الرحمة لكل الصارخين إليك. ونرسل لك المجد والكرامة والسجود الآن ... ''.

وهي صلاة مملوءة رهبة وخشوعاً. وقد اكتفت بعض المخطوطات بعنوانها ''صلاة خضوع، يقول الكاهن''، وهو نفس ما نهجته كتب الطقس المطبوعة التي يشوبها تقصير واضح في التنبيهات الطقسيَّة المصاحبة لنصوص الصلوات، وكان كتاب ''رتبة الإكليل الجليل'' الذي طُبع سنة ١٨٨٨م وراء هذا القصور. أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس)، فذكرا عنوانها: ''صلاة خضوع، يقول الكاهن **ووجهه للشرق**''.

وينفرد البابا غبريال الخامس بإيراد طقس هذه الصلاة هكذا:

يقول الشمَّاس: ''احنوا رؤوسكم''.

يقول الكاهن: ''سلام لجميعكم''[٢٧].

يردُّون عليه: ''ولروحك أيضاً''.

يقول الكاهن صلاة الخضوع للشرق إلى آخرها.

يردون عليه:

ⲫⲉⲥⲙⲟⲩ ⲉⲣⲟⲛ ⲛⲁⲉ ⲫⲒⲒ . ⲧⲉⲛⲛⲁⲥⲙⲟⲩ ⲉⲡⲉⲥϥⲣⲁⲛ ⲉⲟⲩ...

٢٦- ذكرها القمص فيلوثاؤس إبراهيم بـ ''فلان وفلانة''.

٢٧- سقط قول الكاهن من مخطوط ''الترتيب الطقسي''، ويؤكد وجوده المرد التالي له. (انظر: البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٢٦).

"يباركنا الله، ولنبارك اسمه القدُّوس، في كل حين تسبحته دائمة في أفواهنا".

Χε ⲉϥⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛⲁⲛⲉ ⲫⲓⲱⲧ ⲛⲉⲙ ⲡⲱⲛϩⲣⲓ ...

"مبارك الآب والابن والروح القدس، الثالوث الكامل، نسجد له ونمجده".

ثم يقولون: "كيرياليسون" ثلاث مرات[٢٨].

هذا هو طقس صلاة الخضوع، الخضوع لله بإحناء الرأس أمامه، إحناء رأس الكاهن، مع إحناء رأسي العروسين ورؤوس كل الشعب، لأن الكنيسة الآن تطلب بروح الصلاة والتضرع والانسحاق أهم وأغلى ما ترجوه لكل عروسين، ولكل أسرة مسيحيَّة. ولو دقق القارئ العزيز في نص هذه الصلاة وأعاد قراءتها بتؤدة، فلن يجد شيئاً آخر يحتاجه العروسين أكثر مما طلبته الكنيسة لأجلهما في هذه الصلاة المختصرة جداً والعميقة جداً والغنية جداً في آن معاً.

فهل فعلاً نشترك كشعب مع الكاهن في الصلاة والتضرع إلى الله أن يمنح العروسين ما تطلبه الكنيسة لهما في هذه الطلبة؟، وهل يقف العروسان خاشعين متجهين إلى الشرق ليستحقا أن يمنحهما الله بتوسط الكاهن ما تطلبه الكنيسة لهما؟. وهل الكنيسة كلها الآن في حالة صمت وهدوء وخشوع في حضرة الرب؟. ففي الهدوء العظيم الرب هناك[٢٩]. هذا هو وقت تحديد المصير لمستقبل حياة العروسين، هذا هو زمن العطاء السمائي لكل الفاتحين أيديهم وقلوبهم لانسكاب رحمة الرب وتحننه. والرب يتوق إلى العطاء فهل نحن مهيأون؟، الرب مستعد أن يسكب بفيض وبلا كيل، فهل نحن مستعدون لقبول العطيَّة؟ إننا في محفل مقدَّس،

٢٨- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧

٢٩- ١ملوك ١٢:١٩ (ترجمة سبعينية).

التأم وفق مشيئة الرب، ليكتمل برأيه هو وبروحه هو. أم نجري رأياً وليس من الرب، ونسكب سكيباً وليس بروحه[٣٠]؟. ازرعوا لأنفسكم براً لتجنوا ثمرة الحياة[٣١]، وثمر البر يُزرع في السلام[٣٢].

الصلاة على الزيت والدهن به والتحليل

تنفرد الكنيسة القبطيَّة بدهن العروسين بالزيت في صلاة الإكليل. وقد بقيت هذه العادة ثابتة إلى ما بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي حتى الآن لم تبطل تماماً[٣٣].

أما الكنيسة اليونانيَّة فقد انفردت بالصلاة على كمية من النبيذ ليشرب منها العروسان، ومن كأس واحدة، فيتذكر الزوجان طبيعة اتحادهما بالمسيح. ويشربان من كأس واحدة ليتشاركا نفس الحياة[٣٤]. حيث يبارك الكاهن الخمر ويسقي كلاً من العروسين ثلاث جرعات رمزاً لقبول المصير الواحد المشترك في السراء والضراء[٣٥]. وهو بقايا طقس منح المناولة للعروسين والذي بطل الآن.

أما الأرمن والأحباش فيقيمون طقوس الزَّواج حتى اليوم أثناء الليتورجيَّة الإفخارستيَّة[٣٦].

والآن عودة إلى الطقس القبطي.

٣٠- انظر: إشعياء ٣٠:١

٣١- انظر: هوشع ١٠:١٢

٣٢- انظر: يعقوب ٣:١٨

٣٣- هنرى دالميس، الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ١٥٨

34- Davis, J.G., A Dictionary of Liturgy and Worship, p. 258.

٣٥- العبادة المسيحيَّة، ص ١٢٧

٣٦- هنرى دالميس، الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ص ١٥٧

فعند ابن كبر: "يتناول (الكاهن) قنينة الزيت المقدَّس وهو الغاليلاون بيده ويقرأ عليها أوشيَّة يذكر فيها الزوجين، وكلما ذكرهما يقول الشعب: آمين".

وعند البابا غبريال الخامس: "يصلي الكاهن على وعاء الزيت".

وفي مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس)، ومعه مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس): "صلاة على الزيت قبل الدهن".

وفي مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس): "صلاة على الزيت قبل أن يدهنهم. وها هنا يقرن الكاهن رؤوسهم ويقرأ التحليل".

نص الصلاة على الزيت

السيد الرب الإله ضابط الكل، أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. الذي من جهة ثمرة شجرة الزيتون الدسم مسحت كهنة وملوكاً وأنبياء. نسأل ونتضرع إلى صلاحك يا محب البشر، لكي بالبركة تبارك هذا الزيت. وليكن:

زيتاً لتقديس عبديك (فلان وفلانة). آمين

سلاحاً للبر والعدل. آمين.

مسحة الطهارة وعدم الفساد. آمين.

نوراً وجمالاً لا يذبل. آمين.

فرحاً[٣٧] وعزاً حقيقياً. آمين.

قوة[٣٨] وغلبة قبالة كل أفعال المضاد. آمين.

٣٧- ذكر كتاب "رتبة الإكليل الجليل" هذه الطلبة هكذا: "فرحاً **وزينة** وعزاً حقيقياً". ولم ترد كلمة "زينة" لا في النص القبطي ولا في أي من المخطوطات المتوفرة لدينا.

٣٨- ذكر كتاب "رتبة الإكليل الجليل" هذه الطلبة: "قوة **وخلاصاً** وغلبة ...". ولم ترد كلمة "الخلاص" في المخطوطات المتوفرة لدينا، وهذا هو الأصح، لأن هذه

تجديداً وخلاصاً لنفسهما وجسدهما وروحهما. آمين.
غناء وخصباً في الأعمال الصالحة[٣٩]. آمين.
مجداً وإكراماً لإسمك القدُّوس، مع ابنك الوحيد والروح القدس المحيي المساوي لك، الآن ...

دهن العروسين بالزيت

ثم يدهن الكاهن العريس وعروسته بالزيت. والوحيد الذي ذكر موضع الدهن هو القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) حيث يقول: ''ثم تدهن وجههما بالزيت فيرتل المرتلون ويقولون ...''[٤٠]. أي الدهن يكون على الجبهة فقط.

ويرشم الكاهن جبهة العروسين بالزيت في ذات الموضع الذي رُشما فيه وختما بالميرون المقدَّس في يوم معموديتهما، فيعطي الروح القدس العريس الاتحاد الملوكي مع عروسته فينال مع عروسته هبة وعطية وبركة الزِّيجة.

ولكن يبدو أن عادة دهن الجبهة فقط بالزيت قد تطورت بعد ذلك، إذ يذكر بتلر A. Butler الذي زار كنائس مصر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر أن الكاهن يبارك قنينة من الزيت ويمسح جبهة العريس والعروسة ورسغيهما[٤١]. ومن ثمَّ فقد تطور الرشم بالزيت من الجبهة فقط، إلى دهن الجبهة والرسغين. ولكنني حتى الآن لم أقرأ في أي

الكلمة سترد في الطلبة التالية مباشرة.

٣٩- هكذا وردت هذه الطلبة في كل المخطوطات. ووردت في كتاب ''رتبة الإكليل الجليل'' كما يلي: ''غناء وإعطاء ثمرة الأفعال الحسنة'' (ص ٥٥).

٤٠- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

٤١- ألفريد بتلر A. Butler ، الكنائس القبطيَّة القديمة في مصر، مرجع سابق، ص ٢٥١

مصدر طقسي قديم أو حديث أن الدهن بالزيت يكون أيضاً على الحنجرة أي أسفل الذقن.

وأثناء دهن العريس وعروسته بالزيت بواسطة الكاهن. يرتل الشعب قائلين:

"دهنتَ بالزيت رأسي، وكأسك روتني مثل الصرف. ورحمتك تدركني جميع أيام حياتي. يغبطهما كل الأمم قائلين: يكون آمين. الرب أرسل ملاكه وأخذني من غنم أبي، ومسحني بدهن مسحته. إخوتي حسان وكبار. وهم يغبطونني قائلين: يكون يكون آمين. لأنه مبارك الآب ..."

وإنه من الغريب حقاً أن كل المصادر الستة التي لدينا بدءاً من القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) ومروراً بالبابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، والمخطوطات التي لديَّ المحصورة ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر، لا تذكر سوى المرد السابق ذكره عند دهن كل من العروسين بالزيت. أما القمص فيلوثاؤس إبراهيم (١٨٣٧-١٩٠٤م) في كتابه "رتبة الإكليل الجليل" المطبوع للمرة الأولى سنة ١٨٨٨م، فقد ذكر أن المرد السابق ذكره يقال عندما يدهن الكاهن العروسة. وأسبقه بمرد آخر عند دهن العريس بالزيت. ونصه هو:

"ليبطل هذا الدهن الشياطين، هذا الدهن قبالة الأرواح الرديئة. هذا دهن الأرواح المقدَّسة. هذا الدهن قبالة مقاومة الأرواح النجسة بيسوع المسيح ملك المجد. لأنه مبارك الآب والابن والروح القدس، الثالوث الكامل نسجد له ونمجده".

ولست أعرف من أين أتى القمص فيلوثاؤس إبراهيم بهذا المرد ليضعه هنا تحديداً؟. ولماذا يكون هذا المرد الذي هو قبالة الأرواح الرديئة

والنجسة مختص بالعريس وحده دون العروسة؟!.

صلاة بعد الدهن بالزيت (التحليل)

هذه الصلاة يدعوها القس أبو البركات "أوشيَّة أخرى" بعد الدهن بالزيت، ويجعلها البابا غبريال الخامس صلاة سريَّة، فيقول في ذلك "وفي ضمن قراءة ⲁⲕⲑⲱⲥⲥ (أي مرد: دهنتَ بالزيت رأسي ...) يعجل بالصلاة التي بعد (الدهن بـ) الزيت ...". أما مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) فيوضح الأمر أكثر فيقول: "وفي ضمن هذا الترتيل بعد فراغ دهن العرايس يكون الكاهن قرأ أوشيَّة الإكليل سراً وهي هذه أيها الرب إله القوات ...". أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فيوضحان الأمر بقولهما: "وبعد الدهان يقول الكاهن هذه الصلاة سراً". وقد سبق لهذين المخطوطين الأخيرين أن ذكرا هذه الصلاة باسم "التحليل"، حين ذكرا: "صلاة على الزيت قبل أن يدهنهم. وها هنا يقرن الكاهن رؤوسهم ويقرأ التحليل".

"أيها الرب إله القوات، الذي لا تُحصى مراحمه ... استر على عبديك (فلان وفلانة) واحرس اتصالهما، واحفظ مضجعهما نقياً ...".

إذاً فقد اتفقت معظم المصادر الطقسيَّة القديمة على أن هذه الأوشيَّة السابق ذكرها تقال سراً على رأس العروسين كصلاة تحليل. وهذا ما لم تشر إليه أي من الكتب الطقسيَّة المطبوعة بدءاً من كتاب "رتبة الإكليل الجليل" الذي قام بنشره القمص فيلوثاؤس إبراهيم سنة ١٨٨٨م، مكتفياً بوضع عنوان هذه الصلاة السريَّة هكذا: "صلوة بعد دهنهما بالزيت المبارك"[٤٢]، واقتفى أثره من أتى من بعده.

٤٢- رتبة الإكليل الجليل، مرجع سابق، ص ٥٧

طقس وضع الأكاليل

طقس وضع الأكاليل على رأس العروسين هو ذروة الاحتفال الليتورجي بسر الزِّيجة في كافة الكنائس الشرقيَّة. وهذا الطقس يشتمل على ما يلي:

الصلاة على الأكاليل.
وضع الأكاليل على رأس العروسين مع صلاة.
لحن أو مديح آدام بعد وضع الأكاليل.

عند ابن كبر (+ ١٣٢٤م): "يأخذ الكاهن الأكاليل ويصلي عليها، والشعب يجيب عند كل طلبة ويقول: آمين. وعند ذلك يرتلون ويقولون: المجد والكرامة للذي يتتوَّج. الآب يبارك، والابن يتوِّج، والروح القدس يشمله ويملاه. وإذا صلى عليهما يضعهما على رأس العروس والعروسة فعند ذلك يرتل المرتلون ويقولون باللحن الكبير مستحق ثلاثة ...".

عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م): "ويصلي على الأكاليل. فإنه حين فراغهم من ⲁⲕⲑⲱⲥⲥ إلى آخرها، يضع الأكاليل على رأس العريس والعروسة. وإذا انتهت الصلاة التي على الأكاليل، في ضمن ذلك، يضع الكاهن الإكليل على رأس العريس ويقول: بالمجد والوقار توَّجته. الآب يبارك، والابن يكلل، والروح القدس يكمِّل ويتمِّم. ثم يجاوبوه بأكسيوس ٣ باللحن كما شُرح أولاً. ثم يقول الكاهن هذه القطع على عادة المعلقة وباقي الكنائس أكثرهم يقول: ⲁⲕⲟⲓ ⲧⲭⲁⲣⲓⲥ • ... ⲕⲉ ⲉⲩⲗⲟⲭⲓⲫⲟⲥ ⲁⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉⲛⲟⲥ ⲓⲏⲥ ⲡⲭⲥ وثم من الكهنة من يقول قطعة واحدة ويردوا عليه أكسيوس. يا الذي بارك أبينا آدم وحواء ... ثم يضع الإكليل على رأس العروسة ويقول: يا الذي بارك لأبينا آدم

في سارة على شجرة ممرا ... وفي ضمن ذلك يقول الصلاة التي بعد الإكليل. وإذا انتهت قراءة قطع الأكسيوس يقولون هذا بلحنه ... ⲉⲁⲛϫⲁⲟⲩ ⲛⲁⲧⲁⲟⲩ "⳨".

هذا ما ذكره كل من مصدر القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر، وفيما يلي الشرح التفصيلي لما سبق ذكره مباشرة مدعوماً بما ذكرته المخطوطات عن ذلك.

الصلاة على الأكاليل

يأخذ الكاهن الأكاليل ويصلي عليها. والذي يدقق في قراءة ما يذكره البابا غبريال الخامس عن هذه الصلاة، يجد أنها صلاة سريَّة يقولها الكاهن. أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فقد أوضحا الأمر جلياً بقولهما عن هذه الصلاة: "يقول الكاهن الصلاة سراً على الأكاليل ووجهه إلى الشرق". أما مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) فلم يذكر سوى عبارة يوجهها للكاهن قائلا: "تأخذ الأكاليل وتصلي عليها"، ويتفق معه في ذلك مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس). أما ابن كبر فهو وحده الذي ذكر أن الشعب يجيب على الكاهن بالمرد "آمين". ولست متأكداً إن كان القس أبو البركات ابن كبر يقصد الصلاة التالية مباشرة، أم التي تعقبها. أما كتاب "رتبة الإكليل الجليل" فلم يوضِّح شيئاً، إذ اكتفى بالقول: "يمسك الكاهن الأكاليل ويصلي عليها قائلاً: الله القدُّوس ...". فلم يشر إلى كونها صلاة سريَّة أم أنها صلاة يشترك فيها الشعب بمرد "آمين". وعنه نقلت الكتب الطقسيَّة المطبوعة.

وهذه الصلاة السريَّة على الأكاليل هي:

"الله القدُّوس الذي كلل قدِّيسيه بأكاليل لا تذبل، وأصلح

السمائيين مع الأرضيين بوحدانيَّة. أنت أيضاً الآن يا سيِّدنا، بارك هـذه الأكاليل التي هيأناها لنضعها على عبديك، لتكون لهما:

إكليل[٤٣] مجد وكرامة. آمين.

إكليل بركة وخلاص. آمين.

إكليل فرح ومسرة. آمين.

إكليل تهليل وبهجة. آمين.

إكليل فضيلة وعدل. آمين.

إكليل حكمة وفهم قلب. آمين.

إكليل عزاء وثبات. آمين.

هب لعبديك اللذين يلبسانهما ملاك السَّلامة، ورباط المحبَّة، وانقذهما من كل فكر قبيح، وشهوة رديئة ... اجعلهما يفرحان بنظر البنين والبنات. واللذين يلدانهم أت بهم نافعين في واحدتك المقدَّسة الجامعة الرسوليَّة البيعة، ثابتين في الأمانة الأرثوذكسيَّة إلى الانقضاء ...".

وفي الطقس السرياني الغربي (الأنطاكي) يقول الكاهن في صلاته على الإكليل:

"يارب. لقد زيَّنت الأنبياء قديماً بتاج النبوَّة، ومجَّدت الرسل، وكللت الشهداء الأماجد بتاج الغلبة. وفي يوم المجازاة ستكلل القدِّيسين في ملكوتك السماوي بأكاليل يستحقونها مرصَّعة بأعمال الله ... ارفع يمينك، وبارك هذه الأكاليل الممجَّدة المتلألئة بالكرامة والمجد. أكاليل مملوءة بجمال لا يبلى، أكاليل مختومة بخاتم الصليب المحيي"[٤٤].

٤٣- "إكليل" بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع، طبقاً للنص القبطي.

44- P. Jounel, *op. cit.*, p. 606.

وضع الأكاليل

قد وصلنا الآن إلى اللحظة الليتورجيَّة التي تمثل ذروة الاحتفال الطقسي بسر الإكليل المقدَّس، حين يضع الكاهن إكليلاً على رأس العروس وإكليلاً آخر على رأس العروسة. ويستغرق وقت تتميم هذه الجزئيَّة من الطقس الوقت الأكبر بين كافة الأجزاء الأخرى التي تكمل هذا الطقس.

ولقد تبين لي بعد تحقيق ودراسة في مصادر الطقس القديمة، والمخطوطات أيضاً، أنه كان هناك ترتيبان لصلوات وضع الأكاليل على رأس العروسين. وربما سارا متوازيين جنباً إلى جنب. الترتيب الأول منهما هو الأكثر دقة حيث يورده بدقائقه التفصيلية البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، ويتفق معه تماماً القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، وكذلك مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس). أما الترتيب الثاني لصلوات وضع الأكاليل فقد انتهجه مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس)، وأيضاً مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس). أما كتاب "رتبة الإكليل الجليل" الذي طُبع المرة الأولى سنة ١٨٨٨م، فقد أورد هذا الترتيب الثاني ولكن ليس بدقّة ما أوردته المخطوطات عنه، بل إنه أقحم ضمن طقس وضع الأكاليل طقساً آخر هو لبس حلة العُرس للعروسين. فتشوَّش المعنى الليتورجي البديع لطقس وضع الأكاليل. وإليك التفاصيل.

الترتيب الأول لوضع الأكاليل على رأس العروسين

وقبل أن نعرض لهذا الترتيب الأول، نورد هنا ملخَّص مراحله الطقسيَّة لكي لا يتوه القارئ في تفصيلات فرعيَّة.

(١) وضع الإكليل على رأس العريس أولاً. ويقول الكاهن: "بالمجد

والكرامة كلله ...". ويرد الشعب "أكسيوس ...".

(٢) البركة على رأس العريس "الذي بارك أبانا آدم ونوح ...".

(٣) وضع الإكليل على رأس العروسة، ويقول الكاهن البركة "الذي بارك أبانا آدم وحواء ...".

(٤) يقولون المرد: "إكليل ذهب. إكليل فضة. إكليل جوهري. أللليلويا، أللليلويا، أللليلويا، المجد هو لإلهنا".

(٥) صلاة: "ضع يارب على عبيدك إكليل النعمة ...".

(٦) مديح آدام بعد وضع الأكاليل: "أكاليل غير مضمحلة ..."[٤٥]، أو القانون: "السلام للعروسة ..."[٤٦].

(٧) الصلاة الربانيَّة والتحليل.

وأظن أن هذا الترتيب الأول لوضع الأكاليل هو الترتيب الأقدم، لأن البابا غبريال الخامس حين يذكره بالتفصيل يشير إلى جزء منه ويقول عنه: إنه على عادة كنيسة العذراء المعلقة بمصر القديمة، وأكثر الكنائس[٤٧]. ولذلك جاء متوافقاً تماماً مع ما سبق أن ذكره عنه القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) كاهن كنيسة العذراء المعلقة، وهي المقر البطريركي في ذلك الوقت، وهو ما سنوضحه بالشرح فيما بعد.

وفي هذا الترتيب الأول لوضع الأكاليل على رأس العروسين، **يضع الكاهن الإكليل على رأس العريس أولاً**، وهو يقول:

"بالمجد والكرامة كلله. الآب يباركه، والابن يكلله، والروح القدس يقدِّسه ويكمِّله".

٤٥- كما عند البابا غبريال الخامس.

٤٦- كما في مخطوطي القرن الـ ١٩ (١٩٤ طقس، ١٩٥ طقس)

٤٧- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٢٧

والنص السابق ذكره مباشرة هو نص ليتورجي سحيق في القـــدم، أصله باليونانيَّة، وليس بالقبطيَّة. وهذه الصيغة الليتورجيَّة هي نفسها التي تستخدم في لحظة وضع الإكليل على رأس المعمَّـــد حـــديثاً في المراحـــل الختاميَّة لدهنه بالميرون المقدَّس بعد خروجه من جرن المعموديَّة.

والجدول التالي يوضِّح النص اليوناني لهذه الصيغة الليتورجيَّة القديمة، وترجمتها إلى العربيَّة. مع ملاحظة أن هذه الصيغة الليتورجيَّة هي الوحيدة في كل صلوات سري المعموديَّة والميرون التي ترد كاملة باليونانية ولـــيس بالقبطيَّة، ولا تخضع لنظام الأرباع القبطيَّة التي يشتمل كل ربع فيها على أربعة استيخونات. مما يدل على أنها صيغة مأخوذة عن أصل ســـحيق في القدم عرفته بعض الكنائس الشرقيَّة الأخرى أيضاً.

النص اليوناني	الترجمة العربيَّة
Δόξα καὶ τιμὴ στεφάνωσον αὐτόν. ὁ Πατὴρ εὐλόγει. ὁ Υἱὸς στέφει. τὸ Πνεῦμα ἅγιον ἁγιάζει. τὸν αὐτὸν καὶ ἀποτελει.	بالمجد والكرامة كللـــه. الآب يباركه، الابن يكلله، والروح القدس يقدِّســـه ويكمِّله.

وهو ذات النص الذي يذكره ابن كبر، والبابا غبريال الخـــامس، مع اختلاف طفيف في الترجمة إلى العربيَّة. أما النص اليونـــاني فـــلا خلاف عليه. أما مخطوطا القرن الـــ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فقد أوردا النص اليوناني لهذه الصيغة بحروف قبطيَّة دون ترجمة إلى اللغـــة العربيَّة. ولكنهما أسبقا هذه الصيغة بنص قبطـــي: هـــو ⲃⲉⲛ ⲫⲣⲁⲛ ... ⲛ̀ⲑⲓⲱⲧ ⲛⲉⲙ ⲡ̀ϣⲏⲣⲓ "باسم الآب والابن والروح القدس، إلـــه واحد آمين".

وبعد أن يقول الكاهن هذه الصيغة القديمة ويضع الإكليل على رأس العريس، يردِّد الشعب: "أكسيوس (ثلاث مرات)، العريس ومعينته".

ثم يقول الكاهن:

Ⲁⲕⲃⲓ ⲧⲭⲁⲣⲓⲥ ⲕⲉ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲁ ⲉⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉⲛⲟⲥ ⲓ̅ⲥ̅ ⲡ̅ⲭ̅ⲥ̅.

Ⲁⲕⲃⲓ ⲥⲧⲉⲫⲁⲛⲓ ⲛⲧⲉⲗⲓⲟⲥ ⲉⲑⲙⲉⲩ ⲛⲉⲗⲉⲩⲑⲉⲣⲟⲥ.

Ⲁⲕⲃⲓ ⲛⲧⲉⲡⲁⲥⲭⲉⲗⲓⲁ ⲉⲑⲛⲉⲥⲟⲥ.

Ⲱ ⲡⲓⲛⲧⲩⲫⲓⲟⲥ ⲛⲉⲙ ⲧⲉⲫⲃⲱⲏⲑⲟⲥ. ⲁⲍⲓⲟⲥ.

"نلت نعمة وبركة بربنا يسوع المسيح.
نلتَ إكليلاً كاملاً ممتلئاً حريَّة.
نلتَ وعداً حسناً.
أيها العريس ومعينته. أكسيوس"(٤٨).

ثم يقول الكاهن البركة التالية على رأس العريس:

"الذي بارك أبانا آدم ونوح وإبراهيم وموسى في أرض مديان يباركك أيها العريس ومعينته.

الذي بارك اسحق الحبيب وهابيل الصديق الأول وسليمان وأبيه داود، يباركك أيها العريس ومعينته.

الذي بارك أبانا يعقوب إسرائيل، وعيسو والصديق أيوب، يباركك سبعة أضعاف أيها العريس ومعينته"(٤٩).

٤٨- هذه الأرباع لم يذكرها كتاب "رتبة الإكليل الجليل"، وما ظهر بعده من كتب مطبوعة، وهي مذكورة بالقبطيَّة فقط عند البابا غبريال الخامس، وفي المخطوطات التي لديَّ.

٤٩- عند هذا الحد ينتهي طقس وضع الإكليل على رأس العريس ويأتي دور وضع الإكليل على رأس العروسة.

ثم يضع الكاهن الإكليل على رأس العروسة[٥٠] ويقول:

"الذي بارك أبانا آدم وحواء، وإبراهيم مع سارة، واسحق مع رفقة، يبارك هذا الزَّواج.

الذي بارك يعقوب إسرائيل علي ليئة وراحيل. وحنة أم صموئيل، يبارك هذا الزَّواج.

الذي بارك يوسف وإسنات وزكريا مع إليصابات، ومريم أم الختن، وكافة النساء المباركات، يبارك هذا الزَّواج".

يقولون المرد:

"إكليل ذهب. إكليل فضة. إكليل جوهري. أللليلويا، أللليلويا، أللليلويا، المجد هو لإلهنا". وما يلائم من أرباع التطقيس.

وأثناء ترديد الشعب للمرد السابق يقول الكاهن الصلاة التالية:

"ضع يارب على عبديك، إكليل النعمة غير المغلوبة. إكليل مجد مرتفع وغير فان. إكليل أمانة حسنة غير مضادة ...".

أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فيذكران أنه بعد أن يقولوا ما يلائم من أرباع التطقيس، يختمون بلحن حلول الروح القدس. وفي ضمن ذلك (أي وفي أثناء ذلك) يقول الكاهن الصلاة "ضع يارب على عبديك إكليل النعمة ..." إلى الغرب.

إذاً فهذه الصلاة "ضع يارب على عبديك إكليل النعمة ..." هي صلاة سريَّة كما يوضِّح المخطوطان (١٩٤ طقس، ١٩٥ طقس). أما البابا

٥٠- هذا ما يقوله القس أبو البركات ابن كبر، والبابا غبريال الخامس أيضاً، أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فيذكران أن الكاهن يقول هذه البركة على رأس العروسة.

غبريال فلم يذكرها بنصها مكتفياً بالقول: "وفي ضمن ذلك يقول (الكاهن) الصلاة التي بعد الإكليل".

وفي الطقس البيزنطي يتناول الكاهن أحد الأكليلين ويرشم به شكل صليب على رأس العريس ثلاث مرات، ويلمس به في كل مرة رأس العروسة قائلاً: "يكلل عبد الله (فلان) على أمَه الله (فلانة) باسم الآب والابن والروح القدس"، ويضع الإكليل على رأس العريس. ثم يجري الأمر نفسه مرة أخرى معكوساً حتى يضع الإكليل على رأس العروسة[٥١].

وكل الذين يلبسون الأكاليل بقوة الصليب المحيي، وبعلامته، وفعل الروح القدس، إنما ينالون الاتحاد الدائم بمجد وكرامة، ويؤهلون للخلاص، ويسطعون ببهاء النعمة التي سوف تشع في اليوم المخوف عندما نقوم ببهاء وكرامة السماويين[٥٢].

لحن أو مديح آدام بعد وضع الأكاليل

أي أنه يقال على وزن الذكصولوجيَّة الآدام، وهو:

"أكاليل لا تبلى منحها الرب لهذا العريس الذي ليسوع المسيح. استضئ استضئ أيها العريس مع عروستك الحقيقيَّة التي هي موضعك المستعد. اقبل الفرح وموهبة الله التي أعطاها لك المسيح إلهنا. امض بفرح إلى خدرك المزيَّن بكل نوع".

هذا المديح السابق، ذكره القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) بنصه باللغتين القبطيَّة والعربيَّة. وذكره البابا غبريال الخامس في هذا الموضع، أي بعد أن تُقال صلاة: "ضع يارب على عبديك إكليل النعمة ..."،

٥١- العبادة المسيحيَّة، مرجع سابق، ص ١٢٦

٥٢- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٥٤

أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فذكرا بدلاً منه أنه يُقرأ القانون، وهو هذا:

Χερε ⲧⲱⲉⲗⲉⲧ ⲉⲧⲉⲣⲟⲧⲱⲓⲛⲓ. ⲁⲙⲁⲧⲙⲡⲣⲉϥⲉⲣⲟⲧⲱⲓⲛⲓ...

"السلام للعروسة المضيئة، أم الذي يضئ. السلام للتي قبلت إليها الكلمة الكائن في أحشائها ...".

هذا هو الترتيب الأول لوضع الأكاليل على رأس العروسين. ويعقبه مباشرة **الصلاة الربانيَّة والتحاليل الثلاثة** التي يقولها الكاهن، وهو ما سنذكره فيما بعد. ولكننا هنا نشير إلى أن موضع الصلاة الربانيَّة والتحاليل هو في هذا الموضع بالذات، أي بعد صلاة "ضع يارب على عبديك إكليل النعمة ...".

الترتيب الثاني لوضع الأكاليل على رأس العروسين

وهذا الترتيب هو طبقاً لما أورده مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس)، و مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس).

وهو نفس المراحل الطقسيَّة للترتيب الأول، ولكن بتسلسل مختلف، حيث يبدأ هذا الترتيب بالبنود (٥، ٧) كما في الترتيب الأول - حيث لا وجود للبند (٦) في هذا الترتيب الثاني - ثم ترد البنود (١، ٢، ٣، ٤) كما في الترتيب الأول.

أي أن ملخَّص المراحل الطقسيَّة لهذا الترتيب الثاني هي:

★ صلاة: "ضع يارب على عبديك إكليل النعمة ...".
★ الصلاة الربانيَّة وتحليل الابن.
★ يضع الكاهن يده على رأس العريس ويقول: "باسم الآب والابن ... بالمجد والكرامة كلله ...". ويرد الشعب "أكسيوس ...".

★ البركة على رأس العريس "الذي بارك أبانا آدم ونوح ...".
★ البركة على رأس العروسة، فيقول الكاهن "الذي بارك أبانا آدم وحواء ...".
★ يقولون المرد: "إكليل ذهب. إكليل فضة. إكليل جوهري. أللليلويا، أللليلويا، أللليلويا، المجد هو لإلهنا".

وهنا نورد الاختلافات الطقسيَّة الأساسيَّة بين الترتيبين الأول والثاني.

- في الترتيب الأول يصير وضع الإكليل على رأس العريس أولاً، مع الصيغة السحيقة في القدم: "بالمجد والكرامة كلله ...". وهو نص ليتورجي يأتي بصيغة المفرد، ويُقصد به العريس وحده. ثم يوضع الإكليل على رأس العروسة بعد ذلك مع ترديد صلاة البركة الخاصة بها "الذي بارك أبانا آدم وحواء". أما في الترتيب الثاني فيوضع الإكليلين على رأسي العروسين في نفس الوقت، مع ترديد صلاة: "ضع يارب على عبديك إكليل النعمة غير المغلوبة ...".

- في كلا الترتيبين الأول والثاني تأتي الصلاة الربانيَّة والتحليل بعد صلاة "ضع يارب على عبديك ..." مباشرة. وهو ما يثبت أن وضع هذه الصلاة في مرحلة متأخرة كما في الترتيب الأول هو الأكثر دقة، إذ تكون صلاة التحليل دائماً في النهاية وليس في البداية.

- في الترتيب الثاني بعد أن صار وضع الأكاليل على رأس العروسين معاً مصحوباً بصلاة "ضع يارب على عبديك ..."، جاءت الصيغة القديمة "بالمجد والكرامة كلله ..." غير ذي معنى، إذ تم وضع الإكليل على رأس العريس، ومن ثمَّ اضطر الكاهن أن يضع يده على رأس العريس اللابس الإكليل فعلاً ليقول هذه الصلاة: "بالمجد والكرامة كلله ...".

ففقدت هذه الصيغة صفتها الأساسيَّة باعتبارها الصيغة الرسميَّة المصاحبة لوضع الإكليل على الرأس. وهذا يثبت مرة أخرى أن الترتيب الأول هو الترتيب الأكثر دقة والمتماشي مع نصوص الصلوات الليتورجيَّة ومضمونها.

ما أورده القمص فيلوثاؤس إبراهيم في كتابه "رتبة الإكليل الجليل"

والآن علينا أن نراجع ما دوَّنه القمص فيلوثاؤس إبراهيم في كتابه "رتبة الإكليل الجليل" الذي طبعه للمرة الأولى سنة ١٨٨٨م. ونهتم بهذا الكتاب دون غيره لأنه الكتاب الطقسي الذي نقلت عنه كل الكتب المطبوعة التي أتت من بعده.

لقد أورد الكتاب المذكور في طقس وضع الأكاليل على رأس العروسين مزيجاً غير متجانس من الترتيبين الأول والثاني السابق ذكرهما، كما شرحتهما المصادر الطقسيَّة القديمة والمخطوطات المتوفرة لدينا.

فتأتي صلاة "ضع يارب على عبديك إكليل نعمة ..."، مسبوقة بتنبيه طقسي يقول: "يضع الكاهن الأكاليل عليهما، ويقول ..."، وهو في ذلك يتبع الترتيب الثاني السابق ذكره.

ولكنه يذكر بعد ذلك مباشرة ما يلي:

"يضع الكاهن اللمط أي الحلة عليهما ويرشهما بالصليب ويقول: كللهما بالمجد والكرامة أيها الآب، آمين. باركهما أيها الابن الوحيد، آمين. قدسهما أيها الروح القدس. آمين".

فلا مجال هنا لطقس لبس حُلة العُرس. إذ سبق أن لبسها العريس في نهاية صلوات عقد الأملاك، أو بالحري قد بدأت صلوات الإكليل وحُلة

العُرس عليه. أما العروسة فليس لها حلة عُرس، بل يغطي رأسها نمط أبيض أو عرض أبيض أو طرحة بيضاء منذ بدء صلوات الإكليل، كما ذكرت كل المصادر الطقسيَّة القديمة، والمخطوطات أيضاً.

فالترتيب الثاني الذي انتهجته المخطوطات في إيرادها لهذه الصيغة الليتورجيَّة الهامة، أنها ذكرت بأن الكاهن يضع يده على رأس العريس، وعلى رأس العريس خصيصاً، ثم يقول هذه الصيغة.

فالكاهن اليوم حين يقول: "كلّلهما بالمجد والكرامة ..." لا يمارس تكليلاً فعلياً لهما، أي وضع أكاليل على رأسيهما، إذ سبق أن أجرى ذلك من قبل، ومن ثمَّ فهو يلبسهما حُلة العُرس. وليس للعروسة حُلة للعرس، بل طرحة فحسب.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القمص فيلوثاؤس إبراهيم الذي أورد طقس الإكليل في كتابه "رتبة الإكليل الجليل" كاملاً على نمرين واحد قبطي والآخر عربي. عندما وصل إلى هذه الصيغة الليتورجيَّة القديمة دوَّنها باللغة العربيَّة فقط. ولكن بترجمة عربيَّة لا تتوافق مع الأصل اليوناني لها. إذ ذكرها هكذا:

"كللهما بالمجد والكرامة أيها الآب آمين، باركهما أيها الابن الوحيد آمين. قدسهما أيها الروح القدس. آمين".

ولأن الفارق كبير بين النص الصحيح لهذه الصيغة القديمة وبين النص الذي أورده كتاب "رتبة الإكليل الجليل" لذا لزم التنويه. فالنص الأصلي لهذه الصيغة يشرح - بغاية الوضوح - أن المسيح نفسه له المجد هو الذي يكلل العريس، ويضع إكليلاً على رأسه، بمباركة الآب وتقديس الروح القدس. فهي إذاً ليست طلبة إلى الثالوث القدُّوس، بل فعل

سرائري بجريه الثالوث القدُّوس الآن بوساطة الكاهن خـــادم الأســـرار. فالمسيح نفسه هو الذي يتمم أسرار الكنيسة بواسطة الكـــاهن، المســـيح نفسه هو الذي يعمِّد. المسيح نفسه هو الذي يناول المؤمنين به جســـده المقدَّس ودمه الكريم. المسيح نفسه هو الذي يكلل العريس وعروســـته. المسيح نفسه هو يقيم خداماً وكهنة لخدمة كنيسته، المسيح نفســـه هـــو وحده عريس الكنيسة، والأسقف في الكنيسة هو صديق العريس.

وإنّ رفع هذه الصيغة القديمة "بالمجد والكرامـــة ..."، مـــن هـــذا الموضع الذي حُشرت فيه في كتاب "رتبة الإكليل الجليل"، مع تعـــديل التنبيه الطقسي لها، بوضع يد الكاهن على رأس العريس، وليس إلباســـه حُلة العُرس. يكون التسلسل الذي يورده كتاب "رتبة الإكليل الجليل" متمشياً مع الترتيب الثاني السابق ذكره لطقس وضع الأكاليل.

ثم يورد كتاب "رتبة الإكليل الجليل" ما يلي:

يقول المرتلون: "أكسيوس[٣] العريس ومعينته. ثم تقال هذه المديحـــة بلحن آدام: أكاليل لا تبلى ...". ثم الصلاة الربانيَّة والتحليل وصـــلاة بركة على العريس وأخرى على العروسة. ولم يورد الكتاب المذكور المرد الذي ذكرته كل المخطوطات مع البابا غبريال الخامس وهو: "إكليل ذهب. إكليل فضة. إكليل جوهري. أللیلویا، أللیلویا، أللیلویا، المجد هو لإلهنا".

وبذلك نكون قد انتهينا من طقس وضـــع الأكاليـــل علـــى رأس العروسين في التقليد القبطي. وجدير بالذكر أنه لا توجد قراءات كتابيَّة عند وضع الإكليل على رأس العروسين في الطقس القبطي، أما الطقـــس الأرمني فلديه ثلاث قراءات في تتميم هذا الطقس[٥٣]. كما أن البركة التي

٥٣- وهي: هوشع ١٤:٦-٨ ؛ رسالة تيموثاوس الأولى ٢:٩-١٥ ؛ إنجيـــل ق. يوحنا ٢:١-١١ (Cf. P. Jounel, *op. cit.*, p. 607).

تقال على رأس العروسين تأخذ صيغاً مختلفة في كافة الطقوس الشرقيَّة، تبعاً لطبيعة كل طقس. ومن أغنى هذه الصيغ ما يقوله الطقس السرياني الشرقي (الأشوري)، إذ يرد فيه صيغة منسوبة للقدِّيس أفرآم السرياني (٣٠٦- ٣٧٣م)، قد احتفظت بصدى صلاة البركة التي كان يقولها سابقاً الآباء البطاركة إبراهيم واسحق ويعقوب على رؤوس أولادهم. وفيما يلي إحدى نصوص الصلوات التي يقولها الكاهن بينما يضع يده على رأس العريس.

"أيها العريس، إذ تحني رأسك أمام الكهنة، فليرفع المسيح ربنا رأسك، ويوفقك في هذا الدهر وفي الآتي، وليدبر المسيح حياتك ويبارك أعمالك. ولتكن مواردك وفيرة كفيضان نهر دجلة، وليعطك القدرة لتنمو وتحمل ثمراً من كل نوع كنهر الفرات بين الشعوب. وليحفظك في الظلمة ليلاً ونهاراً بصليب من نور، ويوفق بيتك ويجعلك دائم الفرح، هادئ النوم، مستيقظاً في اغتباط، وتجني السعادة طوال يومك، وتجد راحة كل حين".

أما البركة التي تختص بالعروسة فيقول الكاهن فيها:

"... ليكن من أبنائها، ثمرة أحشائها، كهنة وشمامسة. وليكن زوجها في فرح غامر، وليكن والداها مبتهجين. فليسترح يارب أبناؤها على ركبتيها طائعين لمشيئتها"(٥٤).

الصلاة الربانيَّة والتحاليل

يقولون أبانا الذي في السموات، ويقول الكاهن الثلاثة تحاليل، والصليب على رأس العريس والعروسة ويديه مخالفتين على رأسيهما مثال

54- P. Jounel, *op. cit.*, p. 607.

الصليب كما خالف أبونا يعقوب إسرائيل يديه على رأس ولدي ابنه يوسف. وبعد تحليل الابن (التحليل الثالث) يقول الوصية للشرق ...[٥٥].

الوصية التي تقال للعروسين في نهاية صلوات سرّ الزّيجة.

وهي وصية طويلة ذكرها القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) بنصها كاملة باللغة العربيَّة فقط، مع المرادات المصاحبة لها. وعن النص العربي الذي أورده أبو البركات نقلت كل المصادر الطقسيَّة التي أتت من بعده. وهي تبدأ بعبارة: "المجد لله الدائم قبل كل الدهور ...".

ولكي نتتبع المراحل التي عبرت عليها هذه الوصيَّة الختاميَّة حتى آلت إلى ما نعرفه عنها اليوم، سنورد فيما يلي خلاصة ما ذكره القس أبو البركات عنها في اثني عشر بنداً كما ورد في الجزء الثاني (مخطوط) من كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"، باعتباره أقدم مصدر معروف لدينا اليوم عن هذه الوصيَّة الختاميَّة، ثم نورد ما ورد من إضافات أو تعديلات عليها حتى صارت لما هي عليه الآن.

وصية العروسين عند القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م):

١- "المجد لله الدائم قبل كل الدهور ... وله المجد والشكر والسبح إلى أبد الآبدين آمين".

٢- هنا يقول المرتلون: ⲭⲉ ⲧⲁⲥⲓⲣⲏⲛⲏ ⲁⲛⲟⲕ ...
"سلامي أنا الذي أخذته من أبي، أنا أتركه معكم، من الآن ...".

٥٥- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٣١

٣- "سلام سيدنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد دائماً الذي أعطاه لتلاميذه الأطهار في علية صهيون يكون معكما ... وقال بولس الرسول أيتها النساء اخضعن لأزواجكن مثل خضوعكن للرب جل اسمه، ويأمر بمحبة الرجل لزوجته مثل محبة سيدنا المسيح لبيعته وبذل نفسه دونها.

٤- والآن فقد حضرتما في هذه الساعة المباركة قدام مذبح الرب المقدَّس، وجمعتكما هذه الزِّيجة الروحانيَّة والإكليل السمائي ... فيجب عليكما أن يعرف بعضكما حق بعض ويخضع كل منكما لصاحبه.

٥- يجب عليك أيها الولد المبارك والأخ الحبيب المؤيد بنعمة الروح القدس أن تتسلم زوجتك في هذه الساعة المباركة".

٦- هنا يقول المرتلون: "هذا وقت البركة ... إلى آخرها".

Ϥναϯⲙⲁⲥⲧⲟϥ ⲛⲉϥⲁⲓ ...

٧- بنية خالصة ونفس طاهرة وقلب سليم ... ويحسن لك العاقبة في الدنيا والآخرة.

٨- هنا يقول المرتلون: "اسمعي يا ابنتي واصغي سمعك ... فإن الملك قد اشتهى حسنك، وهو سيدك".

Cⲱⲧⲉⲙ ⲧⲁϣⲉⲣⲓ ⲛⲁϯ ⲣⲉⲕⲛⲉⲙⲁϣϫ ...

٩- وأنت أيتها الأخت المباركة السعيدة قد سمعت ما أوصي به رجلك، فيجب عليك أن تزيدي في طاعته على ما أوصيت به أضعافاً ... فإذا أنت سمعت ما أوصيت به واتبعت ما أُمرت به أخذ الرب بيدك ووسع في رزقك، وأحل البركات في منزلك، ويرزقك أولاداً مباركين.

١٠- كذلك يبارك الله عليك أيها الأخ وعلى زوجتك ... ويوفق

بينكما ويجعل المحبَّة الروحانيَّة في قلبيكما ... ويرزقكما العمر الطويل والحياة الهانئة ويرزقكما أولاداً مباركين.

١١- وإياه نسأل أن يتقبل منا صلوات هذا الإكليل المبارك ... بشفاعة الست السيدة الطاهرة والدة الخلاص، وجميع الشهداء الأبرار والقديسين الأطهار آمين. بقولنا أجمعين.

١٢- ويقال كيريياليسون والبركة وقانون الصليب

Χερε ⲧⲱⲉⲗⲉⲧ ⲉⲧⲉⲣⲟⲩⲱⲓⲛⲓ...

هذا هو ما يذكره القس أبو البركات عن الوصيَّة ومراحلها الطقسيَّة والمردات التي تتخللها. فالبند الأول هو مقال طويل في صفات الله وإعطائه المجد والشكر والتسبيح. ولكي ينتقل الكاهن من مخاطبة الله (في البند الأول) إلى مخاطبة العروسين (في البند الثالث)، فقد تخلل هذين البندين مرد (هو البند الثاني)، وجاءت كلماته متوافقه مع بدء ما يقوله الكاهن في البند الثالث.

أما البندان الرابع والخامس فقد انتقل فيهما الكاهن لمخاطبة العريس بمفرده مباشرة دون مرد يفصل بين مخاطبته للعروسين وبين مخاطبته للعريس بمفرده. والبندان الخامس والسابع هما وصية متصلة للعريس بمفرده، ولكن قطعها مرد "هذا وقت البركة ..." (البند السادس) عقب قول الكاهن للعريس أن يتسلم عروسته في هذه الساعة.

البند الثامن هو مرد يُقال كمقدمة لوصية العروسة وهي الوصيَّة التي تستغرق البند التاسع.

والبندان العاشر والحادي عشر هو عودة لمخاطبة كل من العروسين معاً ومنحهما البركة لتحل المحبَّة الروحانيَّة في قلبيهما، ويرزقهما أولاداً

مباركين. وفي النهاية يسأل الكاهن الرب أن يتقبل صلوات الإكليل المبارك.

أما البند الثاني عشر فهو ختام الوصيَّة حيث تُختم بقانون الصليب، ويبدو أنه القانون الذي كانت تُختم به كل الصلوات في ذلك الوقت. وبانتهاء قانون الصليب يتوجه العريس إلى الهيكل لتبدأ خدمة قدَّاس السرائر ويقولون قدامه مرد: "مبارك الآب والابن والروح القدس ...".

وصية العروسين عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م):

ذكر البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) بضع كلمات منها، لكنه ذكر تفصيلاً طقس ترديدها والمردات المصاحبة لها بنصها كاملة. ولكي لا يتوه القارئ بين تفصيلات فرعية كثيرة سنلتزم بالبنود التي سبق ذكرها عن هذه الوصيَّة عند ابن كبر ثم توضيح ما لحقها من تطور بعد ذلك.

★ ذكر البابا غبريال أن البند الأول يقوله الكاهن إلى جهة الشرق.

★ البند الثاني كان مرداً واحداً أضاف إليه البابا غبريال مرداً ثانياً:
Πογρο ντε ϯειρινι ...
"يا ملك السلام، أعطنا سلامك، قرر لنا سلامك، واغفر لنا خطايانا".

★ يذكر البابا غبريال أن البند الثالث يقوله الكاهن إلى جهة الغرب.

★ التزم البابا غبريال الخامس بموقع المرد الذي ورد في البند السادس معترضاً وصية العريس - كما ذكر ابن كبر تماماً - وأورد نص المرد

كاملاً وهو:

ⲫⲛⲁⲧⲙⲡⲓⲥⲙⲟⲩ ⲡⲉ ⲫⲁⲓ . ⲫⲛⲁⲧ ⲙⲡⲓⲥⲟⲟⲓⲛⲟⲩϥⲓ ⲡⲉ ⲫⲁⲓ ...

"هذا وقت البركة، هذا وقت البخور المختار، هذا وقت تسبيح مخلّصنا، محب البشر الصالح[٥٦]. البخور هو من ولدته مريم. البخور الذي في أحشائها غفر لنا خطايانا. البخور هو يسوع[٥٧]. الشاروبيم يسجدون له. قدوس الرب في الألوف، ومكرَّم في الربوات. أنت هو البخور يا مخلّصنا، لأنك أتيت وخلصتنا. ارحمنا".

★ أورد البابا غبريال النص الكامل للمرد الذي يسبق وصية العروسة في البند الثامن، بالقبطيَّة والعربيَّة، وهو:

ⲥⲱⲧⲉⲙ ⲧⲁϣⲉⲣⲓ ⲁⲛⲁⲩ ⲣⲉⲕⲛⲉⲙⲁϣ ...

"اسمعي يا ابنتي وانظري، وميلي بسمعك، وانسي شعبك وبيت أبيك، فإن الملك قد اشتهى حسنك، لأنه هو ربك"..

"كل مجد ابنة الملك من داخل.... أللیلویا أللیلویا أللیلویا، المجد لإلهنا"[٥٨].

★ في وصية العروسة في البند التاسع ذكر البابا غبريال الخامس عبارة "الابنة المباركة السعيدة" بدلاً من عبارة "الأخت المباركة السعيدة" التي وردت عند القس أبو البركات. لكنه أضاف أنه وقت الدعاء يقولون

٥٦- عند هذا الحد توقفت كتب الطقس المطبوعة، في حين يورد البابا غبريال نص المرد كاملاً باللغة القبطيَّة فقط.

٥٧- بعد كلمة "يسوع" يورد البابا غبريال الخامس كلمة **ⲁⲙⲱⲓⲛⲓ** (أمويني) أي "تعالوا"، أو "هلمَّ"، وربما كانت هذه الكلمة هي بداية لنشيد أو مرد معروف لديه، فلم يدوِّنه كتابة. (انظر: البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٣١).

٥٨- هذا الربع الذي أورده البابا غبريال الخامس لم يرد في كتب الطقس المطبوعة، وقد أورد كتاب "رتبة الإكليل الجليل" الربع التالي بدلاً منه: "اسمعي يا عروسة وافهمي، وميلي بسمعك، لأن الختن قد اشتهى صلاحك، لأنه رجلك فيجب أن تطيعيه". وعنه نقلت الكتب التي أتت من بعده.

آمين. أما الكتاب المطبوع فذكرها: "الابنة المباركة، العروسة السعيدة".

★ في البند الثاني عشر ذكر البابا غبريال أنه تقال "كيرياليسون" ٢٤ مرة، بينما يكون الكاهن رافعاً الصليب. ثم يرتلون القانون الذي أورد أول كلمتين قبطيتين منه فقط.

Χερε ⲧⲯⲉⲗⲉⲧ ...

"السلام للعروسة المضيئة ...".

★ يضيف البابا غبريال الخامس شارحاً البند الثاني عشر بقوله: "وفي ضمن ذلك يقول الكاهن البركة على رؤوس العرايس بالصليب مثلما يقول في تحليل الابن، ويديه مخالفة. ثم يبارك على العروسة ويطلقها تستريح".

وهكذا يتفق كل من القس أبو البركات مع البابا غبريال الخامس في كل ما ورد عن الوصيَّة باستثناء إضافة مرد واحد، فضلاً عن التنبيهات الطقسيَّة الدقيقة التي يوردها البابا المذكور. أما فيما يختص بالبند الحادي عشر وهو عن طقس دخول العريس إلى الهيكل، فقد تضخَّم واتسع ولحقه موكباً إحتفالياً للعريس يطوف أرجاء الكنيسة قبل دخوله الهيكل، ومن ثمَّ أضيفت ألحان ومردات جديدة لتغطي هذا التطور الطقسي.

وصية العروسين في المخطوطات الأخرى

لم يورد مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) هذه الوصيَّة الأخيرة، أما مخطوط القرن الـ ١٩ (١٩٧ طقس)، فقد أوردها طبقاً لما جاء عند القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) بكل دقة. أما مخطوطا القرن الـ ١٩ (١٩٤طقس، ١٩٥ طقس) فبعد أو أوردا طقس الإكليل حتى نهايته وانصراف العروسين من الكنيسة، يضعان عنواناً هو: "وصية تقرأ

على العريس بعد الإكليل". ويوردان المردان اللذان أوردهما البابا غبريال الخامس في البند الثاني. أما لحن ⲫⲛⲁⲩ ⲙⲡⲓⲥⲙⲟⲩ ⲡⲉ ⲫⲁⲓ "هذا وقت البركة ..."، فقد أورداه قبل بدء وصية العريس في البند الخامس، وليس في أثنائها كما عند ابن كبر والبابا غبريال الخامس. وعدا ذلك تتفق المخطوطات مع ما ذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م).

وصية العروسين في كتاب "رتبة الإكليل الجليل":

- بعد انتهاء الجزء الأول من الوصيَّة كما في البند الأول، يورد الكتاب المذكور في مكان البند الثاني مرداً مخالفاً لكل ما ذكرته المصادر الطقسيَّة السابق ذكرها، إذ يورد المرد: "الشاروبيم يسجدون له، والسارافيم تمجده ...". فجاء هذا المرد غير متناغم مع ما يقوله الكاهن في بداية البند الثالث وهو: "سلام سيدنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ...".

- بعد البند الثالث يورد المرد: "سلامي أنا الذي أخذته من أبي ..."، في ربع واحد.

- في البند الرابع أجرى الكتاب المذكور تعديلاً مجحفاً بقوانين الكنيسة إذ ذكر ما يلي: "والآن قد حضرتما في هذه الساعة المباركة (**إن كان الإكليل في الكنيسة قل**) قدام هيكل الرب الصباؤوت، ومذبحه المقدَّس. (**وإن كان في البيت قل**) **في هذا المحفل الأرثوذكسي** ...". وهو ما لم تذكره كتبنا الطقسيَّة ولا مخطوطاتنا على مدى مئات السنين، ومع الأسف فقد نقلت كتب الطقس المطبوعة بعد سنة ١٨٨٨م، هذا الخلل دون الرجوع إلى مصادرنا الطقسيَّة القديمة التي ظل كاتبوها ينسخونها كلمة كلمة بكل أمانة ودقة طوال القرون الماضية.

– بعد نهاية البند الرابع يورد الكتاب المذكور مرد: "يا ملك السلام أعطنا سلامك ..."[٥٩]. فجاء هذا المرد في هذا الموقع غير متناغم مع نص الوصيَّة في هذا الجزء منها. أما إضافة البابا غبريال الخامس لهذا المرد الثاني فقد كان محبوكاً حبكة طقسيَّة روحيَّة مبدعة، إذ يرد المرد الأول بقول الرَّب يسوع: "سلامي أنا الذي أخذته من أبي أنا أجعله معكم من الآن وإلى الأبد"، فيأتي المرد الثاني مجيباً على هذا المرد الأول: "يا ملك السلام أعطنا سلامك ..."، فيقول الكاهن معقباً: "سلام سيدنا ... يسوع المسيح الذي أعطاه لتلاميذه الأطهار في علية صهيون يكون معكما وحالاً عليكما ...". إن طقسنا القديم هو طقس بديع حفظته مخطوطاتنا الكثيرة.

– أغفل الكتاب المذكور ذكر لحن ⲫⲛⲁⲩⲙⲓⲥⲓⲟⲩ ⲡⲉ ⲫⲁⲓ "هذا وقت البركة ..." الذي يُقال لحظة تسلُّم العريس لعروسته[٦٠]، وهو اللحن الذي يرد في البند السادس في داخل وصية العريس، أو في بدايتها كما ذكرت بعض المخطوطات، وأرجأه إلى ما بعد البند العاشر، أي في ختام الوصيَّة، فأفقد لحظة تسلُّم العريس لعروسته من الكنيسة بهجتها الطقسيَّة مما دفع بعض مرتلي الكنائس الأفاضل بإضافة ما يروق لهم من مردات لتدعيم هذه اللحظة الطقسيَّة التي كان يملأها اللحن السابق ذكره "هذا وقت البركة ...". وهو اللحن الذي يأتي في نهايته "الشاروبيم يسجدون له ...".

– استبدل الكتاب المذكور الربع الثاني من المرد المذكور في البند الثامن، بربع آخر هو: "اسمعي يا عروسة وافهمي، وميلي بسمعك، لأن

٥٩– وهو المرد الذي ذكره البابا غبريال الخامس لاحقاً للمرد المذكور في البند الثاني.

٦٠– عن هذا الطقس اقرأ الصفحات القادمة.

الختن قد اشتهى صلاحك لأنه هو رجلك، فيجب أن تطيعيه"، فلم يأت بجديد، بل أعاد نفس نص الربع الأول من هذا المرد. أما مصادرنا الطقسيَّة فقد أوردت هذا الربع الثاني "كل مجد ابنة الملك من داخل ..."، ولست أجد مبرراً لتبديل هذا الإبداع الطقسي القديم بطقس بديل أو بمرد بديل أضعف كثيراً من المرد الأصلي القديم.

- يذكر القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في وصية العروسة في البند التاسع عبارة: "... لأن الله تعالى فضَّله عليك!"، ولأن الكتاب المقدَّس يعلِّم أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرَّجل في الرَّب، فإن الكتاب المطبوع قد ذكر هذه العبارة هكذا: "لأن الله تعالى أوصاك بالخضوع له".

- في نهاية وصية العروسة التي وردت في البند التاسع يورد الكتاب المذكور مرد: "يا ملك السلام ..." مرة أخرى وقد سبق إيراده من قبل، وبدون علاقة تربط بين كلمات المرد وبين ما يقوله الكاهن.

- في ختام الوصيَّة في البند الحادي عشر لم يكتف الكتاب المطبوع بما أورده القس أبو البركات عنه، بل زاده طولاً بقوله: "بشفاعة سيدتنا كلنا وفخر جنسنا السيدة العذراء الطاهرة والدة الخلاص الزكية المفضلة على سائر جنس البشر، القديسة مريم النقية، والشهيد المكرم المختار مرقس الإنجيلي الرسول، وكافة الشهداء الأبرار والقديسين الأطهار، آمين". وقد أغفل الكتاب المطبوع المرد الذي يقوله الشعب في نهاية هذه الطلبة وهو "آمين"، وهو المرد الذي أشار إليه ابن كبر والبابا غبريال الخامس وهو: "بقولنا أجمعين: (آمين)".

- لقد حاول الكتاب المذكور أن يقسِّم الوصيَّة إلى أقسام نظراً

لطولها، وذلك بأن يضع في نهاية كل قسم منها مرداً يفصل بين هذه الأقسام وبعضها البعض، فكان غرضه مقبولاً. في حين أغفل مرداً أساسياً في لحظة تسليم العروسة لعريسها من قبل الكنيسة بواسطة الكاهن.

- ويختتم كتاب "رتبة الإكليل الجليل" الوصيَّة الختاميَّة للعروسين بالصلاة الربانيَّة حيث يقول الكاهن البركة أما المرتِّلون فيقولون القانون: "السَّلام للعروسة المضيئة ...". وتعبير "القانون" هو مصطلح طقسي يعني قانون ختام الصلوات، وهو نفس ما يورده كتاب "رتبة الإكليل الجليل" في طبعته الأولى سنة ١٨٨٨م، حين يذكر: "وليقل الكاهن البركة، أما الخوروس فيقول هذا القانون ..."، ولكنه لم يكمله. أما نفس الكتاب في طبعته الثانية سنة ١٩٠٢١م، فقد تدارك الموقف وأكمل القانون بإيراده الذكصا الختاميَّة. ولكن كتاب "صلوات الخدمات" المطبوع سنة ١٩٧١م وضع له عنواناً غير متناسب مع مضمونه هو: "نشيد للعذراء"، ومن ثم فقد سقط هذا القانون من طقس الإكليل كختام لصلواته.

- ولم يشر كتاب "رتبة الإكليل الجليل" إلى بدء القدَّاس الإلهي عقب الإكليل كما ذكرت كل المصادر الطقسيَّة القديمة.

- وإذ أغفل الكتاب المذكور أي تنبيهات طقسيَّة تشرح طقس خروج العروسين من الكنيسة بعد انتهاء صلوات الإكليل، فقد أفسح المجال لممارسة ما تراه كل كنيسة مناسباً لظروفها. فبعض الكنائس الآن تفتح باب الهيكل في نهاية صلوات الإكليل لكي يسجد العروسين أمامه بعد تغطية يدي العروسين بلفافة، وهو تعبير رمزي عن طقس اندثر، وهو طقس مناولة العروسين من الجسد المقدَّس والدم الكريم بعد انتهاء القدَّاس.

أما الطقس السرياني فيحتفظ بتطواف الزفاف في كامل أبهته، ويتم بعد الإكليل، حيث ينتهي بالعروسين إلى صالة المأدبة[٦١].

وفي الطقس البيزنطي وفي ختام الخدمة يتشابك الزوجان بأيديهما، ويقودهما الكاهن الذي يحمل الصليب[٦٢]، مظهراً لهما بذلك الطريق الذي يجب أن يسيرا فيه، وكل المسيحيِّين معهما أي طريق الصليب. ويدور بهما ثلاث دوات حول المائدة الموضوعة في الوسط. والدورات الثلاث بشكلها هذا ترمز لطبيعة الزَّواج كرباط في المسيح تأخذ بدايتها الآن ولكنها تمتد أبداً[٦٣].

تسليم العروسة لعريسها

إن طقس تسليم العروسة لعريسها بوضع يدها في يده هي عادة قديمة ذكرها العهد القديم، إذ أن راعوئيل لما أراد أن يزوِّج طوبيا الصغير أخذ يمنى ابنته سارة وسلمها ليمنى طوبيا وقال: «إله إبراهيم وإله يعقوب يكون معكما وهو يقرنكما ويتمم بركته عليكما».

وفي مصر ومنذ نهاية القرن الرابع، كان حق تسليم العروسة للعريس وضم أيديهما محفوظاً للأسقف أو الكاهن[٦٤]. وهنا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، كما أن المسيح ترك أباه تدبيرياً وأتى إلى العالم ليتحد بكنيسته. وفي ذلك يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:

[أرى المسيح كأنه قد ترك أباه السماوي ليتحد بالكنيسة

٦١- هنري داليس، الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ص ١٥٨

62- P. Jounel, *op. cit.*, p. 606.

63- Davis, J.G., A Dictionary of Liturgy and Worship, p. 258

٦٤- هنرى داليس، الطقوس الشرقيَّة، مرجع سابق، ١٤٩

عروسته. فأنت يجب عليك أن تتحد بامرأتك لأنك صرت معها جسداً واحداً].

ويخاطب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) العروسين قائلاً:

[لقد أصبحتما الآن واحداً، مخلوقاً حياً واحداً](٦٥).

ويؤيد القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩- ٣٩٧م) هذه الحقيقة فيقول:

[إن الله أخذ ضلعاً من آدم وعمله امرأة، لكي يرجع ويربطهما مرة أخرى، ويصبحان جسداً واحداً](٦٦).

والكنيسة الأنطاكيَّة توجه الخطاب إلى العروسين قائلة: "أيها المسيح العريس الحقيقي اختم زواجك بحق بحبك. فكما تجد مسرتك في كنيستك، تستطيع أن توجد المسرة من الواحد في الآخر".

القدَّاس الإلهي الذي يعقب الإكليل

والآن وبختام صلوات الإكليل تعود العروسة إلى بيت النساء في الكنيسة بمفردها ويبقى العريس واقفاً أمام باب الهيكل المفتوح حيث يبدأ القدَّاس الإلهي.

ويقول القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م): وعند دخول العريس إلى الهيكل لقداس السراير يقرأون قدامه: ⲭⲉ ⲉϥϣⲁⲣⲡⲟⲩⲱⲧ ... "لأنه مبارك الآب والابن والروح القدس ...".

٦٥- البابا شنودة الثالث، مرجع سابق، ص ٥٥

٦٦- نفس المرجع، ص ٥٦

ثم يورد فصول القراءات التي تقال في القدّاس الذي يعقب الإكليل، ويتفق معه في ذلك مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) الذي أورد نفس الفصول، وهي كما يلي:

- فصل البولس: «أسألكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم إليها ...» (أفسس ٤:١-٧).

- فصل الكاثوليكون: «فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يزين أنفسهن خاضعات لرجالهن ...» (١بطرس ٣:٥-٩).

- فصل الإبركسيس: «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ... » (أعمال ٤:٣٢-٣٥).

- المزمور: «١يارب بقوتك يفرح الملك. وبخلاصك يتهلل جداً. ٣لأنك أدركته ببركات صلاحك. ووضعت على رأسه إكليلاً من حجر كريم» (مزمور ٢٠:١، ٣).

- فصل الإنجيل: «وفي اليوم الثالث كان عُرس في قانا الجليل ...» (يوحنا ٣:١-١١).

تمت وصايف إكليل الأبكار، والمجد لأب الأنوار[٦٧].

وجدير بالملاحظة أن فصول القراءات التي يذكرها القس أبو البركات ومخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) قد حلت محل فصول قراءات الآحاد، وهو اليوم الوحيد في أيام الأسبوع الذي كان الإكليل يقام فيه.

٦٧- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

وهذه الفصول عينها قد أوردها كتاب "رتبة الإكليل الجليل" في طبعته الأولى سنة ١٨٨٨م، ولكن الطبعة الثانية لنفس الكتاب والتي كانت سنة ١٩٢١م، قد أغفلتها. وكذلك لم يشر إليها كتاب "صلوات الخدمات" الواسع الانتشار، والذي طبع سنة ١٩٧٠م، والطبعات التالية له.

أما البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) فهو يكمل ما لم يذكره القس أبو البركات، حيث يقول: "... ثم يبارك (الكاهن) على العروسة ويطلقها تستريح، ويعطي العريس الصليب في يديه، ويوقفونه في الشرق، ويقولون قدامه وبأيديهم الشموع Ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲙⲉⲛⲟⲥ (إفلوجيمينوس) أي "مبارك الآتي باسم الرب ..."[٦٨]. ثم يقولون بالناقوس ⲧⲁⲗⲓⲗⲉⲁ ⲑ (تي جاليلي آ) أي "جليلو الأمم الجالسون في الظلمة وظلال الموت أشرق عليهم النور العظيم"[٦٩]، وهم طائفين البيعة بالشموع إلى أن يصلوا إلى الهيكل، ويختموا ذلك.

ويبتدئوا بخدمة قدَّاس السرائر إن كان البطريرك حاضراً أو لم يكن حاضراً على جاري العادة في الأمرين. والعريس إن كان شماساً، وهو مستعد للخدمة، فهو الخديم، ويحمل الكأس. وإذا جاء وقت مرد الإنجيل يقولون مرد عُرس قانا الجليل: ... ⲉ ⲛⲉⲧⲣⲁⲡⲓⲁ ⲙⲙⲟⲟⲩ "ستة أجران ماء، حولتها خمراً مختاراً. من قبل مجدك العظيم. في عُرس قانا الجليل".

وإذا انتهى القدَّاس يزفون العروسة أولاً بلحن Ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ Ⲙⲁⲣⲓⲁ "السلام لك يا مريم ..." إلى باب البيعة، والعريس يوقفونه قدام باب الخوروس، ويقولون قدامه لحن Ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲙⲉⲛⲟⲥ "مبارك الآتي باسم الرب ..."، وبعدها ⲉⲩⲉⲓⲥⲙⲟⲩ ⲉⲣⲟⲛ "يباركنا كلنا ..."، وإن كان ثم

٦٨- الترجمة العربيَّة من عندي للتوضيح، وليست في الأصل الذي نقلتُ عنه.
٦٩- هي الربع الأول من القطعة السابعة من ثيؤطوكية الأربعاء.

مهل يقولون ⲁⲓⲣⲉⲥⲁⲛⲁⲉⲁ "جليلو الأمم ..." إلى باب البيعة. وبعد ذلك يتوجَّهون بسلام إلى منازلهم.

الرب يجعلها ساعة مباركة عليهم
تم وكمل[٧٠].

وبعد انتهاء الصلوات يتجه موكب العروسة إلى بيت الزوجيَّة وسط الهتاف والزغاريد، وهي عادات معروفة منذ القديم عند الأقباط ولاسيَّما في القرى، ونفس هذه العادات تسرى بين عائلات اليهود.

والطقس الأشوري يختتم صلوات الإكليل بالعبارة التالية: "تصطحب الزَّوجة الجديدة في موكب إحتفالي إلى بيت الزوجيَّة وسط أصوات الطرب، وهي مزينه بكل حليها، ووجهها مغطى بطرحة ثمينة. أما أعضاء أسرتها الجديدة فيخرجون لاستقبالها عند الباب حيث يلقون عليها الكثير من الزبيب والفاكهة والحبوب وبعض قطع النقد الصغيرة، كعلامة للتمنيات بحياة ملؤها الرحب والسعة"[٧١].

هذا هو طقس كنيستنا القبطيَّة، وهذه هي طقوس بعض الكنائس الشرقيَّة الأخرى. ولكن في النهاية لابد لنا من كلمة صدق، فقد تسللت إلينا — كما إلى غيرنا - عادات غريبة ذات طابع دنيوي طغت على أعراسنا طغياناً. فالمسرات بالسهر والإسراف والبذخ، والاستقبالات الفخمة التي هي معثرة للفقراء، وتزيين الكنائس وهي بدعة، لأن الكنيسة هي التي تزيننا نحن بأيقوناتها وألحانها وصلواتها وبخورها وأسرارها. وطغيان آلات التصوير والفيديو طغياناً مزعجاً مقلقاً للصلاة وهدوئها، كأن المهم لا أن تجري الصلاة في حضرة الله بل أن تُسجَّل للذكرى

٧٠- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٣٢، ٣٣

71- P. Jounel, *op. cit.*, p. 606.

والتاريخ. ناهيك عن انتهاك الحشمة وغلاء ثياب النساء وفحشها في كثير من الأحيان، وكأن الأعراس هي الوقت الأمثل لهتك طهارة العيون حتى في الكنيسة بيت الرب، وبيت الملائكة.

صحيح أن الحشمة قيمة إجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر، وترتبط بحضارته وثقافته، إلاّ أنها قيمة دينيَّة أيضاً، لأن وصيَّة القدِّيس بطرس الرسول الخاصة بزينة النساء هي وصيَّة دينيَّة قبل أن تكون إجتماعيَّة. وهل استثنت هذه الوصيَّة أيام أفراح المسيحيِّين وأعراسهم وحتى في الكنيسة أيضاً؟. ثم نعود ونتباكى على تفكك الأسرة المسيحيَّة وتفاقم مشكلاتها. وإن ما يزرعه الإنسان أياه يحصد أيضاً.

كل إنسان يسعى لأن يكون ذا مظهر جذاب، وهذا لا غُبار عليه. فالجاذبيَّة الشخصيَّة إحساس سيكولوجي وإجتماعي، يعبِّر عن إنسان ناضج واع مقبل على الحياة بإيجابيَّة، ومؤثر فيها. والمظهر الخارجي هو أحد وسائل الجاذبيَّة وليس كلها. ولكن الجاذبيَّة شئ والتبرُّج والخلاعة شئ آخر، سواء كانت في الملبس أو في التصرُّف. ومهما يكن من أمر فروح الإنسان وباطنه ينطبعان حتماً على وجهه وملامحه، ولا تستطيع الزينة الخارجيَّة أن تخفي عيب النفس وتشوُّه جمال الروح. وليكن كل شئ بلياقه وبحسب ترتيب، كقول الإنجيل.

ولدينا شهادة وثائقية منذ أواخر القرن الثامن الميلادي توضِّح كيف أصبحت مآدب المسيحيِّين – لاسيَّما في أعراسهم – مثل تللك التي لأهل العالم. فيقول القانون ٢٢ من قوانين مجمع نيقية الثاني[٧٢]:

"الذين يختارون حياة الزَّواج وإيلاد الأولاد والمعيشة العالميَّة لا

٧٢- هو أحد المجامع التي تعترف بها الكنيسة البيزنطيَّة.

جناح عليهم إذا أكل الرجال والنساء معاً، ولكنهم يجب أن يقدِّموا الشكر لله الذي يعطينا الغذاء. أما وجود الملاهي التمثيليَّة والأغاني الشهوانيَّة مرفقة بالعزف على الآلات وتلوي الأجساد بأنواع الرقص فيترل على المشتركين فيها اللعنة النبويَّة القائلة: «ويل للقائمين من الغداة في طلب المسكر المستمرِّين إلى العتمة والخمر تلهبهم، وفي مآدبهم الكنارة والعود والدف والمزمار والخمر ولا يلتفتون إلى أعمال الرب ولا يتأملون في صنع يديه» (إشعياء ٥:١١، ١٢). فحيثما وجد شئ من هذا النوع بين المسيحيين فليحسنوا سلوكهم لئلا يقعوا تحت القصاصات التي فرضها أسلافنا".

ونختم هذا الفصل بشذرة بسيطة من نصوص الصلوات الليتورجيَّة لسر الزِّيجة في الكنيسة السريانيَّة الأنطاكيَّة.

فهذه الكنيسة الأنطاكيَّة الشقيقة تجد في حفلة العُرس سعادة مسبقة تنتظر كل المشتركين في عُرس عشاء الخروف، فتقول واحدة من نصوص صلواتها: "اجعلنا مستحقين أيها الرب الإله أن نشارك في فرح وليمتك الأبديَّة، في بهجة خدرك غير المضمحل، في مسرة وليمتك غير الزمنيَّة، فلنكن فرحين مع المشاركين فيه، مبتهجين مع المدعوين إليه... ونسبحك بتسابيح المجد والشكر"[٧٣].

ومن النصوص الليتورجيَّة الأخرى لهذه الكنيسة أيضاً:

"أيها العريس السماوي الذي بحبه خطب لنفسه كنيسة الأمم غير الطاهرة، فطهَّرها وغسلها بصليبه، وجعل منها عروساً ممجَّدة، ودعا الأنبياء والرسل والشهداء إلى حفل عُرسه. لك المجد ...

73- P. Jounel, *op. cit.*, p. 608.

ليست عروسة مثل تلك التي تزوَّجها البكر، واقتناها لنفسه قبل كل شئ، وصنع عُرساً لها بموته. ولما صعد على الخشبة أحضرها لنفسه، وفتح جنبه وغسلها بدمه، فصرخت قائلة: قدوس قدوس قدوس أيها المساوي للآب.

أيتها الكنيسة المقدَّسة، كم أنت جميلة يا ابنة الأمم، كم أنت جميلة. تغنى بك سليمان الملك؛ شذى رائحتك كزهور الربيع، شفتاك تقطران عسلاً ..."(٧٤).

74- *Ibid.*, p. 607.

الفصل الرابع

رفع إكليل العريس

تمهيد وشرح

رفع إكليل العريس أو فك زنَّار العريس هو الطقس القديم الـــذي بموجبه كان يحق للعريس ويحل له أن يباشر زوجته مباشرة الأزواج، أي أنه الطقس الذي بعده يُسمح للعريس أن يدخل إلى خدر الزوجيَّة ليعاشر زوجته أي يجامعها. هكذا عاش المسيحيُّون مدققين إلى هذا الحد. لذلك ظل الزَّواج المسيحي زواجاً طاهراً مسبوقاً بصلوات كـــثيرة، وطلبـــات طويلة، وقراءات متعدِّدة من الأسفار المقدَّسة، فكل شئ يتطهَّر بالصلاة، فصار خدر الزوجيَّة طاهراً، لأنه بدون الطهارة لن يعاين أحـــد الـــرب كقول الإنجيل المقدَّس.

أما التسمية القديمة لهذا الطقس عند العامة فهي: "رفع الأكاليل"، أو ما صار يُعرف فيما بعد باسم "التجليسه". أما القس أبو البركـــات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) فيدعوه: "طقس رفع الإكليل عن رأس العريس". في حين أن البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) يدعوه "ترتيب حط الإكليل من على رأس العرايس في ليلة السبوع (الأسبوع)".

والتسمية التي يذكرها القس أبو البركات لهذا الطقس هي الأكثـــر دقة، فهو طقس رفع الإكليل عن رأس العريس على وجه التحديد، لأنه

بدراسة متأنية لطقس وضع الإكليل في صلوات الإكليل – في الفصل السابق – نجد أن الطقس كان ينحصر كلية وبتركيز شديد في وضع الإكليل على رأس العريس، ثم يأتي وضع الإكليل على رأس العروسة في مرحلة لاحقة، وبعد اكتمال طقس وضعه على رأس العريس أولاً. فالصيغة الليتورجيَّة القديمة جداً والمصاحبة لوضع الإكليل على الرأس، والتي يرددها الكاهن قائلاً: "بالمجد والكرامة كلله. الآب يباركه، الابن يكلله، والروح القدس يقدِّسه ويكمِّله" كانت مُنصبة على العريس وحده وليس على العريس وعروسته معه. في حين أن وضع الإكليل على رأس العروسة كان يصاحبه قول الكاهن: "الذي بارك أبانا آدم وحواء، وإبراهيم مع سارة، واسحق مع رفقة، يبارك هذا الزَّواج ...". فالعروسة تصبح ملكة بوضع إكليل على رأسها، بعد أن تكتمل مراسيم تتويج عريسها ملكاً. فهي ملكة بسبب أن عريسها قد صار ملكاً. وتتويج أي ملك تصاحبه حتماً مراسيم تتويجه، أما زوجته فتصبح ملكة بالتبعية لأنها زوجة الملك.

وفي مخطوط بالمتحف القبطي نقرأ عنوان هذا الطقس هكذا: "رفع الإكليل عن رأس العريس في اليوم السابع"[1].

أما أقدم إشارة لدينا عن هذا الطقس فنقرأها عند القس أبو البركات في كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" فيقول في ذلك: "... وما يلحتق (يُلحق) بهذا الباب **وأكثر الناس يهملونه**، وهو رفع الإكليل على (عن) رأس العريس في اليوم الثامن ..."[2].

1- MS. 362, Lit. of Coptic Museum, Old Cairo, fol. 120r.

٢- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

فكان اليوم الثامن من يوم الإكليل هو اليوم الذي يُمارس فيه هـــذا الطقس ليس في الكنيسة القبطيَّة فحسب، بل في الكنيسة اليونانيَّة أيضاً، ولذلك فهو يُسمى عندهم "صلاة رفع الأكاليل في اليوم الثامن"[٣].

Εὐχὴ ἐπι λύσιν στεφάνων τῇ ἁγδόη ἡμερᾳ

ليس هذا فحسب بل إن التقليد السرياني يعرف أيضاً هذا الطقـــس في اليوم الثامن، فحفل الزَّواج في الطقس السرياني الشرقي (الطقس الأشوري أو النسطوري) يستغرق أسبوعاً كاملاً، ويذكرنا بالمراسيم التي تحدَّث عنـــها هوشع النبي في الأصحاح الثالث. وربما أيضـــاً مـــا ورد عنـــها في ســـفر القضاة[٤].

فواضح أنه طقس كان يتم قديماً في اليوم الثامن من الإكليل أي يوم الأحد التالي لأحد الإكليل. وواضح أيضاً – طبقاً لأبي البركات – أنـــه طقس لم يكن يمارسه كثير من الأقباط منذ القرن الرابع عشر أو قبله. أما البابا غبريال الخامس في القرن الخامس عشر فجعل ممارسته في مساء يوم الأحد التالي لأحد الإكليل، إذ لا يمكن أن يكون المقصود من كلامه هو ليلة هذا الأحد الثامن أي السبت مساء.

وحين يتحدَّث البابا غبريال الخامس عن هذا الطقس يقول إنه هو نفسه طقس تحليل العروسة بعد أربعين يوماً، فترتيب الطقسين واحـــد، ولكن الفصول الكتابية في كل منهما مختلفة. أما الاختلاف الآخر بـــين الطقسين فهو أنه في نهاية طقس رفع الإكليل يرفع الكاهن الإكليل مـــن على رأس العريس ثم من على رأس العروسة. أما في نهاية طقس تحليـــل العروسة بعد أربعين يوماً من زواجها فإن الكاهن يدهنها بالزيت.

3- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Churc...*, p. 140, 141.

٤ – قضاة ١٤:١٧، ١٨

ويتَّضح من كلام البابا غبريال الخامس أن كلا الطقسين يمارسان في الكنيسة بحضور الشعب وليس في أي مكان آخر. أما طقس تحليل العروسة بعد أربعين يوماً من زواجها فيكون "في البيعة ببيت النسوان (النساء)"[٥]. وهو نفس ما يشير إليه القس أبو البركات، بعد أن يذكر ملخَّص هذا الطقس فيقول: "... وما ينضم إلى ذلك تحليل العروسة في أربعين يوماً". ويذكر السبب الذي يُعمل لأجله طقس تحليل العروسة وهو لكي "... تتناول من السرائر الإلهيَّة بغير مانع"[٦]. أي أنه كان طقساً يجري في الكنيسة. وليست لدينا إشارات أقدم من زمن ابن كبر لتعزِّز قوله إنه طقس يبيح للمرأة التناول من الأسرار المقدَّسة. لأنه من المستغرب أن تُحرم العروسة من التناول لمدة أربعين يوماً، في حين لا يحرم العريس لنفس هذه المدة. كما أن نص تحليل المرأة بعد أربعين يوماً من زواجها لا يشير إلى ذلك الأمر تحديداً[٧].

والأمر الملفت للانتباه أن المخطوطات الخاصة بصلوات الإكليل والتي رجعتُ إليها في مكتبة الدير - وهي مخطوطات تنحصر فيما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر للميلاد - تخلو كلها من أي ذكر لطقس رفع الإكليل من على رأس العريس، في حين أنها كلها تذكر طقس تحليل العروسة بعد كمال أربعين يوماً. وعلى العكس تماماً وجدتُ أن كتاب "رتبة الإكليل الجليل" في طبعتيه الأولى والثانية يذكر طقس رفع الإكليل من على رأس العريس، بينما يغفل تماماً أي إشارة إلى طقس تحليل العروسة بعد كمال أربعين يوماً (من زواجها).

٥- البابا غبريال الخامس، مرجع سابق، ص ٣٣

٦- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

٧- انظر نص التحليل في الفصل الثاني من الباب الثالث، وهو بعنوان: "طقس تحليل العروسة في كمال أربعين يوماً".

فيذكر كتاب "رتبة الإكليل الجليل" الذي طبعه القمص فيلوثاؤس إبراهيم سنة ١٨٨٨م، عن طقس رفع الإكليل عن رأس العريس ما يلي: "ترتيب رفع الإكليل من على رأس العريس في الليلة الثانية من إكليله، وهو المعروف بالتجليسة[٨]. وذلك فيما إذا كان العريس وعروسته تكلّلا في وقت واستمرا لثاني يوم على ما هما، ورغبا قبل الدخول إلى خدرهما إجراء رتبة التجليسة ..."[٩]. وهو نفس ما يذكره الكتاب في طبعته الثانية سنة ١٩٢١م. وهنا يتضح أن هذا الطقس أصبح يمارس وفقاً لرغبة العروسين من عدمها، ومن ثم فإن كتاب "صلوات الخدمات" والذي طُبع سنة ١٩٧١م، بمعرفة مكتبة المحبَّة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة بالقاهرة قد أغفل ذكر هذا الطقس كلية.

وفي الحقيقة أخذ هذا الطقس في التلاشي رويداً رويداً حتى انعدمت ممارسته تماماً. فقد تقلص الأسبوع الذي كان يعقب الإكليل لتتميم هذا الطقس إلى ثلاثة أيام فقط، حيث ظل الأقباط يواظبون على هذه الثلاثة أيام فترة طويلة من الزمن حتى كتب عنها الأجانب من السائحين الذين زاروا مصر، مادحين سمو النظرة المسيحيَّة إلى الزَّواج، لاسيَّما في الكنيسة القبطيَّة. ثم تقلصت هذه الفترة إلى يومين فقط كما أشار كتاب "رتبة الإكليل الجليل". ثم صار هذا الطقس يُمارس في أمسية يوم الإكليل نفسه حين كان الإكليل يتم صباح يوم الأحد. ثم صار هذا الطقس يتم

٨- سُمي هذا الطَّقس عند الناس باسم "تجليسة" وذلك طبقاً لما يذكره كتاب "رتبة الإكليل الجليل" حين يقول: "... ويأتون بالعريس وعروسته ... **وبعد جلوسهما** ... يبدأ الكاهن بالصلاة". وهي تسمية دارجة وغير طقسيَّة، لأن البابا غبريال الخامس يقول في بداية شرحه لهذا الطقس "يقف العروسة والعريس ويضعوا على رأسيهما عرضي الإكليل ...". ثم أنها صلوات مع قراءة فصل من الإنجيل المقدَّس، فلا يجوز الجلوس فيها، إلاَّ في أوقات معينه، مثل قراءة الطرح الذي يعقب فصل الإنجيل مثلاً.

٩- كتاب رتبة الإكليل، مرجع سابق، ص ٨٢

عقب انتهاء صلوات الإكليل مباشرة بدون أي مراسيم طقسيَّة، وذلك حين يرفع الكاهن الأكاليل من على رأس العروسين في نهاية الخدمة.

إن ما نقرأه عن هذا الطقس كما كانت تمارسه الكنائس الشرقيَّة، بل والكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً، نجده اليوم قريباً إلى الخيال منه إلى الحقيقة، بل ربما رآه البعض جنوحاً إلى المغالاة أو التطرف. فهل تغيرت الظروف والأحوال فقط؟ أم تغير الناس أيضاً؟.

الطقس القبطي لرفع الإكليل

طبقاً لما يذكره البابا غبريال الخامس عن هذا الطقس نلاحظ أنه كان طقساً يُمارس في الكنيسة بحضور الشعب، حيث يقول مثلاً: "يرفع الكاهن بخور البولس، ويطوف في قراءة البولس بالبخور على الشعب". فهذا الطقس كان يتمم في الكنيسة وليس في أي مكان آخر كما يذكر كتاب "رتبة الإكليل الجليل" حين يقول: "يأتون بالعريس وعروسته ... إلى المحل المعد لذلك ...".

ثم إن البابا غبريال الخامس يشرح هذا الطقس وما يتخلله من ألحان محدَّدة، في حين أن كتاب "رتبة الإكليل الجليل" يكرِّر عبارة "يرتل الشمامسة ما يلائم".

فيقول كتاب "رتبة الإكليل الجليل":

يحضر الكهنة والشمامسة ويأتون بالعريس وعروسته بالترتيل الملائم إلى المحل المعد لذلك، وبعد جلوسهما تجاه الإنجيل والصلبان، وهي محاطة بالأنوار، يبدأ الكاهن بالصلاة الربيَّة، ثم صلاة الشكر، ويرفع البخور

كالعادة[١٠] ثم يرتل الشمامسة ما يلائم.

ثم يُقرأ فصل البولس (١تيموثاوس ٤:٩-١٥). ثم الثلاثة تقديسات[١١] وفصل الإنجيل المقدَّس يسبقه المزمور (مزمور ١٢٨:٣) «امرأتك تكون مثل الكرمة التي تزهر في جوانب بيتك، بنوك مثل غروس الزيتون الجدد حول مائدتك». والإنجيل (يوحنا ١:١٤-١٧) «والكلمة صار جسداً، وحل فينا ... أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا»[١٢].

ثم يقال الطرح[١٣] حيث تلحن الجملة الأولى منه بالقبطيَّة ثم يُفسر باقي الطرح عربياً. وبدايته: "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً بترنيم وترتيل لأجل الأخ المبارك العريس وعروسته ...". وهو طرح طويل يتخلله المرد "أكسيوس (ثلاث مرات) العريس ومعينته"، والمرد بالقبطيَّة هو:

Ⲁⲝⲓⲟⲥ ⲡⲓⲡⲁⲧⲱⲉⲗⲉⲧ ⲛⲉⲙ ⲧⲉⲫⲃⲟⲏⲑⲟⲥ.

وفي هذا الطرح يقول الكاهن:

"... هلموا أيها الآباء الروحيون والإخوة النجباء المسيحيُّون لنفرح في هذه الساعة المباركة من أجل الفرح الذي أنعم به إلهنا على هذا الأخ

١٠- عند القس أبو البركات: "ويرفع البخور". وعند البابا غبريال الخامس: "يرفع البخور بأوشيَّة بخور البولس، ثم أرباع الناقوس وكيرياليسون والذُكصا وأبانا والمزمور الخمسين إلى آخره، وأللويا المجد لإلهنا. وبعدها يقول الكاهن أوشيَّة المرضي. وبعدها يرتلون ⲦⲀⲒ ⲫⲞⲦⲢⲒ (تاي شوري)، ويطوف الكاهن بالبخور على الشعب، وبعدها ⲦⲈⲚⲞⲦⲰⲨⲦ (تين أوأوشت).. وكلها عناصر ليتورجيَّة سقطت من كتاب "رتبة الإكليل الجليل".

١١- هنا يذكر البابا غبريال الخامس أنه تقال أوشيَّة الإنجيل بعد الثلاثة تقديسات، ويسبقها لحن ⲫⲛⲁⲩⲙⲓⲥⲓⲛⲟⲩⲧⲉⲫⲁⲓ (أي هذا وقت البركة ...).

١٢- يذكر البابا غبريال الخامس عن مرد الإنجيل فيقول: "ويرد بلحن الصليب ⲱⲉⲣⲉ ⲡⲓⲙⲁⲛⲱⲉⲗⲉⲧ (السلام للعروسة ...)".

١٣- هذا الطرح لم يرد ذكره لا عند القس أبو البركات، ولا عند البابا غبريال الخامس.

الحبيب، المحبوب في المسيح، العريس (فلان) وعروسته المباركة (فلانة) هذين اللذين حق عليهما صوت البركة الإلهي الصادر لأبينا آدم وأمنا حواء قائلاً: أنميا واكثرا واملآا الأرض وتسلطا عليها ...

هذين اللذين حفتهما بركة إبينا الخليل إبراهيم أبي الآباء ... وسمع صوت الوعد المفرح القائل له في نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض، فنما نسله وصار كنجوم السماء والرمل الذي على شاطئ البحر ...

هذين اللذين تضاعفت عليهما بركات أبينا يعقوب ... ومن نسله تجسد الابن الكلمة الذي كان يرجوه الأنبياء والحكماء ...

هذين اللذين استحقا بركة الأب يوسف الصدِّيق الذي ... خلصه الرب ... وبارك في نسله كما بارك آباءه الأولين.

إن النبي يمدح الرجل الذي يتقي الرَّب السالك في سبله هكذا قائلا: تأكل من ثمرة أتعابك، وتصير مغبوطاً، وتحصل لك الخيرات. امرأتك تصير مثل كرمة مخصبة في جوانب بيتك، بنوك مثل غروس الزيتون النضرة حول مائدتك، هكذا يبارك الإنسان الخائف الرب ...

فتهللا بهذه النعمة التي منحكما الله إياها وتقبلا بالشكر والتمجيد هذه الكرامة التي وهبت لكما من لدن العلي، إذ تكللتما بإكليل الشرف والفخار، إكليل التعظيم والاعتبار، إكليل البهجة والسرور، إكليل السعادة والحبور، إكليل الكمال، إكليل البر والأفضال ...

ونحن نسأل سيدنا وفادينا وملكنا يسوع المسيح أن ... يجعلكما كالشجرة المباركة المثمرة الثمار الزاهية الجليلة، ولتكن ذريتكما كالنجوم الزاهرة المتلألئة بأنوار الفضائل والمزايا الباهرة ...".

ثم يقول الكاهن الثلاث أواشي، وتقال الأمانة، ثم طلبة ختامية[١٤]

١٤- هذا الطلبة يدعوها القس أبو البركات "أوشيَّة"، ويدعوه البابا غبريال

بدايتها: "إله آبائنا أب ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ... لتكن رحمتك دائمة في مترلهما، واحفظهما ليسلكا كما يرضيك، وكما يليق ويلزم النساء العفيفات من العبادة ...".

وبعدها يقال أبانا الذي في السَّموات، ثم يقول الكاهن التحليل والبركة ويرفع الإكليل من على الرأس[١٥].

الخامس "الطلبة".

١٥- هذا هو نص ما يورده كتاب "رتبة الإكليل الجليل" في طبعته الأولى سنة ١٨٨٨م، (ص ٨٢-٩٠). أما نفس هذا الكتاب في طبعته الثانية سنة ١٩٢١م فأضاف "... ويقول الكاهن التحاليل الثلاثة والبركة ويرفع الإكليل من على رأس العرسان" (ص ٨٩).

الباب الثالث

ما بعد الإكليل

الفصل الأول

التعليم الآبائي عن الاقتران الجسدي للزوجين

ليس الزَّواج رخصة لإشباع كل شهوة، بل لحفظ الإنسان من الانجراف من شهوته إلى الخطيَّة، وإلا كيف يظل الزَّواج مكرَّماً والمضجع غير نجس كقول الإنجيل المقدَّس؟. فالعلاقة الزوجيَّة أو الجنسيَّة بين الزوجين ينبغي أن تحظى في أعينهما بالتبجيل والتوقير لرباط الزوجيَّة الجليل.

ففي علاقة الرجل بزوجته والزوجة برجلها يسعى كل منهما ليعطي ويلبي ويشبع حاجة الآخر، لا أن يسعى لإشباع نفسه إشباعاً ذاتياً أنانياً. فالمحبة عطاء لا استيلاء، وبذل لا أخذ.

وينبغي ألاَّ نقلل من خطورة وقوع الجنس تحت سيطرة الأرواح الشريرة النجسة، إذ سرعان ما يفقد خصائصه النبيلة السامية، وينحط إلى شئ جدير بالإزدراء. والشئ الذي خلقه الله كعطية لبلوغ كمال الحب يصبح خبرة شريرة فاسدة ومدمرة حتى للزوجين أيضاً. لذلك يقول القدِّيس بولس الرسول: «لا يسلب أحدكم الآخر إلاَّ أن يكون على موافقة إلى حين، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة، ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم» (١كورنثوس ٧: ٥، ٦).

والوحدة الجسديَّة بين الزوجين هي نهاية مطاف وحدتهما الروحيَّة والقلبيَّة والفكريَّة والنفسيَّة والعاطفيَّة، وهذا هو الاختلاف الأساسي بين الإنسان ومملكة الحيوان في العلاقة الجنسيَّة بين الذكر

والأنثى، لأنها في مملكة الحيوان علاقة بيولوجيَّة فحسب، أما في الإنسان فالجانب البيولوجي فيها هو أحد جوانبها فقط. فالجنس لا يحقق غايته بين زوجين متنافرين غير متوافقين، لفقدان التجاوب العاطفي والسيكولوجي بينهما. ولكنه في صورته الصحيحة يرفع الزوجين خارج نطاق شخصيتهما الخاصة، ليبلغا معاً أقصى صور تعبير الحب الزوجي والعطاء غير المشروط.

وفعل الزَّواج هو تعبير عن المحبَّة الخلاقة، ورباط حي يخدم الحياة، لأنه حينما يصبح الزوج والزوجة جسداً واحداً، تتشكل من هذه الوحدة حياة جديدة. وهذا هو أحد أهداف هذه الوحدة الزوجيَّة، أما هدفها الآخر فهو تنمية العلاقة الإنسانيَّة بين الزوجين. أما الانهماك في المسرات الجنسيَّة بين الزوجين بلا ضابط فهذا كسر لوصية الإنجيل. والزَّواج ليس ضماناً للنقاوة عندما تكون العلاقة الحقيقيَّة مع الله مفقودة.

ومن رسالة للقدِّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥- ١٠٧م) إلى القدِّيس بوليكاربوس (+ ١٥٥م) يقول له:

[اهرب من الفنون الخبيثة، أو بالحري دع الحديث عنها. قل لأخواتي أن يحببن الرب، وأن يكن راضيات مع أزواجهن في الجسد وفي الروح. وهكذا كلف إخوتي باسم يسوع المسيح أن يحبوا نساءهم كما أحب المسيح الكنيسة. وإذا استطاع أحد أن يعيش بالعفة لإكرام جسد الرب، فليقم على ذلك بدون افتخار. ومن افتخر فقد ضل. وإذا اطلع أحد على ذلك غير الأسقف فهو قد تدنس. ويليق بالرجال والنساء أيضاً عندما يتزوَّجون أن يتزوَّجوا بإذن الأسقف حتى يكون الزَّواج بحسب ناموس الرب، وليس من أجل الشهوة. لنعمل

كل شئ لمجد الله][1].

وإن كان الانهماك في المسرات الجنسيَّة بين الزوجين أمر خاطئ، فإن الإحجام عنه بحجة أنه شئ نجس أو دنس يتنافى مع تعليم آباء الكنيسة شرقاً وغرباً، فليست القداسة أو الطهارة هي في البعد عن الممارسة الجنسيَّة بين الزوجين، لأن هذا المفهوم المغلوط قد أضر كثيراً بالحياة المسيحيَّة.

فيخاطب البابا غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤م) أسقف روما العريس الذي اقترن بعروسته في الإكليل بالكنيسة بحضور الأسقف قائلاً له:

[ألم تقترن بالجسد بعد، لا تخف من تتميم ذلك، فأنت طاهر والمسؤوليَّة عليَّ، لأني أنا عقدته، وأنا أعطيتك العروسة] (في المعموديَّة ف ١٨).

ولقد ظل الطقس الغالي (فرنسا) والطقس السلتي (إنجلترا) يحويان مباركة خدر العروسين أو خدر الزَّواج، قبل دخول العروسين إليه[2].

وتقدِّم الدسقوليَّة التي دوِّنت في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي تعليماً راقياً بشأن العلاقة الجنسيَّة أو المعاشرة الزوجيَّة التي تصير بين الرجل وزوجته. وهو تعليم يصدر أساساً من الفكرة الرئيسيَّة التي تقول بأن كل ما في الإنسان من طبيعة هو صالح وحسن. فتقول "إن الرجل والمرأة إذا عرفا بعضهما بعضاً في الزَّواج الناموسي، وقاما من مضجعهما فلا يحرصان على الاستحمام الطقسي، بل ليصليا ولا يستحما لأنهما طاهران. وأما الذي يزني بامرأة غريبة وينجسها، أو من يتنجَّس مع زانية ويقوم عنها، فلو استحم باللجَّة كلها وكل الأنهار لا يقدر أن

١- حنانيا كساب، مرجع سابق، ص ١٦٣

2- P. Jounel, *op. cit.*, p. 609.

يطهر" (٣٣:١٢٠-١٢١).

وفي ذلك تهدف الدسقوليَّة إلى تأكيد صلاح الطبيعة الإنسانيَّة وإلى رفض العودة إلى الطقوس اليهوديَّة. "فلا تتحفَّظوا من الأعمال الناموسيَّة والطبيعيَّة، وتظنوا أنكم تتنجَّسون بها، ولا تطلبوا اعتزالات اليهود، والغطس كل قليل، والتطهُّر إذا اقتربتم إلى الأموات" (٣٣:١٢٢).

وتشرح الدسقوليَّة أن الإنسان في روحه وجسده – بما فيه من وظائف طبيعيَّة لأعضائه – إنما خُلق حسناً. ومن ثمَّ ترفض اعتبار أن الرجل والمرأة في هذه المناسبات في حالة نجاسة كالناموس. وتستند في هذا إلى أمرين: أولهما أنه في جميع الحالات لا يفارق الروح القدس الإنسان. وثانيهما أن هذه الأنشطة هي من الوظائف الطبيعيَّة لأعضاء الجسد التي تحقِّق منافع له.

وتتساءل الدسقوليَّة "ألعلهم في الساعات أو الأيام التي يصيرون إلى واحد، يستعفون في هذه الحالات من أن يصلُّوا وأن يأخذوا من شكر الأسرار، أو لا يلمسون شيئاً من أسفار الكتاب ...". ثم تجيب وتقول: إنهم إذا اتفق وقالوا بالامتناع "فقد صاروا مقفرين من الروح القدس الكائن الدائم كل حين مع المؤمنين ... لأن الروح القدس لا يفارق أحداً من المسيحيِّين من المعموديَّة إلى الموت" (٣٣:٩٨).

وتطبِّق هذا المبدأ على المرأة المقيمة في الدم سبعة أيام، فتخاطبها: "... لكن الروح ساكن فيك بغير افتراق، لأنه ليس بمحصور في مكان واحد، فيجب عليك أن تصلي كل حين، وتنالي من الشكر، وتغتنمي حلول الروح القدس عليك" (٣٣،١٠٣:٩٩).

فحالات الزَّواج الناموسي أو الدم القاطر أو فيض الحلم، لا تقدر أن

تفرِّق منَّا الروح القدس، بل يطرد الروح القدس فقط أمر مخالف ونفاق (٣٣:١٠٠-١٠٢، ١٠٦). وتعتبر أن هذه الأمور "تطهير طبيعي" (٣٣:١٠٤). وما يحدث للمرأة في خلال ثلاثين يوماً من ولادتها لطفلها إنما هو "لأجل منفعة وعافية" (٣٣:١١٣).

على أن الدسقوليَّة تعود فتستدرك آخذة في الاعتبار الحالة الصحيَّة أو النفسيَّة التي تكون عليها النساء حينئذ فتقول إنه في أثناء هذه الفترة "يكن بالأكثر غير متحرِّكات وجالسات في البيت كل حين" (٣٣:١١٤)[٣].

إن الأمر الذي تريد الدسقوليَّة أن تؤكده لتهدم به دعاوى المتهوِّدين والغنوسيِّين هو أن الإنسان بروحه وجسده خُلق صالحاً، وليس فيه أثناء تأدية جسمه لوظائفه الطبيعيَّة نجاسة أو قبحاً. وتورد تأكيداً لذلك هو ما حدث مع نازفة الدم، التي لم يرذلها الرب لما لمست طرف ثوبه لأجل الخلاص، ولم يلمها البتة. بل على العكس من ذلك قد شفاها قائلاً: «إيمانك قد خلَّصك» (لوقا ٧:٥٠). وهنا نرى الدسقوليَّة قد اتخذت من حادثة نازفة الدم التي شفاها الرب سبباً لتوضِّح للنساء أنهن في فترة حيضهن غير نجسات.

ما سبق من حديث الدسقوليَّة هو في الحقيقة شرح لتقليد الكنيسة الجامعة عموماً، ولكن نقاطاً محدَّدة منه لا تتوافق إلاَّ مع تقليد الكنيسة السريانيَّة الأنطاكية الأرثوذكسيَّة الشقيقة فقط، ولاسيَّما ما يختص بالمرأة الحائض، أو المرأة الوالدة. لأن التقليد السرياني لا يمنع المرأة في مثل هذه

٣- تأكيداً لما تقوله الدسقوليَّة في ذلك، انظر رأي الأطباء في الحالة التي تكون عليها المرأة بدنياً ونفسياً، وذلك في مجلة "مدارس الأحد" العدد السادس، السنة العاشرة، أغسطس سنة ١٩٥٦م ص ٣١-٣٣. وهو مقال مأخوذ من كتاب العالم فان دي فيلد، "الزَّواج المثالي"، ترجمة دكتور محمد فتحي، الطبعة الثانية، ص ٢١٠،٢١١.

الحالات من دخول الكنيسة والتناول أيضاً من الأسرار المقدَّسة. و لم تكن الدسقوليَّة فقط هي التي علَّمت بذلك، بل إن القدِّيس يعقوب الرهاوي (٦٣٣-٧٠٨م) يقول:

[إن المرأة التي تلد وبعد يومين أو ثلاثة تقدر أن تغتسل وتطهِّر جسدها، يجوز لها أن تتقرَّب لا في خميس الأسرار فقط، بل في أي يوم كان. أما التي عرض لها سيل النساء فلا يجوز أن تتقرَّب حتى ينقطع سيلان دمها، وإلاَّ فلتغتسل وتتقرَّب لا لأجل الدنس بل احتراماً للأقداس][٤].

ويقول يعقوب الرهاوي أسقف إديسا (الرها) أيضاً:

[إن كل كاهن يحتلم في الليل ليس له سلطان أن يقدِّس ذلك النهار لا لأنه قد تنجَّس، بل لأجل وقار الأسرار. اللهمَّ إذا لم تكن ضرورة][٥].

فما هو إذاً تقليد الكنيسة القبطيَّة في هذا الأمر؟.

إن عدنا إلى البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨- ٢٦٥م) — وقد عاش في زمن قريب إلى زمن تأليف الدسقوليَّة، بل وسابق عليه - ففي رسالته التي كتبها إلى باسيليدس أسقف الخمس مدن الغربيَّة والتي اعتبرتها الكنيسة فيما بعد قانوناً كنسياً، نجد أنه اتخذ من نفس حادثة المرأة نازفة الدم سبباً لمنع النساء في فترة حيضهن من التناول من الأسرار المقدَّسة. فيجيب عن سؤال "هل يجب أن تمتنع النساء المسيحيَّات عن دخول الكنيسة عملاً بشريعة موسى التي تلزم النساء أن يعتزلن في زمن حيضهن

٤- مار إسطفان الدويهي، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، منارة الأقداس، المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت، ١٨٩٥م، ص ٢٧٥

٥- مارْ إسطفان الدويهي، مرجع سابق، ص ٢٧٤

سبعة أيام؟" فيجيب القدِّيس ديونيسيوس الكبير قائلاً:

[أنا أعتقد أنه موضوع لا يستحق عناء البحث، لأنني أرى أنهن إن كن من المؤمنات ونسوة تقيات لا يتهورن وهن في هذه الحالة ويسرعن إلى لمس المائدة المقدَّسة أو جسد ودم الرب. ويقيناً أن المرأة التي كان لديها ينبوع الدم اثنتا عشرة سنة لم تلمس الرب نفسه بل طرف ثوبه فقط، لكي تنال الشفاء. وأما الصلاة فهي تتم في أي حالة يجد المرء نفسه فيها لأننا نتذكر الرب في أي وقت. وأيضاً نقدم التضرعات لكي ينال المرء معونة. كل هذه الممارسات يمكن أن تتم بلا لوم. أما الذي ليس طاهر النفس والجسد فإنه يُمنع من التقدم إلى قدس الأقداس].

إن البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨- ٢٦٥م) في رسالته إلى الأسقف باسيليدس والسابق ذكرها، قد ترك الموضوع لحكم الضمير، فيقول:

[وأما الذين حدث لهم فيض ليلي بدون إرادة فعليهم أن يستمعوا لصوت ضمائرهم وأن يمتحنوا أنفسهم إذا كانت لديهم شكوك حول هٰذا الأمر أم لا توجد لديهم شكوك. لأن الذي يشك في مسألة أكل اللحوم المقدَّمة للأوثان يقول الرسول إنه يحكم على نفسه إذا أكل[٦]. وإذا كانت هذه هي القاعدة فللذين يقتربون من الله يجب أن يكون لديهم ضمير صالح وثقة كاملة في حكم ضمائرهم].

واضح إذاً أن هذا الموضوع بدأ يُطرح للنقاش منذ وقت مبكر، مفسحاً مجالاً لإبداء الآراء. فالبابا ديونيسيوس نفسه في ختام رسالته إلى

٦- انظر: رومية ١٤:٢٣

الأسقف باسيليدس يقول له:

[من ناحيتي قد أدليت برأيي في القضايا التي استشرتني بشأنها ليس كمن يعلم بل بكل بساطة بحسب العلاقة التي يجب أن تكون بيننا. فيا ولدي الجزيل الإدراك والعلم، أرجو منك أن تفحص ما كتبته ثم تدلي برأيك وهل توافقني على ما رأيت؟].

وهنا لا يشير البابا ديونيسيوس إلى قوانين أو قواعد سابقة له بخصوص هذا الأمر، لذلك ما أبداه من رأي لم يعتبره قانوناً، ولكن هذا الجزء من الرسالة اعتُبر فيما بعد أنه القانون الثاني من قوانين البابا ديونيسيوس الكبير. بل تبنَّته الكنيسة البيزنطيَّة كقانون ملزم لها، وأدرجته ضمن قوانينها الكنسيَّة[٧].

ولقد استشهد بلسامون في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بخلاصة نص هذا القانون كما وضعه العالم جونسون من قبل، وهو: "لا يجوز للنساء في حيضهن أن يتقدمن إلى المائدة المقدَّسة ويتناولن جسد المسيح المقدَّس ودمه الكريم، بل ولا يجوز أن يدخلن الكنيسة. أما واجب تقديم الصلوات فيقمن به في مكان آخر".

وهذا الموضوع عينه ورد أيضاً في الإجابات القانونيَّة للبابا تيموثاوس الإسكندري (+ ٣٨٨م)، وهي إجابات عن ١٨ سؤالاً اعتبرتها الكنيسة البيزنطيَّة إجابات قانونيَّة ملزمة لها[٨]. ففي السؤال السابع "هل يجوز

٧- ورد ذكر لقوانين البابا ديونيسيوس الكبير الإسكندري في القانون الأول لمجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، والقانون الثاني لمجمع ترولو سنة ٦٩٢م.

٨- ورد ذكر هذه الإجابات القانونيَّة للبابا تيموثاوس الإسكندري في القانون الثاني لمجمع ترولو، والقانون الأول لمجمع نيقية الثاني. وهي من المجامع المسكونية في الكنيسة البيزنطيَّة. إلاَّ أن هذه الإجابات القانونيَّة غير معروفة في مجموعات

للمرأة وهي في دور حيضها أن تشترك (أي تتناول)؟". الجواب: "لا إلى أن تعود نقيَّة".

وهنا يتَّضح لنا أن ما أبداه البابا ديونيسيوس الإسكندري على سبيل الرأي قد أخذ شكلاً قانونياً قاطعاً عند البابا تيموثاوس الإسكندري.

أما البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨- ٣٧٣م) وهو من جهة التاريخ جاء في التسلسل الكنسي بين البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨- ٢٦٥م)، والبابا تيموثاوس الأول (٣٨٠- ٣٨٥م)، فقد كتب رسالة إلى أمون رئيس الجماعة الرهبانيَّة في جبل نتريا وكان هذا الأخير معاصراً للقديس أنطونيوس الكبير أب جميع الرهبان. يعرض فيها رأيه في هذا الشأن وبشمول أكثر يقول له فيها:

[... أخبرني أيها الصديق المحبوب والكثير التقوى جداً، ما هي الخطيَّة أو النجاسة التي توجد في أي إفراز طبيعي؟ ... فإن كنَّا نؤمن كما تقول الكتب الإلهيَّة أن الإنسان هو من عمل يدي الله فكيف يمكن أن ينتج عمل دنس من قوة نقيَّة؟ ... ولكن عندما يحدث أي إفراز جسدي بدون تدخل الإرادة فإننا نعرف بالخبرة أن هذا يحدث كما في أشياء أخرى بالطبيعة ...].

القوانين الكنسيَّة القديمة، ولا تظهر في المجموع الصفوي لابن العسال في القرن الثالث عشر، ولا في أقدم مجموعات القوانين وهي "فقه النصرانيَّة" لأبي الفرج ابن الطيب.

ولشرح أكثر توضيحاً عن مجموعات هذه القوانين وتاريخها وأسمائها، يمكن الرجوع للدراسة الأكاديمية عنها في كتاب: "قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية". وهو برقم (١/١٠)، ضمن السلسلة الأولى من "الدُرَّة الطقسيَّة"، وهي بعنوان: "مقدِّمات في طقوس الكنيسة".

وهكذا أيضاً أنبا ثاؤناس حين كان يعظ الإخوة قال لهم:

[فلنسع أيها الإخوة كلّ جهدنا حتى نحفظ الطهارة من كل دنس وخاصة حين نروم التقدم إلى المذبح الموقّر لئلا نخسر نقاوة الجسد التي حفظناها سابقاً في الليلة التي نكون فيها مستعدين للإشتراك في مائدة الخلاص. وإن حدث يا إخوة أن عدوَّنا الثلاب طرق النفس وهي راقدة كي يعدمنا دواء العون الإلهي، فتدنَّسنا بغير شهوة مذمومة ولذّة إختياريَّة فنستطيع حينئذ أن نتقدَّم بدالة الوجوه إلى نعمة خبز الخلاص][٩].

هذه النظرة الإنجيليَّة التي تحمل روح العهد الجديد نجدها أيضاً عند القدِّيس أنبا ساويرس أسقف الأشمونين في القرن العاشر الميلادي، وهي نظرة مغايرة لما أبداه البابا تيموثاوس الأول (٣٨٠- ٣٨٥م) من حكم قاطع في هذا الأمر، فليس عند أنبا ساويرس أسقف الأشمونين نظرة للنجاسة بمعناها في العهد القديم، لأنه بعد المعموديَّة ليست هناك نجاسة سوى نجاسة الخطيَّة فحسب، وإنما هو يسمى هذه الحالة حالة فطر تمنع فقط من التناول من الأسرار المقدَّسة ولكنها لا تمنع من الدخول إلى الكنيسة وحضور القدَّاس الإلهي فيقول:

[إنه لما جاء ربنا يسوع المسيح وحلّنا من رباط ناموس التوراة، وربطنا بنيره الحلو الخفيف، لم يأمرنا أن نعتزل عن نسائنا ثلاثة أيام قبل أن نسمع كلامه كما فعل ببني إسرائيل[١٠]، ولا جعلنا نتنجَّس بسبب الرقاد مع الزوجة، ولا منعنا من الرقاد معها، ولا أحوجنا إلى حميم الماء بسبب الرقاد معها، ولا بسبب الجنابة، ولا منعنا عن الصلاة، ولا من

٩- مار إسطفان الدويهي، مرجع سابق، ص ٢٨٠

١٠- انظر: خروج ١٩:١٦

دخول الكنيسة بسبب ذلك كما فعل مع بني إسرائيل، بل خفّف علينا نيره وحلّل لنا ناموسه لكي نستطيع أن نحمله، وقال: إنها ليست نجاسة بل فطر. والذي يفطر لا يمتنع عن الصلاة من أجل أنه فاطر، ولا من دخول الكنيسة، ولا عن حضور القدّاس، بل عن تناول القربان فقط][١١].

يتّضح لنا إذاً أن تقليد الكنيسة القبطيَّة في أصوله الأولى قد استقر على أن فطر المني والاحتلام وحيض النساء يمنع عموماً من التناول من الأسرار المقدَّسة باستثناء حالات خاصة في ذلك، ولكنه لا يمنع من الدخول إلى الكنيسة للاشتراك في الصلاة.

وهذا التقليد الكنسي المستقر منذ البداية نجده واضحاً في كتاب "التقليد الرسولي" لهيبوليتس والذي كتبه أوائل القرن الثالث للميلاد إذ يمنع المرأة الحائض من التقدُّم لقبول المعموديَّة، بل عليها أن تتأخَّر لبضعة أيام حتى تتطهر. فيقول:

"... وليتعلم الذين يُعمَّدون أن يستحموا ويغتسلوا في اليوم الخامس من الأسبوع[١٢]. وإن كانت بينهم امرأة طامس، فلتُعزل ناحية، وتتعمَّد في يوم آخر" (٦،٢٠:٥).

أما من جهة الصلاة فإن العلاقة الزوجيَّة بين الزوجين لا تمنعهما من الصلاة، فيقول "التقليد الرسولي" بخصوص صلاة نصف الليل:

"صلّ أيضاً قبل أن تريح جسدك بمضجعك. وفي نصف الليل انهض، اغسل يديك بماء، وصلِّ وإن كانت لك زوجة فصلّيا معاً. وإن كانت لم تصر بعد مؤمنة، فانفرد وصلِّ وحدك، وارجع إلى موضعك مرة

١١- الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين، الدر الثمين في إيضاح الدين، ص ١٥٣

١٢- هو يوم الخميس الكبير من أسبوع الفصح (خميس العهد).

أخرى. أنت المرتبط بالزّيجة لا تكسل عن الصلاة، فإنكما لستما نجسيَن. لأن الذين قد اصطبغوا، لا يحتاجون أن يستحمّوا مرة أخرى لأنهم أطهار" (٣٦:٦-٩).

وهنا يتّضح جلياً أن قبول الأسرار المقدّسة على وجه التحديد كان يتطلّب نقاوة جسديَّة أيضاً إلى جانب النقاوة الروحيَّة.

وإن جئنا إلى قوانين هيبوليتس نجد أن تقليد الكنيسة القبطيَّة لم يتغيَّر عمَّا كان عليه منذ الابتداء، فالمرأة الوالدة يُسمح لها بحضور الكنيسة مع الموعوظين، وبالتالي لا يجوز لها التناول من الأسرار المقدَّسة حتى كمال أيام تطهيرها.

ففي القانون (١٨:٧) من قوانين هيبوليتس القبطيَّة نقرأ: "المرأة التي تلد، فلتقم خارجاً عن الموضع المقدس أربعين يوماً إن كان الذي ولدته ذكراً، وإن كانت أنثى فثمانين يوماً. وإذا دخلت الكنيسة تصلّ مع الموعوظين".

بل أوضحت هذه القوانين أيضاً ما لم يرد في غيرها من قوانين قبلها، وهو أن القوابل لا يتقدَّمن للتناول من الأسرار المقدَّسة إلاَّ بعد فترة من الوقت أيضاً، فتقول في ذلك:

"... والنساء القوابل لا يتناولن من السرائر إلاَّ بعد أن يتطهَّرن أولاً. وطهارتهن تكون هكذا: إن كان المولود الذي قبلنه ذكراً، فعشرين يوماً، وإن كانت أنثى، فأربعين يوماً. ولا يهملن النفساء، بل يصلين لله لأجلها. وإذا مضت القابلة إلى بيت الله من قبل أن تطهر، فلتصلّ مع الموعوظين الذين لم يُقبلوا بعد، ولا استحقوا الخلطة ... والقوابل فليكن

كثيرات، لئلا يكنّ خارجاً كل حياتهن". (٢:١٨، ٣، ٨)[١٣].

وكما ينطبق الأمر على التناول من جسد الرب ودمه الأقدسين، ينطبق أيضاً على قبول المعموديَّة، فيقول قانون (٥:١٩): "... وإن كانت امرأة، يتفق أن يلحقها الطمث، فلا تتعمَّد في تلك الدفعة، بل تتأخر إلى أن تطهر".

هذا من جهة قبول الأسرار المقدَّسة سواء المعموديَّة أو الإفخارستيَّا، أما من جهة الصَّلاة، فتقول قوانين هيبوليتس في ذلك:

"... والذي هو مرتبط بالزِّيجة، ولو أنه حتى يقوم من عند زوجته، فليصل، لأن الزِّيجة غير نجسة، وهو لا يحتاج إلى حميم بماء من بعد الولادة الثانية، ما خلا غسل اليدين لا غير. لأن الروح القدس يرشم جسد المؤمن ويطهِّره جميعه" (القانون ٣:٢٧).

وفي القرن العاشر نتعرَّف على مفهوم الكنيسة القبطيَّة في هذا الأمر، والذي يشرحه أنبا ساويرس أسقف الأشمونين، فيقول:

> [لما أطاع آدم وحواء الشيطان وسمعا له، تخلَّت عنهما قوَّة الله فصارت فيهما شهوة الزَّواج من تلك الساعة ... ولذلك أمر نسلهما أن يصوموا عنها في وقت من الأوقات[١٤] ...

١٣- لا توجد لقوانين هيبوليتس سوى الترجمة العربيَّة المحفوظة لدينا حتى الآن، وهى من مدَّونات القرن الثاني عشر الميلادي على أقل تقدير وليس قبل ذلك. أمَّا نصها اليوناني أو القبطي أو حتى اللاتيني فهو مفقود. ولا نستطيع أن نجزم هل كان هذا القانون المذكور ضمن النَّص الأصلي اليوناني للقوانين والذي يعود إلى القرن السادس الميلادي أم لا.

١٤- انظر: خروج ١٦:١٩ ؛ لاويين ١٦:١٥، ١٧

هذا القول قاله الله ليحقق لنا أن هذه الشهوة حدثت فينا منذ المخالفة، وأنها تنجسنا إذا خرجت منّا، وأن الواجب علينا الصوم على قدر طاقتنا، لأنها طبيعة فينا. فلما جاء ربنا يسوع المسيح، وحلّنا من رباط ناموس التوراة، وربطنا بنيره الحلو الخفيف، لم يأمرنا أن نعتزل عن نسائنا ثلاثة أيام قبل أن نسمع كلامه، كما فعل ببني إسرائيل. ولا جعلنا نتنجس بسبب الرقاد مع الزوجة، ولا منعنا عنها وعن الرقاد معها، ولا أحوجنا إلى حميم الماء بسبب الرقاد معها، ولا بسبب الجنابة، ولا منعنا الصلاة، ولا من دخول الكنيسة بسبب ذلك كما فعل ببني إسرائيل، بل خفّف علينا نيره، وحلّل لنا ناموسه لكي نستطيع أن نحمله، وقال إنها ليست نجاسة بل فطر، والذي يفطر لا يمتنع عن الصلاة من أجل أنه فاطر، ولا من دخول الكنيسة، ولا عن حضور القداس، بل عن تناول القربان فقط ...

ليست الجنابة تنجّس بعد المعمودية، ولا الرقاد مع الزوجة الحلال نجس، بل فطر فقط، والفاطر لا يتنجس، ولا يلازمه خطيَّة في فطره إلاّ إن فَطَر في يوم صوم، لأن الذي يفطر في يوم صوم يخطئ كما أخطأ آدم لما أكل وكان منهياً عن الأكل. لذلك يأمر بولس الرجل والمرأة أن لا يمتنعا عن بعضهما البعض إلاّ بالاتفاق بينهما في أيام الصوم، ولم يمنعهما عن الصلاة، ولا عن حضور القداس، بل عن تناول القربان فقط (١ كورنثوس ٥:٧) ...

ولا يذكر الحميم جملة، لأن مجامعة الزوجة الحلال ليست بنجس، وإن كانت نجساً، فليس الماء يطهِّر

النجس، بل يطهِّر وسخ الجسد فقط، ولكن المجامعة الحلال ليست بنجس، بل الزنا هو النجس، ولا يطهر من زنى ولو استحم بكل ماء البحار والأنهار، بل يطهر إذا هو ندم وتاب عن زناه. والحكم بسبب الجنابة في النوم، كالحكم في المتزوج إذا رقد مع زوجته...[١٥]].

ثم إن جئنا إلى القرن الثالث عشر لا نجد بين كل قوانين الآباء البطاركة في العصور الوسطى ما يفيد منع المرأة الحائض من دخول الكنيسة سوى قوانين البابا كيرلس بن لقلق (١٢٣٥- ١٢٤٣م)، حيث تمنعها القوانين من دخول الكنيسة إلى أن تطهر. وكذلك تمنعها من المعموديَّة في فترة حيضها، بحسب القوانين القديمة[١٦].

ومن الطبيعي أن ما يمنع المرأة من التناول من الأسرار المقدَّسة يمنعها بالضرورة من المعموديَّة لأنه بحسب القانون (٢٤) من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧- ١٠٧٧م) "لا تجوز معموديَّة بلا قربان".

نخلص إلى القول إن كتاب الدسقوليَّة يمثِّل التقليد الأنطاكي وليس التقليد القبطي، أما التقليد القبطي فيتمثَّل في قوانين بطاركة الكنيسة القبطيَّة على مر الأزمان. وهو التقليد الذي عرفته الكنيسة الجامعة منذ القديم. فالقديس جيروم (٣٤٢- ٤٢٠م) وهو من آباء الكنيسة الغربيَّة يقول في ذلك:

[إن كان خبز الوجوه لم يكن يحل أكله لمن ضاجع

١٥- القديس أنبا ساويرس الشهير بابن المقفع أسقف الأشمونين، الدر الثمين في إيضاح الدين، إصدار مدارس التربية الكنسية بكنيسة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل بطوسون، شبرا، بدون تاريخ، المقال الثامن، ص ١٧١ وما بعدها.

16- BASC., t. 12, p. 89.

زوجته، فكم بالحري الخبز الذي نزل من السماء، لا يجوز الدنو منه للذين يباشرون نساءهم][١٧].

أما البابا غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤م) بابا رومية فينهي الرجال عن تناول خبز الرب إذا باشر الرجل زوجته بقصد اللذّة. وأما إذا كانت مباشرته إرضاءً لقرينته، أو طلباً للنسل دون قصد لذّة ولا خطاء فلا جناح عليه[١٨].

كما أن الكنيسة الرومانيَّة لا تمنع النساء في وقت طمثهن من الدخول إلى الكنيسة للصلاة لئلا يمتنعن عن ذكر الله[١٩]. ولكنها في ذات الوقت قد منعت رجال الإكليروس من الزَّواج مطلقاً بدعوى الحفاظ على قدسيَّة المذبح والأسرار المقدَّسة. والقانون الثالث عشر من قوانين مجمع ترولو الذي عُقد سنة ٦٩٢م، يلقي ضوءاً على الفرق الكبير بين التقليد الشرقي ونظيره الغربي في هذا الشأن، فيقول:

"إذ قد علمنا أنه جرت العادة في كنيسة الرومانيين أن كل من حُسب مستحقاً لأن يسام شماساً أو قساً يجب أن يتعهَّد بعدم مساكنة زوجته بعد رسامته، فنحن فيما أننا نحافظ على القاعدة القديمة وعلى الكمال والترتيب الرسوليَّين، نأمر بأن تبقى زيجات المتقدِّمين إلى هاتين الدرجتين الكهنوتيَّتين المقدَّستين من الآن فصاعداً ثابتة فلا يحل الاتحاد الزيجي بوجه من الوجوه، ولا يرض المنع من المساكنة الزوجيَّة في الأوقات الملائمة. وهكذا فكل من يكون مستحقاً للرسامة إيبوديا كوناً أو شماساً أو قساً لا يمنع من القبول في تلك الدرجة ولو بقي مساكناً زوجته الشرعيَّة. ولا

١٧- مار إسطفان الدويهي، مرجع سابق، ص ٢٧٢
١٨- نفس المرجع، ص ٢٧٨
١٩- نفس المرجع، ص ٢٧٥

يُطلب منه وقت الرسامة أن يعد بالامتناع عن مساكنة زوجته لئلا تُظهر ازدراءنا للزَّواج الذي سنَّه الله وباركه بحضوره كما قال الإنجيل: «وما جمعه الله فلا يفرقه إنسان» (متى ٦: ١٩)، وكما قال الرسول: «ليكن الزَّواج مكرَّماً والمضجع طاهراً» (عبرانيين١٣:٤)، وأيضاً: «أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال» (١كورنثوس ٧:٢٧).

ولكننا نعلم أن الذين اجتمعوا في قرطاجنة، لشدة عنايتهم بأن تكون حياة الإكليريكي مترَّهة، قالوا إن الإيبودياكون الذي يمس الأسرار المقدَّسة والشَّمامسة والقسوس يجب أن يمتنعوا عن نسائهم أثناء نوباتهم في الخدمة.

وهكذا فكل ما سلَّمه إلينا الرسل وحفظ في العادات القديمة نؤيده نحن أيضاً عالمين أن لكل شئ وقتاً ولاسيَّما للصوم والصلاة، لأنه يليق بالذين يخدمون أمام المذبح المقدَّس أن يلزموا العفَّة التامة أثناء اقترابهم من الأشياء المقدَّسة ليكونوا جديرين بأن ينالوا من الله ما يطلبون في الصلاة بحرارة. فكل من يتجاسر خلافاً للقوانين الرسوليَّة أن يمنع أحداً ممن هم في الدرجات الكهنوتيَّة من قسوس أو شمامسة أو إيبودياكونية عن مساكنة نسائهم الشرعيَّات فليسقط. وكل قس أو شماس يفصل امرأته عنه بحجة التقوى فليُمنع من الشركة، وإذا أصرَّ على غيِّه فليسقط[٢٠]".

٢٠ـ يُستغرب أن يصر الرومانيون على القول بأن هذا المجمع قد حاد عن جادة الصواب في وضع هذا القانون، وهم في الوقت نفسه يجرون فعلاً على سنته مع الموارنة في جبل لبنان، إذ يسمحون لكهنتهم أن يكونوا متزوجين. ويقول فان اسبن: إن الكنيسة اللاتينية لا تعلن عدم موافقتها على نظام الكنيسة اليونانية الذي يسمح للقسوس والشمامسة بممارسة الزَّواج، على شرط أن تكون الزِّيجة قد عقدت قبل الرسامة، ولا تقول عنه أنه مخالف لشريعة الإنجيل. ويقول برسيفال: إن واجب العفة المطلوب من الإكليريكي اللاتيني قائم حسب آراء معظم رجال الشرع في الكنيسة اللاتينية على النذر الذي نذره ذلك الإكليريكي وليس على شريعة كنسية قد

ولقد كان هذا القانون السابق يرد على ما ورد في القانون الرابع لمجمع قرطاجنة الذي عُقد في منتصف القرن الرابع الميلادي (٣٤٥-٢٤٨م) والذي يقول: "ليحافظ كل من يخدم المذبح على العفّة التامة فلا يقربوا نساءهم[٢١]".

وإنه من الملاحَظ - خلافاً لما سبق أن ذكرناه مباشرة بخصوص رجال الإكليروس - أن قوانين المجامع المسكونيَّة لم تتطرَّق للحديث عما يخص العلمانيين من الرجال والنساء بخصوص هذه الأمور، إذ كانت تهتم بالأولى بقضايا إيمانيَّة عامه تخص الكنيسة الجامعة وليس كنيسة محليَّة بذاتها. ولكن ما يلفت النظر جداً أن قوانين المجامع المحليَّة التي عُقدت في القرون الأربعة الأولى لم تتطرَّق هي الأخرى للحديث عن هذه الأمور. ولذلك فإن الكنيسة البيزنطيَّة حين أرادت البحث عن قوانين تقنِّن بها هذه الأمور في حياتها الكنسيَّة استعانت بما ذكره بطاركة الكنيسة القبطيَّة عنها في رسائلهم. واعتبرت - فيما بعد - أن ما قالوه في هذه الرسائل هو بمثابة قانون كنسي واجب الخضوع والتنفيذ.

فُرضت عليه.

٢١- هذا القانون قاله فوستينوس نائب كنيسة روما في المجمع. ولكن القانون ١٣ لمجمع ترولو أمر القسوس والشمامسة أن يمارسوا العفة والامتناع عن الاقتراب إلى زوجاتهم أثناء نوبات خدمتهم، أما الأساقفة فيطلب إليهم العفة التامة، وأن يتعهدوا بألاَّ يقربوا نساءهم مطلقاً كأنهم متبتلون.

الفصل الثاني

طقس تحليل العروسة في كمال أربعين يوماً

تمهيد

ننقل هنا طقس تحليل العروسة في كمال أربعين يوماً (من زواجها) طبقاً لما يذكره مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، وهو نفس ما أشار إليه القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"[١].

والمقصود بتحليل العروسة في هذا الطقس هو صلاة الكنيسة لأجلها كي يفتح الرب أحشاءها، ويهبها ثمرة صالحة. فهو ليس تحليلاً من خطيَّة، بل صلاة لأجل عطيَّة.

الطقس القبطي لتحليل العروسة

يذكر مخطوط القرن الـ ١٧ (١٩٦ طقس) ما يلي:

يقول الكاهن الشبهموت، ويرفع البخور بأوشيَّة البولس. ويُقرأ البولس من رسالة أفسس (٥:٣٣-٦:٣) «وأما أنتم الأفراد، فليحب كل واحد امرأته كنفسه، وأما المرأة فلتهب رجلها ... لكي يكون لكم خير،

١- القس أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر، كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الثاني، مخطوط، الباب ٢٠

وتكونوا طوال الأعمار على الأرض»[٢].

المزمور (٤٥: ١٣، ١٤) «كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بأطراف موشاة بالذهب، مزينة بكل نوع[٣]». وفصل الإنجيل (متى ٢٥: ١) «حينئذ تشبه ملكوت السَّموات عشر عذارى أخذن مصابيحن وخرجن للقاء العريس ...».

ثم يقول الكاهن أواشي السَّلام والآباء والجماعة، والأمانة، وهذه الصلاة[٤]:

"أيها السيد الرب الإله ضابط الكل، الذي جبل الإنسان بيديه، وأعطاه المرأة عوناً. وأمرتهما وقلت لهما: أنميا واكثرا واشحنا الأرض، لكي يكون الإنسان مع الإنسان. نسأل ونرغب إليك يا محب البشر، افتقد عبدتك (فلانة) برأفتك ورحمتك، وافتح أحشاءها يا من افتقدت أمنا سارة ورفقة وراحيل وحنة وأليصابات، ووهبت لهم ثمرة صالحة ترضيك. أنت الذي تفعل أكثر مما نسأل أو نفهم. أنت صانع القوة في غير الأقوياء. فإن كان يا سيدنا قد صار في البشر عدم الولادة، نرغب إلى صلاحك يا محب البشر، أأمر أن يُطرد هذا المرض عن عبدتك فلانه كما طردته من عبيدك الأبرار الذين جاهدوا زماناً كنواميس عبادتك، الذين شرعتهم إذ قلت: إذا حفظتم وصاياي لا يكون فيكم عاقراً بغير زرع. نسأل ونطلب إلى صلاحك، بارك عبدتك فلانه وحلها من كل

٢- وهو فصل قصير يتكوَّن من أربع آيات فقط.

٣- هكذا ورد نص المزمور في المخطوط. وهو يرد فيه بالقبطيَّة والعربيَّة. والجملة الأخيرة هي: ⲉⲥⲥⲉⲗⲥⲱⲗ ϩⲉⲛ ⲟⲩⲱⲟ ⲛ̀ⲣⲏⲧ أي "مزَّينة بكل نوع". وهي الترجمة السبعينيَّة أو القبطيَّة للمزمور. أما ترجمته بحسب النسخة العبريَّة فهي: «كلها مجدٌ ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها، بملابس مطرَّزة».

٤- وهي ترد في المخطوط بنصيها القبطي والعربي.

نجس ومن كل نميمة ومن كل فعل شيطاني. ثبتها في بيتها مع بعلها، واحفظها من كل شر. ألفها بزوجها، وأحفظ مضجعها نقياً بابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح، هذا الذي ...".

يقول الشعب أبانا. ويقول الكاهن تحليل الابن وكيرياليسون والبركة ويدهنها بالزيت ثم تدخل إلى البيعة وتنصرف.

الفصل الثالث

الطـــــلاق

الطلاق في العهد القديم

كان تشريع الطلاق في العهد القديم هو ما شرَّعه موسى النبي بقوله: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوَّج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيبَ شئ (بالعبريَّة: أرفت دابهور) وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته. ومتى خرجت من بيته، ذهبت وصارت لرجل آخر ...» (تثنية ٢٤: ١).

ويتوقَّف كل شئ في تفسير هذا النص على معنى العبارة العبريَّة "أرفت دابهور"، أو بالحري على تفسير الكلمة "أرفت". فمعناها الشائع هو: "وصمة – دنس – ونجاسة". فالرابي هلليل ومدرسته قد فسر النص السابق بأنه "يمكن للرجل تطليق امرأته لأي كراهية يشعر بها من نحوها". أما الحاخام عقيبه فقد تجرأ إلى حد قوله: "إن رأى امرأة تسره أكثر". أما الرابي شمَّاي ومدرسته فقد فسر النص بعدم جواز الطلاق إلاَّ لفضيحة عدم الأمانة (علة الزنا). لذلك فقد كان ينطبق في هذه المسأله – كما في كثير غيرها – المثل الذائع بين اليهود "يحلل هلليل ما يربطه شماي".

كان شماي على صواب أدبياً، وعلى خطأ تفسيرياً. وهلليل على عكسه كان محقاً تفسيرياً، ومخطئاً أدبياً. كان شماي على صواب لأنه رأى أن روح ناموس موسى الذي سنَّ الطلاق جعله مباحاً فقط في حالة عيب الدنس (أي الزنا). وكان هلليل على صواب إذ رأى أن موسى قد ترك باب الطلاق مفتوحاً في حالة العيب المدني، أي في أحوال تقل نوعاً ما

عن تلك.

في وسط هذه الظروف، كانت مناصرة إحدى المدرستين إساءة قاتلة للأخرى. ولكن في ذلك الجيل الشرير — كما إلى وقتنا هذا عند يهود الشرق — ساد تعليم هلليل.

أما في عالم الوثنيَّة، وخاصة عند الرومان، فقد كان الرباط الزوجي مرناً لدرجة مخزية. كان الطلاق هو القاعدة، والأمانة الزوجيَّة هي الشذوذ عن القاعدة، وذلك في عهد قال عنه سنيكا الفيلسوف: "إن النساء يحسبن السنين لا بأعوام القناصل، بل بعدد أزواجهن المطلقين".

وقد قلد اليهود هذه العادة المخزية. وحتى يوسيفوس (٣٧- ١٠١م) وهو الفريسي من الفريسيين، والذي كان في كل مناسبة يعزو لنفسه أخلاق ومكانة الرجل التقي الصالح، يذكر دون أي ظل من الخجل أو الاعتذار أن زوجته الأولى قد تركته، وأنه طلق الثانية بعد أن أنجب منها ثلاثة أولاد، ثم تزوَّج بثالثة[1].

تعليم الرب يسوع عن الطلاق

أمَّا الرَّب يسوع فحين عُرض عليه السؤال: «هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل علة؟»، و«لماذا أوصى موسى أن تعطى كتاب طلاق فتطلق؟»، كان جوابه: «من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم موسى أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا». ثم أصدر حكماً قانونياً نهائياً «إن من طلق امرأته لغير علة الزنا، يجعلها تزني. ومن تزوَّج بمطلقة

١- — فريدرك و. فارار، حياة المسيح، تعريب الدكتور جورج يوسف عقداوي، المنصورة، ١٩٤٩م.، ص ٥٦٨، ٥٦٩

يزني» (متى ٥:٣٢).

فالرب هنا يشدِّد على منع الرجل من تطليق امرأته أو المرأة من تطليق زوجها. فمن جهة الرجل قال: «من طلق امرأته إلاَّ بسبب الزنا وتزوَّج بأخرى يزني. والذي يتزوَّج بمطلقة يزني» (متى ١٩:٩). ومن جهة المرأة قال: «إن طلقت امرأة زوجها وتزوَّجت بآخر تزني» (مرقس ١٠:١٢). فهذا هو أمر الرب نفسه، وهو ما قال به القدِّيس بولس الرسول أيضاً. فرباط الزِّيجة لا يفصله غير علة الزنا. ومن ثَمَّ صار من الطبيعي أن يعلِّم جميع آباء ومعلمي الكنيسة بهذا التعليم نفسه، مثل القدِّيس يوستينوس الشهيد (١٠٠-١٦٥م)، والعلامة كليمندس الإسكندري (١٥٠- ٢١٥م)، والقدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م)، والقدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م)، والقدِّيس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م)، والقدِّيس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) وآخرون.

التشريع الكنسي في الطلاق

ولقد جرت الكنيسة على خطة أنها تسمح للرجل أن يطلق امرأته لعلة الزنا، ولكنها لا تسمح للمرأة أن تطلق بعلها ولو زنا!. ولقد انتقل هذا التشريع الكنسي من الشريعة المدنيَّة الرومانيَّة.

ويندد القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي (٣٢٩- ٣٨٩م) بهذا التشريع الذي يحابي الرجل دون المرأة، فيقول:

> [أرى الناس يحكمون حكماً جائراً من جهة السلوك، وشريعتهم ظالمة وشاذة. فلأي سبب تفرض الشريعة القصاص على المرأة إذا زنت فيما تطلق الحرية للرجل؟ وإذا خانت المرأة

مضجع زوجها حُكم عليها بأنها زانية، وأما الرجل الذي يضاجع نساء غيرها، فهو غير مسؤول!].

إن هذا الشرع غير مقبول وغير سائغ. فالرجال إذ هم المشترعون، قد جنحوا في شرائعهم ضد النساء حتى أنهم جعلوا الأولاد تحت رعاية الأب، وتركوا الجانب الأضعف أي الأم، وأهملوا العناية بها. ولم يفكروا في شريعة تجعل الأولاد تحت رعايتها.

إن الرب يقول: «أكرم أباك وأمك»، وهي أول وصيَّة أتبعها بوعد المكافأة قائلاً: «لكي تطول أيامك، وتصيب خيراً في الأرض». فهو قد أمر بالطاعة للأب والأم على السواء، وفرض العقاب نفسه على من يلعن أباً أو أماً[٢]. ويستنتج القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي من كل هذا أنه يوجد تمييز في الشرع بين الرجل والمرأة، في حين أن الوصيَّة لم تفرِّق بينهما سواء في المكافأة أو العقاب. فالعدل إذاً يقضي بالمساواة بين الزوج والزوجة.

ولقد جاراه في ذلك القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) في عظته الخامسة على الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي[٣].

والقانون التاسع من قوانين القدِّيس باسيليوس الكبير[٤] يؤيد وجهة

٢- انظر: خروج ٢٠:١٢ ؛ لاويين ١٠:٣ ؛ تثنية ٥:١٦

٣- حنانيا كساب، مجموعة الشرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٨٦١

٤- يرى العالم المدقق الأب جريجوري دكس (١٩٠١-١٩٥٢م) أن هذا القوانين هي بالتأكيد قوانين مصرية قديمة (تعود إلى القرن السادس الميلادي تقريباً) نسبها مؤلفها إلى القدِّيس باسيليوس الكبير لتنال شهرتها، وتُحفظ من الضياع.

Cf. Fernand Cabrol (Le premiér dom) & Henri Leclercq (R.P. dom), Dictionnaire d'Archelogie chrétienne et de Liturgie (DACL), Tome 2, Paris, 1925, p. 259.

نظر القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي فيقول: "إن الرب إلهنا ساوى بين الرجل والمرأة في المنع من الطلاق إلاَّ لعلة الزنا. وقد جرت العادة أن تبقي النساء أزواجهن وإن وقعوا في الخطيَّة، أما الرجل إذا هجرته امرأته فقد يأخذ غيرها حتى ولو كان هجرها له بسبب خيانة زوجيَّة". وتوضِّح هذه القوانين أنه لا يُسمح للمرأة بمثل هذه الحرية. وإذا هجر الرجل امرأته وهي بريئة فلا يُسمح له بالزَّواج.

وما يدعم رأي القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي هو أن القانون ٢٠ لمجمع أنقرة يوقع قصاصاً واحداً على الرجل والمرأة إن زنا أحدهما، فيقول: "الزاني والزانية يقطع من الشركة لمدة سبع سنوات". ومن المحتمل أن مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م، لما وضع قانونه الـ ٨٧ كان يضع أمامه قانون مجمع أنقرة السابق ذكره، فيقول القانون ٨٧ لمجمع ترولو:

"إن المرأة التي تترك زوجها وتلتصق برجل آخر تعد زانية كما يقول القديس باسيليوس الإلهي الذي أخذ ذلك على أحسن وجه من نبوة إرميا: «إذا سرَّح الرجل امرأته فذهبت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع إليها؟ ألاَّ تتدنس تلك الأرض تدنيساً» (إرميا ٣: ١). وأيضاً: «من أمسك الزانية فهو ذو سفه ونفاق» (أمثال ٢٢: ١٨). ولذلك فإذا تبين أن المرأة تركت زوجها بدون سبب فهو أهل للسماح وأما هي فمستحقة للعقاب. ويمكن أن يصفح عنه ليبقى في شركة الكنيسة. أما الذي يترك المرأة التي تزوَّج بها شرعاً ويأخذ امرأة غيرها فقد ارتكب جريمة الزنا حسب حكم الرب. وقد حدَّد آباؤنا أن من كانوا على هذه الصفة يجب أن يبقوا مع النائحين سنة ومع السامعين سنتين ومع الراكعين ثلاث سنوات وفي السنة السابعة يقضون مع المؤمنين ويحسبون أهلاً

لتناول القربان الطاهر إذا تابوا بسكب العبرات[٥]".

وهكذا ظل الحديث عن الطلاق قاصراً على علّة الزنا، حتى القرن العاشر، فيقول الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين في كتابه "مصباح العقل": الطلاق لا يجوز عندنا بعد عقد النكاح (الزَّواج) بالصلاة والدعاء والبركة وحضور الإمام إلاّ بالفاحشة المثبتة وهي الزنا فقط[٦].

وكانت العصور الوسطى، وبالتحديد في القرن الثالث عشر حين نقرأ في قوانين الصفي ابن العسَّال الأسباب التي تؤدي إلى فسخ الزَّواج في الكنيسة القبطيَّة.

ولعل هذه القوانين المذكورة قد تأثَّرت – بعد وقت طويل – بما حدث في الكنيسة البيزنطيَّة حين قبلت هذه الكنيسة الاعتراف بالآثار المدنيَّة للزَّواج. ففي سنة ٨٩٣م قرَّر الإمبراطور لاون الفيلسوف أن الزَّواج الذي تم انعقاده، وباركه الكاهن في الكنيسة، هو زواج صحيح، وله آثاره المدنيَّة المعترف بها. ومن هنا وبقبول الكنيسة لهذا المبدأ أخذت على عاتقها القيام بإجراءات مدنيَّة. وبدأت تبارك زواج الذين حصلوا على طلاق من المحكمة المدنيَّة. وبقرار الإمبراطور ألكسيوس الأول الصادر سنة ١٠٨٦م، أصبح للكنيسة الاختصاص المدني والقضائي للزَّواج. فترتب على ذلك أن أصدرت الكنيسة أحكاماً بالطلاق حسب القانون المدني الذي أسهب في خلق أسباب عديدة تجيز الطلاق للمتزوجين. ومن هنا قبلت الكنيسة – في فترة من فترات تاريخها –

٥ـ يقول جونسون: يُظهر هذا القانون تراخياً في التأديب، فقد كان عقاب الزانية سابقاً ١٥ سنة في التوبة (قانون باسيليوس ٦٨)، ولا عجب في حدوث هذا التراخي بعد مرور قرنين على وضع باسيليوس قانونه.

6- R.Y. Ebied And M.J.L. Young, *The Lamp pf The Intellect of Severus Ibn Al-Muqaffa' Bishop of Al-Ashmūnain*, CSCO, Vol. 365, Scriptores Arabici, Tomus 32, Louvain, 1975, p. 23.

الأسباب المدنيَّة الداعية إلى الطلاق، واعتبرتها ضمن قوانينها.

وفي سنة ١٨٩٦م ذكر القمص فيلوثاؤس عوض نفس الأسباب التي ذكرها الصفي ابن العسَّال، وذلك في مؤلفه "الخلاصة القانونيَّة في الأحوال الشخصيَّة". وفي سنة ١٩٣٨م قرَّر المجلس الملي العام للكنيسة القبطيَّة وجود تسعة أسباب للطلاق. بينما قرَّر المجلس الملي العام سنة ١٩٥٥م ستة أسباب فقط. أما المذكرة التي أرسلها البابا كيرلس السادس سنة ١٩٦٢م إلى وزير العدل فتؤكد أن الزَّواج المسيحي ينحل فقط في حالة الزنا. وفي ١٨ نوفمبر سنة ١٩٧١م أصدر البابا شنوده الثالث قراراً يحدِّد فيه موقف الكنيسة القبطيَّة من الطلاق، حيث أكد المبدأ الذي جاء في مذكرة البابا كيرلس السادس وهو أن الطلاق يجوز فقط بسبب علَّة الزنا.

واليوم فإن الأحكام الصادرة عن المحاكم المدنيَّة تُعرض على المجلس الإكليريكي الذي قد يعترف بها أو يرفضها. وفي حالة اعتراف الكنيسة بالحكم المدني فإن الكنيسة تصرِّح بزواج المطلَّق. أما في حالة الرفض فإن الكنيسة تعتبر الزَّواج قائماً ولا تصرِّح بزواج جديد.

وفي الكنيسة السريانيَّة الأنطاكيَّة نجد مار بارابريئوس (١٢٢٦-١٢٨٦م) يعدِّد في قوانينه أسباباً تجيز الطلاق. وقبل القرن الثالث عشر حافظت الكنيسة السريانيَّة على عدم انحلال الزَّواج ووحدته.

أما الكنيسة الأرمينيَّة فقد قبلت مبدأ الطلاق في مجمع شاهابيفان سنة ٤٤٤م.

وقرَّرت الكنيسة الأشوريَّة (النسطوريَّة) لأول مرة شرعيَّة الطلاق استناداً إلى نص إنجيل القدِّيس متى[٧] وذلك في مجمع عُقد سنة ٥٨٥م. ولكنها لم تفصح صراحة عن شرعيَّة عقد زواج جديد.

٧- متى ٥:٣٢

الفصل الرابع

الزِّيجة الثانية

تمهيد وشرح

يعتبر القدِّيس أغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م) أن التزوُّج مرة ثانية هو علامة على عدم ضبط النفس[١]. كما قال أيضاً إن الزِّيجة الثانية ليست مدانة ولكنها في مستوى أقل. وفسر ذلك بقوله:

[عفة الزَّواج حسنة، ولكن زهد الترمل أحسن].

أما القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩- ٣٩٧م) أسقف ميلان وهو معلم القدِّيس أغسطينوس فقال:

[لست أرفض الزِّيجة الثانية، ولكني لا أنصح بها][٢].

واستطرد يقول للمترمِّل:

[يمكن أن تتزوَّج شرعياً، ولكن من المناسب أكثر أن تمتنع][٣].

على أن بعض القدِّيسين قد سمح بالزَّواج الثاني بعد الترمل لمن ترملوا وهم ما يزالون في سن الشباب. أو ممن لم يقضوا في حياة الزِّيجة سوى

1- St. Augustine, *The Good of Widowhood*, 11,6.

2- St. Ambros, *Concerning Widows*, 68

3- *Ibid.*

فترة ضئيلة. وفي ذلك قد نصح القدِّيس بولس الرسول الأرامل الحدثات أن يتزوَّجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت[٤]، وذلك إشفاقاً عليهن.

ويوافق بعض العلماء على الزِّيجة الثانية بعد الترمُّل بالنسبة لمن يحتاجون إلى رعاية بسبب ضعف أو شيخوخة أو مرض، كما حدث لداود في شيخوخته على اعتبار أن التزوج ليس لمجرد عدم ضبط الجسد فحسب، بل أيضاً للتعاون في الحياة. «فأصنع له معيناً نظيره» (تكوين ١٨:٢)[٥]. إلاَّ أن القانون السابع من قوانين مجمع قيصريَّة الجديدة المنعقد سنة ٣١٥م يقول: "لا يجوز للكاهن أن يحضر وليمة عُرس من يعقد زيجة ثانية"[٦].

وكانت الكنيسة قد وضعت قوانين توبة لمن يعقد زيجة ثانية أو ثالثة منذ أوائل القرن الرابع الميلادي. فالقانون الثالث من قوانين مجمع قيصريَّة الجديدة يقول: "زمن التوبة لذوي الزيجات المتعددة معروف جيداً، والتوبة الصادقة تساعد على اختصار مدة القصاص"[٧].

ويقول القانون الأول من قوانين مجمع اللاذقيَّة المنعقد فيما بين سنة ٣٤١ وسنة ٣٨١م: "يجوز لمن يعقدون زيجة ثانية شرعية، التناول من

---

٤ - ١تيموثاوس ١٤:٥

٥ - البابا شنوده الثالث، مرجع سابق، ص ٧٨، ٧٩

٦ ـ لم تمنع الكنيسة الزَّواج الثاني، ولكنها وضعت قصاصاً خفيفاً على الذين يتزوَّجون مرة ثانية، لعدم استطاعتهم حفظ العفَّة. وهناك فرق بين الزِّيجة الثانية للذين سبق طلاقهما، وبين الزِّيجة الثانية للأرامل.

٧ ـ لا تُعرف ما هي العقوبات القديمة المشار إليها هنا، أما في الأزمنة المتأخِّرة فقد كان يُحكم على من تزوج ثانية أن يقيم سنة مع التائبين، ومن تزوج ثالثة أن يقيم في التوبة من سنتين إلى خمس سنوات. والقديس باسيليوس يفرض على من تزوج مرة ثالثة ثلاث سنوات مع السامعين، وبعض الوقت مع التائبين.

القربان المقدس بعد قضاء مدة قصيرة في الصوم والصلاة"[٨].

ويعلق العالم برسيفال على موضوع الزِّيجة الثانية في قوانين الكنيسة في معرض حديثه عن القانون ١٩ من قوانين مجمع أنقره المنعقد سنة ٣١٥م فيقول: إن موضوع الزِّيجة للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة هو موضوع جدير باهتمام دارسي الاشتراع الكنسي في أوائل عهده. كان موقف الكنيسة على ما يظهر إجمالاً — إلى جانب تثبيط عزائم الراغبين في عقد زيجة ثانية — هو إعلان أن العلاقة الزوجيَّة المفردة هي الفُضلى، على أنه في الوقت نفسه، كان المبدأ القائل بأن الواجب الزوجي ينحل بالموت مبدأ عاماً. ومهما بلغ الأمر في عدم استحسان الزِّيجة الثانية بعد انحلال الزِّيجة الأولى بالموت، فلم يكن ذلك ناشئاً عن الفكر بأن العلاقة الجديدة غير طاهرة. وإني أقتبس هنا فقرة من مقالة فريدة في هذا الموضوع للمحامي "لدلو" في قاموس المسيحيَّة القديمة، فيقول: "إن الرومانيين على الرغم من عدم اعترافهم إلاَّ بنوع واحد من الزَّواج غير قابل للحل، لم يكونوا ينظرون بعدم استحسان إلى عقد زيجة ثانية بعد موت أو طلاق. على أن روح التعفف في الوقت نفسه، روح إنكار النفس الحماسي، كان يحمل الكثيرين من آباء الكنيسة على الحكم ضد زيجة ثانية بأي نوع كانت. فقد كان كليمندس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) على ما يظهر لا يطلق كلمة الزَّواج إلاَّ على الاتحاد الشرعي الأول. ومع ذلك نرى أنه عندما قامت بعض شيع المبتدعين تفسر آراءه بأنه لا يجوز مطلقاً عقد زيجة ثانية كشيعتي المونتانيين والأنقياء، وفريق من شيعة النواطيين، رأت الكنيسة أن الضرورة تقتضي بعدم وضع مثل هذا النير الثقيل على أعناق العوام. وهكذا فتحريم الزِّيجة الثانية، أو اعتبارها برتبة الزنا اعتبرته الكنيسة من البدع الغريبة. ويمكن اتخاذ ما قاله

٨ـ الأول ١٢، أنقرة ٧٥.

أوغسطينوس في هذا الشأن مثالاً لحكم الكنيسة في أواخر القرن الرابع: [إن الزِّيجة الثانية غير ممنوعة على أنها تعد دون الزِّيجة الأولى كرامة]".

ويمكنني أن أضيف[٩] إلى بيان السيد "لدلو" أعلاه أن القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩- ٣٩٧م) قال:

[إننا لا نمنع الزِّيجة الثانية، ولكننا لا نستحسن تعدد الزَّوجات].

وقال القدِّيس إيرونيموس (٣٤٢- ٤٢٠م) بلغة أجلى وأوضح:

[إنني لا أحكم ضد المتزوجين زيجة ثانية أو ثالثة أو إن كان في الإمكان أن يقال زيجة ثامنة].

وليس هناك من دليل على أن القصاص الذي كان يُفرض في الشرق على من يعقد زيجة ثانية كان يُفرض أيضاً في الغرب. فكتاب الشرع الكنسي يحتوي على مرسومين، أحدهما من البابا ألكسندروس الثالث، والثاني من البابا أوربانوس الثالث، وفي كل منهما يمنع الكهنة من منح بركة الزَّواج في بعض الحالات إذا تكررت الزِّيجة. أما في الشرق فكانت تُهمل صلاة الإكليل في عقد الزِّيجة الثانية، وتتلى عوضها صلوات توبة واستغفار. على أنه إذا كان أحد المتعاقدين أرملاً فالعازب أو العازبة منهما ينال هذه البركة في الزوج التي يريدها أو الذي يريده[١٠].

ويقول العالم القانوني فان اسبن: إن الكنائس الشرقيَّة لا تسمح في أي قانون من قوانينها لرجل تزوَّج زيجة ثانية — بعد وفاة زوجته الأولى — أن يتقدم إلى درجة قس أو شماس. وإن كان قساً أو شماساً فلا يُسمح

٩- الكلام هنا لازال للعالم برسيفال.

١٠- حنانيا كساب، مجموعة الشرع الكنسي، مرجع سابق، ص ١٢٦، ١٣٧

له إذا ترمل أن يعقد زيجة ثانية[١١].

ومنذ القديم كان يُحكم على من تزوَّج ثانية أن يقيم سنة مع التائبين. ومن تزوَّج ثالثة أن يقيم سنتين في التوبة أو أكثر إلى خمس سنوات. ويفرض القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) على من تزوَّج مرة ثالثة ثلاث سنوات مع السامعين، وبعض الوقت مع التائبين الذين يجوز لهم أن يحضروا خدمة سرّ الشكر.

وقد دعا القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي (٣٢٩- ٣٨٩) الزِّيجة الثالثة خرقاً للشريعة، في حين أن القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) جارى هذا القانون في نظرته إلى تعدد الزيجات، وحسبه نوعاً من الفحش[١٢].

ففي القانون ٨٠ من قوانين ق. باسيليوس: "لم يقل الآباء شيئاً عن تعدد الزوجات لاعتبارهم أن هذا من طبائع الوحوش، ولا يليق بالبشر ...الخ". وقد فُسر هذا القانون لباسيليوس على أنه يختص بالزِّيجة الثالثة. ومعنى تعدد الزوجات هنا هو ما اعتاد الآباء أن ينصحوا به من يتزوَّج ثالثة بعد وفاة زوجتيه الأولى والثانية. أما أن يكون للرجل أكثر من امرأة فهو ما لم تسمح به الكنيسة مطلقاً[١٣].

ومنذ بداية القرن السابع الميلادي لدينا شهادات صريحة تقرِّر السماح بعقد زواج جديد (ثان) للزَّواج البرئ.

أما الأنبا ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين (القرن العاشر) فيقول عن الزِّيجة الثانية: إنه إن ماتت المرأة الأولى — لأحد المؤمنين — فإن له أن يتزوَّج ثانية. وإن كف كان أحسن. ثم يكمل: [فأما الثالثة وما بعدها،

١١- نفس المرجع، ص ٥٤٠
١٢- نفس المرجع، ص ١٤٣، ١٤٤
١٣- نفس المرجع، ص ٨٩٨

فإن الفاعل لذلك فهو مخطئ وآثم جداً و لم يفكر][١٤].

ولقد منعت قوانين البابا كيرلس بن لقلق (١٢٣٥- ١٢٤٣م) أن يتقدم أحد من أولاد الزَّوجة الثالثة إلى أي درجة من الدرجات الكهنوتيَّة ولو كانت بكراً[١٥].

طقس صلوات الزِّيجة الثانية

نورد فيما يلي ما يذكره البابا غبريال الخامس عن ترتيب الزَّواج الثاني، مع إبداء الملاحظات في الهامش مقارنة بما يذكره كتاب "رتبة الإكليل الجليل". فيقول البابا غبريال الخامس:

إذا كان أحدهما بكراً، يكون العقد والإكليل كترتيب الزَّواج الأول من غير زيادة ولا نقص، ما خلا أن الإكليل لا يوضع إلاَّ على رأس البكر لا غير.

وإذا كان الاثنان رواجع[١٦]، فأول ما يدخلوا بالعريس داخل الخوروس وهم يرتلون ⲧⲥⲁⲗⲓⲛⲉⲁ إلى انتهائها، يوقفونه مكانه، ويقدِّمون للكاهن الجبَّة مع الإشبين، فيتناولها الكاهن منه ويرشمها بمثال

14- R.Y. Ebied And M.J.L. Young, *op. cit.*, CSCO, Vol. 365, Scriptores Arabici, Tomus 32, Louvain, 1975, p. 22.

15- Burmester, O.H.E., *The Canons of Cyril III Ibn Laklak (Part I)*, Bulletin de la Société d'Archéologie Copte (BSAC), Le Caire, tome XII, (1946-1947), p. 86

١٦- أي أن أحد الطرفين مطلَّق أو كلاهما. وهنا يفرِّق البابا غبريال بين هذه الزِّيجة الثانية للذين سبق طلاقهما، وبين الزِّيجة الثانية للأرامل. وهذا ما أغفله كتاب "رتبة الإكليل الجليل" الذي لم يذكر سوى صلوات الزِّيجة الثانية للأرامل. وعلى نهجه نقلت الكتب المطبوعة الأخرى، ولاسيَّما كتاب "صلوات الخدمات" المطبوع سنة ١٩٧١م، والواسع الانتشار.

الصليب، وهم يرتلون بلحن العرايس ⲁⲙⲟⲩ ⲧⲉⲕⲛⲁⲩ ويلبسون العريس الجبَّة، وبأيديهم الشموع والنواقيس وهم داخلين إلى بيت الإكليل. ويسلم الكاهن العريس للعروسة، ويوقفهما مكانهما، ويغطى رأسيهما بالعرضي[١٧].

ويبتدئ بالشبهموت، ويرفع البخور كالعادة بأوشيَّة البولس وهم يرتلون كيرياليسون وبعدها ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲩⲧ بالناقوس إلى آخر ⲫⲟⲣⲉⲛⲉⲱⲥ ⲉⲣⲟⲕ .

ثم بعد ذلك يقولون:

ⲕⲉ ⲕⲉ ⲕⲉ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ. ⲁⲙⲏⲛ ⲁⲗ ⲇⲟⲝⲁ ⲡⲁⲧⲣⲓ. ⲁⲣⲓⲧⲉⲛ. ⲭⲉⲡⲉⲛⲓⲱⲧ. ⲛⲁⲓⲛⲁⲛ ⲫⲭⲏ...[18]

إلى آخرها. يقال كيرياليسون ٣.

ثم يرتلون ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲩⲧ وبعدها ⲧⲁⲓⲱⲟⲩⲣⲏ بلحن البولس. ويقرأ البولس قبطياً[١٩].

١٧- لم يورد كتاب "رتبة الإكليل الجليل" هذه المقدِّمة، بل ذكر بدلاً منها: "بعدما يفحص الكاهن جيداً عن حال الراغبين الزَّواج، ويتَّضح له جلياً عدم وجود المانع الشرعي الذي يمنع الاقتران. حينئذ فليبدأ الصَّلاة كالعادة". أما كتاب "صلوات الخدمات" فلم يورد أي تنبيهات البتة.

١٨- وترجمتها هي: "يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك. آمين أللليويا. المجد للآب ... اجعلنا (مستحقين أن نقول بشكر) أبانا... ارحمني يا الله ...".

١٩- كل ما سبق ذكره اختزله كتاب "رتبة الإكليل الجليل" فيما يلي: "وليقل صلاة الشكر، ويرفع البخور، ويقرأ الشَّمامسة أبانا الذي ومزمور الخمسين ويرتلون ما يلائم. ثم يقرأ البولس". أما فصل البولس فهو (عبرانيين ١٣:١-٥). وجدير بالذكر أن فصل البولس في زيجة الأرامل كما يذكره البابا غبريال الخامس هو (١كورنثوس ٧:٧-٩) «وأنا أحب أن يكون جميع الناس مثلي ... وأقول للذين لم يتزوجوا والأرامل أنه خير لهم أن يكونوا هكذا، فإن لم يطيقوا فليتزوجوا ...». وهو الفصل الذي أغفلته الكتب المطبوعة في زيجة الأرامل، وأحلت محله فصل رسالة العبرانيين: «لتثبت المحبَّة الأخوية ... ليكن الزَّواج مكرماً عند كل أحد والمضجع غير نجس

وبعده أجيوس الثلاثة، وأوشيَّة الإنجيل، ويطرح المزمور[٢٠]، ويقرأ الكاهن الإنجيل قبطياً ويفسره الشمَّاس عربياً[٢١]. ويرد بهذا المرد: Χερε πιμαὴψελετ[٢٢].

ويقول الكاهن الأوشيَّة التي بعد الإنجيل في الإكليل الأول، ويردُّون عليه في كل طلبة كيرياليسون[٢٣].

وبعدها الأواشي الصغار[٢٤] السلامة والآباء والجماعة.

والأمانة.

وبعد ذلك الصلاة المدوَّنة في التحليل التالي[٢٥] إلى آخرها. (وهي): "السيد الرب الإله ضابط الكل ... الذي جبل الإنسان من التراب وأعطيته معينة له خلقتها منه ...

نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، من أجل عبديك فلان وفلانة اللذين اتصلا في هذه الساعة، لأجل ضعفهما، ولأجل مرارة

...».

٢٠- وهو مزمور ٣:١٢٨

٢١- وهو إنجيل يوحنا (٣:٢٧-٢٩).

٢٢- أورد كتاب "رتبة الإكليل الجليل" مرداً آخر هو: "فهوذا فرحك وتهليلك قد تم يا يوحنا المعمدان نسيب عمانوئيل". وهو مرد يوافق فصل الإنجيل المقدَّس «من له العروس فهو العريس ...».

٢٣- وهي الأوشيَّة التي بدايتها: "أيها الرب الإله ضابط الكل، الكائن في السماء، إله آبائنا. نطلب إليك يارب أن تسمعنا وترحمنا". أما كتاب "رتبة الإكليل الجليل" فقد أغفل ذكر هذه الطلبة.

٢٤- لم يذكر كتاب "رتبة الإكليل الجليل" أنها الأواشي الصغار ولا الكبار، وترك الأمر مشاعاً.

٢٥- يعني البابا غبريال الخامس بهذا التحليل التالي، أي الصلاة التي أوردها في طقس ترتيب الزَّواج الثاني للذين هم أرامل. وهو نفس الترتيب الذي يذكره هنا في صلوات الزِّيجة الثانية هذه لكن مع اختلاف في فصول القراءات.

وحدة الإنسان الوحيد[٢٦].

الآن أيضاً يا سيدنا، لا تحسب هذا عليهم خطيَّة[٢٧]، بل هبهم تحليلاً وغفراناً، واسترهم ونجهم من كل حسد، واحرسهم بقلب واحد، وانعم عليهم بالفرح والسرور ...".

فيرتلون ⲁⲕⲟⲩⲱⲥ ⲛⲧⲁⲁⲫⲉ . ويدهنهما الكاهن بالزيت.

وبعد ذلك يقولون أبانا، وتحليل الابن ⲡⲉⲟⲕ ⲡⲟⲥ ، و ⲥⲉ ⲡⲟⲥ ⲡⲟⲥ

ثم يقرأ الوصيَّة عليهما، وترتيبها كما كتب في الإكليل الأول.

ولربنا المجد دائماً. تم وكمل.

٢٦- استبدل كتاب "رتبة الإكليل الجليل" عبارة "... في هذه الساعة لأجل ضعفهما ولأجل مرارة وحدة الإنسان الوحيد" بعبارة: "... في هذه الساعة راحين نعمتك".

٢٧- أغفل كتاب "رتبة الإكليل الجليل" ذكر عبارة: "لا تحسب هذا عليهم خطيَّة".

المراجع

أولاً: المراجع العربيَّة

- إسطفان الدويهي (مار)، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، منارة الأقداس، المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت، ١٨٩٥م.
- ألفريد بتلر، الكنائس القبطيَّة القديمة في مصر، الجزء الأول، ترجمة الأستاذ إبراهيم سلامة، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
- رتبة الإكليل الجليل، مطبعة الوطن سنة ١٦٠٤ش/ ١٨٨٨م.
- ساويرس بن المقفع (أنبا) أسقف الأشمونين، الدُّر الثمين في إيضاح الدين، إصدار مدارس التربية الكنسية بكنيسة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل بطوسون، شبرا، بدون تاريخ.
- سلسلة ينابيع الأرثوذكسيَّة، معاني رشم الصليب. بدون مؤلِّف وتاريخ.
- شنوده الثالث (قداسة البابا)، شريعة الزَّوجة الواحدة، القاهرة، ١٩٧٨م.
- صلوات الخدمات في الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٧١م.
- غبريال الخامس (البابا)، الترتيب الطقسي، الطبعة الثانية، إعداد الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات المسيحيَّة الشرقيَّة، القاهرة ١٩٦٤م.
- فريدرك و. فارار، حياة المسيح، تعريب الدكتور جورج يوسف عقداوي، المنصورة، ١٩٤٩م.
- قرارات المجمع المقدَّس في عهد قداسة البابا شنودة الثالث، من سنة ١٩٧١م حتى سنة ٢٠٠١م، نوفمبر ٢٠٠١م.
- مخطوط رقم (١٩٤ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، تاريخ نساخته ما

بين سنة ١٨٦٣م، وسنة ١٨٧٤م.

- مخطوط رقم (١٩٥ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، تاريخ نسـاخته سنة ١٨٥٩م.

- مخطوط رقم (١٩٦ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، تاريخ نساخته ما بين سنة ١٦٦٥م، وسنة ١٦٨٤م.

- مخطوط رقم (١٩٧ طقس) بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار، يعـود تـاريخ نساخته إلى القرن التاسع عشر.

- مراد كامل (الدكتور)، العصر القبطي في تاريخ الحضارة المصريَّة، القاهرة، ١٩٦٣م.

- هنري داليس الدومينكي (الأب)، الطقوس الشرقيَّة، تعريب الشماس كامـل وليم، المعهد الكاثوليكي، المعادي، ١٩٧٨م.

- يوحنا تابت (الأب) وآخرون، الأسرار، منشورات قسـم الليتورجيـا في جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٨٧م.

ثانياً: المراجع الأجنبيَّة

- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967.

- Burmester, O.H.E., *The Canons of Cyril III Ibn Laklak (Part I)*, Bulletin de la Société d'Archéologie Copte (BSAC), Le Caire, tome XII, (1946-1947).

- Burmester, O.H.E., *The Canons of Gabriel ibn Turaik*, Orientalia Christiana Periodica (OCP), Vol. 1, Num. I-II, (1935).

- Cross, F.L., & Livingstone, E. A., The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2nd edition), 1988.

- Davis, J.G., A Dictionary of Liturgy and Worship, SCM Press LTD, 1972.

- Ebied, R.Y., And Young, M.J.L., *The Lamp pf The Intellect of Severus Ibn Al-Muqaffa' Bishop of Al-Ashmūnain*, CSCO, Vol. 365, Scriptores Arabici, Tomus 32, Louvain, 1975.

- Fernand Cabrol (Le premiér dom) & Henri Leclercq (R.P. dom), Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie (DACL), Tome 10, Paris.

- Fernand Cabrol (Le premiér dom) & Henri Leclercq (R.P. dom), Dictionnaire d'Archéologie chrétienne et de Liturgie (DACL), Tome 2, Paris, 1925.

- G. Martimort, *L'Eglise En Prière, Introduction à la liturgie "Le mariage"*, par P. Jounel.

الدُرَّة الطقسيَّة للكنيسة القبطيَّة
بين الكنائس الشرقيَّة

- **السِّلسِّلة الأولى: مصادر طقوس الكنيسة**

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
١/١	الديداخي أي تعليم الرسل	يناير ٢٠٠٠م
١/٢	التقليد الرسولي	مايو ٢٠٠٠م
١/٣	المراسيم الرسوليَّة، دارسة موجزة – نص الكتاب الثامن	أكتوبر ٢٠٠٤م
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة، الكتابات اليونانيَّة.	يناير ٢٠٠٣م
١/١٠	قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة	يناير ٢٠٠٣م
١/١١	قوانين هيبوليتس القبطيَّة	أكتوبر ٢٠٠٤م

- **السِّلسِّلة الثانية: مقدِّمات في طقوس الكنيسة**

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٢/١	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الأول: رؤية عامة – كنيسة المشرق الأشوريَّة	يناير ٢٠٠٠م
٢/٢	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الثاني: كنيسة مصر	لم يصدر بعد
٢/٣	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الثالث: الكنائس الشرقيَّة القديمة	مايو ٢٠٠٠م
٢/٤	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الرابع: الكنائس البيزنطيَّة	يناير ٢٠٠٥م
٢/٥	الكنيسة، مبناها ومعناها	يناير ٢٠٠٤م
٢/٦	مُعجَم المصطلَحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٤م
٢/٧	مُعجَم المصطلَحات الكنسيَّة، الجزء الثاني	يونيو ٢٠٠٢م
٢/٨	مُعجَم المصطلَحات الكنسيَّة، الجزء الثالث	نوفمبر ٢٠٠٣م

• **السِّلسِّلة الثالثة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة**

الرقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٣/١	معموديَّة الماء والروح	يناير ٢٠٠٣م
٣/٧	الدِّبلة والإكليل	مارس ٢٠٠٥م

يُطلب من

مكتبة مجلَّة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - القاهرة ت/ ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندريَّة: ٨ شارع جرين من محرَّم بك ت/ ٤٩٥٢٧٤٠

والمكتبات المسيحيَّة والكنسيَّة

كما يُطلب من

الأستاذ المحاسب **مينا سمير أنطون** ت/ ٠١٠٥٣٨٩٥٤٩

www. Athanase. net

الدبلة والإكليل

هو كتاب عن طقس الخطبة والزَّواج. والزواج المسيحي هو سرٌّ عظيم إذا فُهم على أنه مثال لاقتران المسيح بكنيسته. فحين يتشبَّه العريس بالمسيح في كل شئ إزاء عروسته، تجد العروسة نفسها ملزَمة أن تتشبَّه بالكنيسة في كل شئ إزاء عريسها. وإذا بدأ الزوج بممارسة دور المسيح في بيته، مارست الزَّوجة دور الكنيسة معه.

فكلما تأصَّل إدراك العريس وعروسته للعلاقة السريَّة التي تربط الكنيسة بالمسيح له المجد، والمسيح بكنيسته، وتغلغل هذا الإدراك في أعماقهما برؤية قلبيَّة لاذهنيَّة فحسب، ارتقى زواجهما ارتقاءً روحياً يبلغ بهما إلى كمال الحب، وفي كمال الحب بمعناه المسيحي تنتفي كل مظاهر الذاتيَّة بينهما، فيصير كل ما للعريس لعروسته، وكل ما للعروسة لعريسها، لأن الحب في المسيحيَّة بذل وتضحية وعطاء، وفي غيرها شهوة وذاتيَّة واقتناء.

ثمن النسخة ١٠ جنيهات